العتبة العباسية المقدسة

نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام

تأليف

الدكتورة بيان عبيد العريض

الفائز بالمركز الثالث

بمسابقة مؤلف بحق الإمام الحسن عليه السلام الثانية

لعام (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)

مراجعة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

١٨

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام

تأليف

الدكتورة بيان عبيد العريض

الفائز بالمركز الثالث

بمسابقة مُؤلف بحق الإمام الحسن عليه السلام الثانية لعام (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)

شعبة الدراسات والنشرات

العتبة العباسية المقدسة
شعبة الدراسات والنشرات
كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣
www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

العريض، بيان عبيد، ١٩٥٩-
نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام / تأليف الدكتورة بيان عبيد العريض ؛ مراجعة شعبة الدراسات والنشرات.- الطبعة الاولى.- كربلاء : قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥.
٢٥٢ صفحة ؛ ٢٤ سم
المصادر : ص. ٢٤٣-٢٤٨ ؛ وكذلك في الحاشية.
١.الحسن بن علي المجتبى (ع) الإمام الثاني، ٣-٥٠ هـ.٢. النساء المسلمات-- عصر صدر الإسلام-تراجم. ألف. العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والنشرات. ب. العنوان.
BP193.12.A3 A7 2015
الفهرسة والتصنيف في مكتبة العتبة العباسية المقدسة

الكتاب: نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام.
الكاتب: د. بيان عبيد العريض.
الناشر:قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
مراجعة: شعبة الدراسات والنشرات.
التدقيق اللغوي: مصطفى كامل محمود.
الاخراج الطباعي والتصميم: علاء سعيد الأسدي-محمد قاسم النصراوي.
رقم التسجيل في دار الكتب والوثائق في بغداد٢٩٠٢ لعام ٢٠١٤م.
المطبعة:
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠.
ربيع الثاني ١٤٣٦-كانون الثاني ٢٠١٥

مقدمة الناشر

الحمد لله حمداً كثيراً على جميع نِعَمه وله الشكر سبحانه وتعالى على ما فضّل به المؤمنين باتباعهم لرسوله الكريم وأهل بيته المعصومين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ فكانوا هم الهادين و ورثة المبعوث رحمة للعالمين ، أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وجعلهم حجته على خلقه ومكمن علمه ومفتاح رحمته و﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد..

ما زال قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة يساهم في نشر التراث الإسلامي الخالد الذي يستسقيه من مناهل أهل بيت النبوةﷺ، ليرتشف القارئ العزيز من هذا المعين الصافي، فمن هذا البيت النوراني شعت أنوار الهداية بفيض كريم أهل البيت الإمام الحسن بن علي المجتبى (صلوات الله وسلامه عليه)، ريحانة المصطفىﷺ ورابع أهل الكساء، وسيد شباب أهل الجنة عليه من الله أفضل الصلاة والسلام .

فكان الشرف الأسمى لما أبدعته يراعات كتّاب وباحثين كتبوا عن تراث إمامنا المجتبىعليه السلام من الذين فازوا بالمراتب الخمس الأولى في مهرجان ولادة الإمام الحسن المجتبىعليه السلام لعام ١٤٣٤ للهجرة النبوية المباركة والموافق لعام ٢٠١٣م، التي حملت العناوين التالية:

١. الحسن بن علي عليه السلام الإمامة المنسية .

للمؤلف صالح الطائي.

٢. دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام .

للمؤلف الاستاذ يوسف مدن.

٣. الإنسانيّة المثاليّة عند الحسن بن عليّ عليهما السلام دراسة تحليليّة في تراثه.

للمؤلف الدكتور رحيم كريم علي الشَّرِيفيّ

٤. تنزيه الإمام الحسن عليه السلام ومحاكمة النصوص.

للمؤلف منذر كاظم آل هريبد

٥. صُلح الحسن عليه السلام في فكر المستشرقين.

للمؤلف: كريم جهاد الحسّاني

ثم أردفت بمجموعة طيبة أخرى من الأنامل التي أبدعت البحوث القيّمة فكانت ثلاثة مؤلفات فائزة في المسابقة لعام ١٤٣٥ للهجرة النبوية المباركة والموافق لعام ٢٠١٤م، وهي:

١. الإمام الحسن بن علي عليه السلام السبط المجتبى

للمؤلف زهير السيد طالب الاعرجي

٢. الحسنيات، ما قيل في السبط الأكبر من شعر

للمؤلف السيد محمد المعلم

٣. الحسن عليه السلام والنساء

للمؤلفة د. بيان عبيد العريض

وللمساهمة في نشر رسالة الإسلام المحمدي الخالد متمثلاً بتراث الإمام السبط المجتبى عليه السلام ، ومن بركات راعي الجود و الفضل قمر الهواشم العباس بن علي عليهما السلام ، نقدّم بين يدي القارئ العزيز هذه المساهمة لإحياء أمر أهل بيت الرحمة عليهم السلام كما أُمرنا، روي عن الإمام الرضا عليه السلام، انه قال : «**رحم الله عبدا أحيا أمرنا**، فقيل له: فكيف يحيي أمركم؟ ، قال عليه السلام: **يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا**»[1].

و نسأل الله تعالى ان يتقبل هذا العمل بقبول حسن ، انّه كريم مجيب.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

الناشر

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة العباسية المقدسة

(١) معاني الأخبار: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي.

الإهداء

إلىٰ... ابن الحبيب المصطفىٰ صلى الله عليه وآله

إلىٰ... ابن علي المرتضىٰ عليه السلام

إلىٰ... ابن سيدة النساء عليها السلام

إلىٰ... إمامي الحسن المجتبىٰ عليه السلام

أنر صحيفتي يوم اللقاء

بحروف محبتي لريحانة رسول السماء

رهينة مودتكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الاحزاب: أية ٣٣

أيها الناس:

من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي الى الله بأذنه، وأنا ابن السراج المنير.. وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾

فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت...

من خطب

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

المقدمة

الحمد لله رب العالمين... والحمد حقه كما يستحقه.. أحمده فوق حمد الحامدين وأشكره شكر العابدين التائبين وأستزيده نعماً ومغفرة ورحمة في كل لمحة وطرف عين من اليوم إلى يوم الدين.. الصلاة والسلام زاكية طيبة على اشرف خلقه أجمعين...، سيد الأكوان وحبيب الباري العظيم سيدنا النبي الكريم محمد بن عبد الله حبيب قلوب المؤمنين وشفيع العارفين لحقه وحق آل بيته النجباء الطيبين من الأولين والآخرين.

أما بعد...

فإن هذا الكتاب يأتي تابعاً لكتاب (علي والنساء) الذي أنجزته بحمد الباري في العام الماضي وقدمته إلى مسابقة الإمام علي عليه السلام في العتبة العلوية المقدسة، ولرب قائل يستفهم لم هذا التأكيد في ربط الأئمة الأطهار وسيرهم الحياتية (بالنساء)...؟

أقول بعد الاتكال على المنعم المتفضل..

إن سلوكي هذا المسلك المشرف والعطر إنما كان فيضاً من فيوضات مولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين على شخصي الحقير الفقير... بعد أن أرشدت روحي التائهة إلى ضياء نهج النبوة والإمامة.

إن للنساء دوراً كبيراً مؤثراً ولا ينكره عاقل في حياة كل البشر، ولو تقصينا أثر الأم والأخت والزوجة والابنة في حياة العظماء والمشاهير والصالحين في عموم مراحل البشرية، لوجدناه دوراً فاعلاً ودافعاً إلى الأفضل والأهدى... فما بالك بدور نساء أهل البيت والنبوة في حياة أئمتنا وسادتنا الكرام...؟ لذا وجدت لزاماً عليّ أن أتحرى مواطن

التنوير والإفاضة والمنعة والتسديد التي أسستها تلك النجوم الزاهرات من النساء في حياة كل إمام.

لقد بدأت بالكتابة عن أثر النساء في حياة سيد الأوصياء مولاي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثم تبعته بجمع المصادر لكتاب الإمام الحسين عليه السلام وفي الخاطر يرن صوت تأنيب «لم تجاوزت الإمام الحسن عليه السلام»...!؟!

فجاء الرد مصححاً خطواتي بتلبية الدعوة الكريمة من لدن العتبة العباسية المقدسة للمشاركة في مسابقة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.. وهكذا كان، حيث أزحت عن منضدتي مصادر كتاب مولاي أبي عبد الله مؤقتاً... وقدمت عليها مصادر كتاب الإمام الحسن عليه السلام مع استشعاري بأني ظلمت أماميَّ عليهما السلام حين حاولت الالتفاف كتابة وتناولاً...

مظلومية الإمام الحسن عليه السلام تجلت أمام ناظري وكأنها اكبر من مظلومية أخيه الإمام الحسين عليه السلام!!، كيف لا وأنا أبحث عن المصادر في المكتبات العامة والخاصة، فأعثر على كتاب عن الإمام الحسن عليه السلام من بين عشرات إن لم نقل مئات الكتب عن الإمام الحسين عليه السلام...

وإن وجدت مصدراً ما يتناول الإمامين الحسنين معاً، فإنني (ويا للعجب) أجد ربع الصفحة أو نصفها أو بضعة أسطر يتيمات أرخت الإمام الحسن عليه السلام مقابل صفحات وصفحات كتبت عن الإمام الحسين عليه السلام.

هنا أنا أطرح سؤالاً للبحث أمام أنظار المختصين: هل نحن أمام خطة (أموية معاوية) مدروسة ومحكمة للتضييق والتضليل ومحو كل أثر من آثار الإمام الحسن عليه السلام في المصادر الأولى؟

أنا لا استبعد وجود هكذا خطة أو توجه ربما استمر حتى الفترة العباسية... لنجد

أنفسنا اليوم أمام قلة المصادر التي توثق لخط حياة الإمام الحسن عليه السلام وفقرها.

ولكن نعاود القول، إن بركة الزهراء عليها السلام، تنير درب الباحثين لشذرات في حياة مهجة الزهراء وباكورة فرحتها بالأمومة مولاي الحسن عليه السلام فيأخذ القلم في استلال خيوط ذهبية من السيرة المطهرة للإمام من مصادر الأقدمين كـ(بحار الأنوار) للمجلسي، أو المعاصرين كـ(حياة الإمام الحسن) للقريشي...

وان كانت معظم المصادر التاريخية، قد ركزت على موضوعين أساسيين في تناولها حياة الإمام الحسن، وهما (صلح الحسن) و(زوجات الحسن)... إلا أن الباحث لا يعجزه أن يقتفي أثر مولاتنا الزهراء كأم ومولاتنا زينب كأخت وغيرها من النساء الخالدات في تكوين شخصية الإمام من المهد حتى اللحد، مع عدم إغفال الحقيقة المرة من أن المرأة كانت سبباً في رسم بداية الإمام ونهايته، وشتان ما بين النقطتين..، والمرأتين!

فجاء البحث على فصول أولها تحت عنوان (الأم فاطمة... أول النساء) وتناولت فيه وجود مولاتنا الطاهرة الزكية في حياة الإمام الحسن عليه السلام في سني حياته الأولى وما لهذه السنوات القصار من أثر عميق في تشكيل حياة (الإمام في طفولته)..، وترقب العائلة المحمدية لمقدمه مع بشارة السماء بإطلالته وتسميته... وكيف تعاملت (الزهراء) عليها السلام حديثة العهد بالأمومة مع وليدها الأول في إغنائه روحاً وجسداً وتهيئته رجلاً وإماماً مستقبلياً.

أما الفصل الثاني فقد سلط الضوء على دور السيدة زينب الكبرى عليها السلام في تكملة الدور الذي بدأته أمها في حياة إمامنا الحسن عليه السلام، حيث كانت أم الأحزان على صغر عمرها، أماً لأخوتها كما كانت الزهراء أماً لأبيها..

وتناول الفصل الثالث شذرات من حياة نساء أخريات كن على تماس مع هذه الأسرة ومررن بيوميات حياة الإمام الحسن عليه السلام واحداثها كالسيدة الجليلة (أم البنين)

لوجودها المبكّر في حياة الإمام كزوجة لوالده سيد الأوصياء، وكذلك السيدات المؤمنات أم سلمة وأم أيمن وأسماء بنت عميس وفضة اللواتي طرقن باب بيت فاطمة مراراً وكن على مقربة منها ومن فلذات كبدها وأولهم سيدنا ومولانا الإمام الحسن عليه السلام.

وجاء الفصل الأخير... ليتحدث عن أسوأ النساء في حياة الإمام وألعنهن عند الله ورسوله وملائكته ألا وهي الزوجة الشقية التي سقت مولانا السم فأنهت حياته شهيداً مغدوراً ومحتسباً عند الباري عز وجل... فكانت مثالاً حياً للغدر والإثم العظيم. مع وجود لزوجات أخريات في حياة الإمام الحسن عليه السلام كن عنواناً للرفعة والشرف والعفة والإيمان ومنحن سيد شباب أهل الجنة امتداده الطبيعي من أبناء وبنات طيبين كانوا خير خلف لخير سلف.

وختاماً... أقول، على سعة امتناني بفكرة أن أسطر أحرف عن حياة إمامي الحسن عليه السلام، بإنجاز هذه الصفحات المتواضعات، إلّا أني أعترف بتقصيري وضعف همتي وعجز قلمي عن الإتيان بما يتواءم وسمو الشخصية الآلقة والزكية للإمام الحسن بن علي عليهما السلام... وعذري أنني حاولت... داعية إلى الخالق العظيم أن يزيح عن سجل خطاياي بمقدار أحرف هذا الكتاب فهو المطلع على النوايا وما تنطوي عليه السرائر وإني أشهده تعالى وأشهد ملائكته وأهل بيت نبيه.. أني أحبهم... فاحشرني يا رب ووالديَّ ومن أحب مع من أحب... أنك سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ومنه التوفيق وبه نستعين... وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

الباحثة

العبدة الفقيرة إلى الله تعالى

بغداد ١ صفر المظفر ١٤٣٥هـ

الفصل الأول

الأمر فاطمة عليها السلام

... أول النساء

- زهرة الحسن عليه السلام ... في أحضان الزهراء
- الحسن والزهراء عليهما السلام ... والأسوة الحسنة
- فراق وجه الحبيبة

المبحث الأول

زهرة الحسن عليه السلام

في سني الحياة الأولى.. يكون الإنسان أسير ظروف بيئته، في أي محيط يكون الخالق العظيم قد أوجده، وأي توفيق يريد أن يغدقه عليه...، فهو في نعمة أن توفرت له عائلة كريمة وأبوان حنينان، وأسرة كريمة المحتد، وجو إيماني تتجسد فيه عوامل الرحمة والتعاطف والألفة.

يضاف إلى كل ما سبق، نعمة أن يمنح الباري عز وجل للمولود الجديد أماً تنطوي حناياها على معاني العفة والرأفة والحنو وابسط معاني الأمومة المتعارف عليها إجماعاً، ليغدو الطفل عنوان مستقبل يعتد به ويعول عليه.

من هنا نصبح أكثر قدرة على استيعاب وتصور ما حبى العزيز الجليل الإمام الحسن ابن علي عليهما السلام من نعم ربانية جزيلة وافرة في خلقه وإنباته وليداً مباركاً في أشرف خلية اجتماعية وإنسانية وجدت على وجه البسيطة، فقد مثلت الصديقة الزهراء عليها السلام أشرف وأرفع ما في المرأة من إنسانية وصون وكرامة وقداسة ورعاية وعناية، بالإضافة إلى ما كانت عليه من ذكاء ووقار وفطنة حادة وعلم واسع[1]، لتكون البيئة النقية التقية الأولى لاحتضان بذرة النبوة البكر، وكفاها فخراً أنها قد تربت في مدرسة النبوة وتخرجت من

(١) أعلام الهداية، فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء) ، المجمع العالمي لأهل البيت، مركز الطباعة والنشر مطبعة ليلى، ط١، ١٤٢٢هـ، قم المقدسة، ص٣٣.

معهد الرسالة وتلقت عن أبيها الرسول الأمين صلى الله عليه وآله ما تلقاه عن رب العالمين[١].

ففي السنوات السبع والنصف أو الثماني الأولى من عمر الحسن عليه السلام المبارك كانت قد استأثرت بها والدته الزهراء عليها السلام، إضافة إلى اهتمام أبوي ورعاية وحرص مميز من لدن النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام...، فلقد عاش في كنف الزوجين الانموذجيين في الإسلام، اللذين صارا المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية بفضل دعاء النبي صلى الله عليه وآله في ليلة الزفاف ووصاياه المقدسة لهما[٢].

ومن المتعارف عليه أن الطفل الأول في الأسرة قدوماً يصبح كـ(حقل تجارب) يطبق فيه فنون المعاملة الأسرية، ليحظى بأفضل فرصة تنشئة تربوية ممكنة...، إلا بيت النبوة.. فإن الطفل الأول فيها قد أعدت لتربيته خطة ربانية محكمة الأبعاد، بعيدة الآفاق، وعميقة الأثر، فجبرئيل عليه السلام قد بشر بالمولود والنبي هيّأ الأجواء لمقدمه، والأم قد تعلمت في دار أبويها ما لم تتعلمه طفلة ومن ثم امرأة غيرها.

فعندما زوج النبي صلى الله عليه وآله النور من النور تنفيذاً للأمر الإلهـي[٣]، كان أمر بيت فاطمة يشغله، فما كان لرسول الله من صبر على الابتعاد عن قرة عينه الزهراء ولو

(١) أعلام الهداية، فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء) ـ٣، المجمع العالمي لأهل البيت، مركز الطباعة والنشر مطبعة ليلى، ط١، ١٤٢٢هـ، قم المقدسة، ص٣٣..

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق وتعليق محمود دياب، دار المعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١ م، ٤٣ / ١١٧، ١٣٢.

(٣) علي الكوراني، جواهر التاريخ، السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام المجلد الأول، مطبعة باقيات، ط١، ١٤٣٠هـ، ص٦٠١. وفي خبر طويل بإسناده إلى أم أيمن عن النبي صلى الله عليه وآله: **وعقد جبرائيل وميكائيل في السماء نكاح علي وفاطمة. فكان جبرائيل المتكلم عن علي وميكائيل الراد عني. ومن تاريخ بغداد بإسناده إلى ابن عباس قال: لما زفت فاطمة عليها السلام إلى علي عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله قدامها وجبريل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك خلفها يسبحون لله ويقدسونه حتى طلع الفجر**: نقلاً عن المجلسي، بحار الأنوار – ١٨، ص٧١.

بضع خطوات، لذا نجد أن النبي محمد صلى الله عليه وآله كان يهيئ لبيت الإمامة قبل إطلالة الإمام الحسن عليه السلام على الوجود...، وهذا القرب في السكن لم يكن اختياراً ذاتياً، وإنما كان بأمر الله تعالى وعنايته، وبأمر رسول الله وتدبيره[١].

وكان النبي صلى الله عليه وآله يولي هذا الموضوع اهتماماً كبيراً، فلقد نقل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي**»[٢]. وغمرت الفرحة بيت النبي صلى الله عليه وآله بهذا الزواج وهذا القرب من حبيبيه (فاطمة وعلي) وأثمر هذا العقد الإلهي بعد فترة من الزمن شبلاً ليس على وجه الأرض مثيلاً له حيث حلت نبوة السماء مرة أخرى بهذه الأسرة الفريدة، عندما هنَّأت السماء النبي محمد صلى الله عليه وآله بمقدم ولده الإمام الحسن، فأخذ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يبشر بأن المولود غلام قد احتفت به السماء قبل الأرض.

عن برة ابنة أمية الخزاعي أنها قالت: لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسن خرج النبي صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه فقال لها «**إنك ستلدين غلاماً قد هنأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أصير إليك**»[٣].

---

(١) كاظم النقيب، أئمتنا قادة وهداة / الإمام الأول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الفكر الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م، لبنان بيروت، ص١١٥ (جاء في أعيان الشيعة: ١ / ٣٨١: «اختلف في سنه تزويج علي بفاطمة عليها السلام فقيل بعد الهجرة بسنة، وقيل بسنتين وقيل بثلاث، وقال ابن الأثير: قيل أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة عليها السلام على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة، وروى ابن سعد في الطبقات أن تزويجهُ بها كان بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر».

(٢) محمد بحر العلوم، ثلاث نساء في سماء العقيدة، دار زايد للنشر، ط٣، ٢٠٠٦ م، لندن، ص٧٥. نقلا عن: أبي حجر الهيتمي الصواعق المحرقة: ١٠٧.

(٣) أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت، مطبعة ليلى، ط١، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ، ص٥٤. نقلاً عن بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٤ والمناقب: ٣ / ٥٠.

إن البيت الذي كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تسكن وتعيش فيه كان محاطاً بالقداسة والروحانية والنور، كان ذلك البيت مبنياً بمواد الاحترام والتقدير، والتجليل والتبجيل، يعرف حق ذلك البيت كل من يعرف حق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها.

وقد رويت الأحاديث في كرامة (بيت فاطمة) حيث روى العلامة المجلسي عن أنس بن مالك وعن بريدة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: «﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾[1]، فقام رجل قال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: **بيوت الأنبياء**، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله! هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة، قال: **نعم، من أفضلها!!**)[2].

وعن ابن عباس قال: كنت في مسجد رسول الله، وقد قرأ القارئ: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...**﴾ فقلت: يا رسول الله! ما البيوت؟ فقال: «**بيوت الانبياء**». وأومأ بيده إلى منزل فاطمة؟[3].

في هكذا بيت إيماني يتنسم عبق النبوة والإمامة. حملت السيدة فاطمة الزهراء بولدها الحسن عليه السلام وعمرها ١٢ سنة[4]، ومن الطبيعي أن النور يتجلى في وجهها، ويزهر كي يصدق عليها اسم الزهراء، ومن نور النبوة وامتزاجه بنور الوصاية انبثق نور الإمامة في بيت مبارك وشهر مبارك، ففي شهر الله، شهر الصيام كانت ولادة إمامنا الحسن عليه السلام.

---

(١) سورة النور، آية ٣٦.

(٢) محمد كاظم القزويني، فاطمة عليها السلام من المهد إلى اللحد، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، العراق لبنان، ص١١٨. وفي نسخة: من أفاضلها، نقلاً عن تفسير الثعلبي ومنه تفسير البرهان ج٣/ ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٩. نقلًا عن كشف الغمة.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار ٨، ص١٦٨. نقلًا عن: مناقب آل أبي طالب ج٣/ ص٣٥٧ فصل حليتها وتواريخها عليها السلام.

لقد أجمعت المصادر على ولادة الإمام الحسن عليه السلام بالمدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان عام أحد سنة ثلاث من الهجرة، وقيل سنة اثنتين[١]. وذكر المفيد أن كنيته أبو محمد ولد بالمدينة، ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وروى ذلك جماعة عن الإمام الصادق عليه السلام وكان الحسن عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وهدياً وسؤدداً[٢].

وجاء في الكافي أن الإمام الحسن ولد في شهر رمضان في سنة بدر سنة اثنتين بعد الهجرة وروي أنه ولد في سنه ثلاث للهجرة واستشهد عليه السلام في شهر صفر. وفي التهذيب أنه ولد في شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وكذا قول الكفعمي أنه ولد في المدينة يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة واستشهد يوم الخميس السابع من صفر سنة ٥٠ من الهجرة[٣].

وفي أمالي الصدوق ص١٩٧ : «عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام قال: **لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسن قالت لعلي: سمه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فأخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في خرقة صفراء! ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها، ثم قال لعلي عليه السلام: هل سميته! فقال: ما كنت لأسبقك باسمه؟ فقال صلى الله عليه وآله: وما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبريل أنه قد ولد لمحمد ابن فأهبط واقرأه السلام وهنئه وقل له: إن**

---

(١) محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، انتشارات ذوي القربى دار الأضواء. ط١، ١٤٢١هـ ق / ١٣٧٩هـ ش، إيران،ج٤/ ص٣٣. من فصل تواريخه وأحواله عليه السلام.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، ص ١٨٧.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ٣٤١.

علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون...»[١].

وجاء في عيون المعجزات للمرتضى رحمه الله: «كان مولده بعد مبعث رسول الله بخمسة عشر سنه وأشهر، وولدت فاطمة أبا محمد عليه السلام ولها أحد عشر سنه كاملة، وكانت ولادته مثل ولادة جده وأبيه صلى الله عليهما، وكان طاهراً مطهراً يسبح ويهلل في حال ولادته، ويقرأ القرآن على ما رواه أصحاب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل ناغاه في مهده وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وكان له سبع سنين وشهور»[٢].

وفي حديث متواتر عن جابر[٣] قال «لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسن فولدت وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أمرهم أن يلفوه في خرقة بيضاء فلفوه في صفراء وقالت فاطمة عليها السلام: **يا علي سمه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله** صلى الله عليه وآله فجاء النبي صلى الله عليه وآله فأخذه قبله وأدخل لسانه في فمه فجعل الحسن عليه السلام يمصه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله **ألم أتقدم إليكم أن تلفوه في خرقة بيضاء؟** فدعا بخرقة بيضاء فلفه فيها ورمى الصفراء، وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم قال لعلي عليه السلام: **ما سميته**: فقال: **ما كنت لأسبقك باسمه،** فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما كنت لأسبق ربي باسمه،** فأوحى الله جل ذكره إلى جبرئيل عليه السلام **أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط إليه فأقرئه مني السلام وهنئه مني ومنك، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون،** فأتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله وهنأه وقال له ما أمره الله تعالى به أن يسمي ابنه باسم ابن هارون، قال: **وما كان اسمه،** قال: شبر قال: **لساني عربي،** قال: **سمه الحسن،** فسماه الحسن[٤].

(١) علي الكوراني، جواهر التاريخ – المجلد الأول، ص ٥٩٩.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ٣٤٤.

(٣) ابن بابويه، معاني الأخبار، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص ٥٧.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ١٧١.

وبهذا الإسناد عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام **أنه سمي حسناً يوم السابع واشتق من اسم الحسن حسيناً**[١]

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: **إن فاطمة عليها السلام عقت عن الحسن والحسين وأعطت القابلة رجل شاة ودينارا**[٢].

وعن أسماء بنت عميس في حديث طويل مماثل، قالت: فسماه الحسن فلما كان يوم سابعه عقّ النبي صلى الله عليه وآله عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً ودينارا وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلى بيده المباركة رأسه بالخلوق ثم قال: **يا أسماء الدم فعل الجاهلية**[٣].

والخلوق نوع من الطيب يخلط معه زعفران، وقد كان العرب في الجاهلية يطلون رأس المولود بالدم لحبهم للقتال، ويكون ذلك أول شعارهم على حسب زعمهم شجاعة المولود، فإنه يغمس بالدماء،... وبما أن الإسلام دين السلام والمحبة لا دين القتل والسيف، فقد غير رسول الله صلى الله عليه وآله هذه السُنّة المجعولة من قبلهم وجعل بدلها الطيب، فكأنه يقول لهم: إن هذا المولود سيشع طيباً و سلاماً وراحة واطمئناناً على مجتمعه بمجرد ولادته[٤].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ١٧١..

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ١٧٣. نقلًا عن عيون الأخبار ج٢، ص ٤٦ باب ٣٢، حديث ١٧٠.

(٣) مؤمن الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار، ج١، ذوي القربى، ط١، قم – نجف، ص ٤٥٧. ينظر صحيح الترمذي: ١/ ٢٨٦، تاريخ الخلفاء: ٧٢.

(٤) ماجد ناصر الزبيدي، ٥٠٠ سؤال حول الإمام الحسن عليه السلام، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، بيروت، ص ١٣ ؛ وفي بحار الأنوار، ٤٤: ٢٥١: «أن العادة في الجاهلية كانوا يطلون رأس الصبي بالدم، فقال صلى الله عليه وآله: **الدم من فعل الجاهلية**، ونهى أسماء عن

وفي حديث مرفوع إلى علي بن أبي طالب عليه السلام قال «لما حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء بنت عميس وأم سلمة رضي الله عنهما، **احضرا فاطمة فإذا وقع ولدها واستهل صارخاً فأذّنا في أذنه اليمنى وأقيما في أذنه اليسرى**[١] **فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلّا عصم من الشيطان، ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما**، فلما ولدت فعلتا ذلك، وأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله فسره ولباه بريقه وقال «**اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم**»[٢].

وكان الإمام الحسن عليه السلام يشبه رسول الله في الخلقة والخلق وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول «**يا حسن أنت أشبهت خَلقي وخُلقي**» والمشهور أنه عليه السلام أشبه رسول الله صلى الله عليه وآله من الرأس إلى الصدر[٣]

وقد استحوذ على محبة جده هو وأخيه الإمام الحسين ويقول «**الولد ريحانة وريحانتاي من الدنيا الحسن والحسين**».[٤]

وذكر ابن شهرآشوب صاحب المناقب :عن عمران بن سلمان وعمرو بن ثابت قالا: الحسن والحسين اسمان من أسامي أهل الجنة ولم يكونا في الدنيا.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**سمي الحسن حسنا لان بإحسان الله قامت السماوات والأرضون، واشتق الحسين من الاحسان، وعلي والحسن اسمان من أسماء الله تعالى والحسين تصغير الحسن**».

فعل ذلك».

(١) ينظر: مسند أحمد: ٦ / ٩، سنن الترمذي: ٢٤٠، ذخائر العقبى: ١٢٠.

(٢) الشبلنجي، نور الأبصار، ص ٤٥٦.

(٣) الشيخ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، صبح الصادق، ط١، ذي القعدة ١٤٢٥هـ، قم – إيران / نجف – عراق، ص ٩.

(٤) الشيخ محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى ،ج١: ص٣٠،ط٥، محرم الحرام ١٣٨٥، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها – النجف الأشرف.

وحكى أبو الحسين النسّابة: كأن الله عز وجل حجب هذين الاسمين عن الخلق يعني حسناً وحسيناً حتى يسمي بهما ابنا فاطمة عليها السلام فإنه لا يعرف أن أحداً من العرب تسمى بهما في قديم الأيام إلى عصرهما.[١]

وهكذا تظهر بجلاء قدسية هذا الخلق المبارك الذي سماه الله عز وجل الحسن وسماه في التوراة شبراً، وأنزل ملائكته للتهنئة بمولده فأينعت أزاهير المحبة والغبطة والسرور في بيوت النبي والمدينة لمقدمه البهيج.

فكيف أدت مولاتنا الزهراء عليها السلام دور الأم والمربية للإمام الحسن.. باكورة فرحتها بالأمومة وما الذي اقتطفته ذاكرة (الولد – الحسن) في طفولة لم تتعدَ بضع سنين؟

لأنها فاطمة.. ولأنها الزهراء ولأن نورها من نور رسول الله ولأنها روضة الخصال والفضائل التي انزوت عن غيرها من النساء، فمن الصعوبة بمكان أن نحيط بكل لحظات طفولة الإمام الحسن عليه السلام.

ولكننا نصيب كبد الحقيقة عندما نقول أن الزهراء عليها السلام كانت أماً قبل ولادتها للإمام الحسن عليه السلام فهي أم أبيها بكل فخر.. هذه الصبية المخلصة في سد الفراغ العاطفي في قلب النبي محمد صلى الله عليه وآله فغدت أماً قبل أن تكون أماً...!؟

إن التاريخ لا يحدثنا إلّا نتفاً من هذه المواقف الأمومية التي كانت تصدر عن فاطمة بالنسبة للرسول، ولكنه يؤكد بنجاح فاطمة في هذه المحاولة التي أعادت إلى محمد صلى الله عليه وآله الاكتفاء العاطفي الذي ساعده دون شك في تحمل الأعباء الرسالية الكبرى[٢].

---

(١) ينظر بحار الأنوار: المجلسي: ج٤٣ ص٢٥٢.

(٢) سليمان كتاني، فاطمة الزهراء – وتر في غمد، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط١، مطبعة مجاب، ١٤٣٢هـ، ص ٥١.

إن التاريخ يؤكد هذا الدور الذي اضطلعت به مولاتنا الزهراء عليها السلام حينما ينقل تكراراً عن لسان النبي «**فاطمة أم ابيها**» وحينما نرى أنه يعاملها معاملة الأم فيقبل يدها، ويخصها بالزيارة عند كل عودة منه إلى المدينة، ويودعها منطلقاً من عندها إلى كل أسفاره ورحلاته[١] وكأنه يتزود من نبع الأمومة الصافي هذا عاطفة لسفره. وإذا ما قدم من سفره فإن نحر فاطمة يستقبل شفتيه الكريمتين يمطره تقبيلا، فمنه يشم رائحة الجنة[٢].

إن السيدة الطاهرة فاطمة عليها السلام على صغر سنها وهي تخوض غمار تجربتها كأم... كانت مربية كبيرة[٣] كيف لا وهي تحتضن وليدها، جامع الحسن في صفات ومزايا وأوصاف تضارع أوصاف أبيها الحبيب فتشتعل حرارة الوجد في قلبها للصورة المصغرة من نبي الأمة يتبرعم بين ظهراني بيت الإمامة.. في كل لمحة والتفاتة ترى الزهراء وليدها تتفتح ملامحه الآسرة... طفلاً جميل المحيا أبيضَ مشرباً بحمرة، أدعج العينين، ذا وفرة، عظيم الكراديس، بعيد المنكبين، جعد الشعر،.. كأن عنقه إبريق فضة[٤]

فكانت الزهراء عليها السلام شديدة الاعتزاز بانتسابها إلى أبيها وكانت مفطورة على يقين الإيمان، وكان من اعتزازها بالانتساب إلى المصطفى أنها كانت تسر بتشابه أبنائها لأبيها وكانت تذكر ذلك حين تدللهم وتلاعبهم مراراً وتكراراً ولم يكن أحب إليها من أنه

---

(١) المصدر نفسه. نقلًا عن: المجلسي بحار الأنوار، ٤٣: ٢٥.

(٢) القندوزي الحنفي، مختصر ينابيع المودة لذوي القربى، مكتبة هيئة الأمين، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، العراق - كربلاء المقدسة، ص ١٦٢.

(٣) نصت رواية ابن المسيب عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال « فقلت لعلي بن الحسين: فمتى زوج رسول الله فاطمة من علي؟ فقال بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين». نقلاً عن الكافي: ٨ / ٣٣٨.

(٤) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن، دار جواد الأئمة عليهم السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، بيروت - لبنان، ج١ ص ٦٠.

يقال لها «إن أسباط رسول الله يشبهون رسول الله».

لقد عكفت الزهراء عليها السلام على إظهار محاسن وليدها الحسن بالاهتمام به والاعتناء بتربيته بدنياً ونفسياً وذهنياً فها هي ترسل له ذؤابتين في القرن الأيسر وثقبت الأذن اليمنى لتصنع في شحمة الأذن قرطاً، وفي الأذن اليسرى في أعلاها شنفاً[١]. أما زغب ريش جبرائيل فكان يجمع ليجعل في تمائمه.

وقد حرصت على نظافة مظهره ورونقه، فما كان يرى إلا جميل المظهر بقميصه الأحمر[٢].

وعن ابن عباس قال: انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى على باب فاطمة ثلاثاً فلم يجبه أحدٌ فمال إلى الحائط فقعد فيه وقعدت إلى جانبه بينما هو كذلك إذ خرج الحسن بن علي قد غسل وجهه وعلقت عليه سبحة قال: فبسط النبي صلى الله عليه وآله يديه ومدهما ثم ضم الحسن إلى صدره وقبله وقال: **إن ابني هذا سيد ولعل الله عز وجل يصلح به بين فئتين من المسلمين**[٣].

ومن كتاب الأربعين للفتواني روى «أن النبي صلى الله عليه وآله دعا الحسن فأقبل وفي عنقه سخاب فظننت أن أمه حبسته لتلبسه فقال النبي صلى الله عليه وآله هكذا، وقال الحسن عليه السلام هكذا بيده

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ١٨٥. وجاء في فروع الكافي ج٦/ ص٣٣: روي أن النبي صلى الله عليه وآله ترك له ذؤابتين في وسط الرأس وهو أصح من القرن. وفي الهداية للصدوق ص٧٠: «وقال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام **أنقبي على أذني ابني الحسن والحسين خلافاً على اليهود**». وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٣١٦: «وكانت عادة قومية عند الإسماعيليين أن يلبس الرجال أقراطاً». قضاة ٢٥: ٨ و٢٦». نقلاً عن: علي الكوراني، جواهر التاريخ، المجلد الأول، ص ٦٠٢.

(٢) الإصابة: ابن حجر: ج٢: ص ٦٣، قال بريدة: كان النبي صلى الله عليه وآله يخطب، إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ٢١٥. نقلًا عن: مناقب آل أبي طالب ج٤، ص ٢٠.

فالتزمه فقال النبي صلى الله عليه وآله **اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه** – ثلاث مرات»[١].

وفي حديث ثوبان أن فاطمة حلت الحسن والحسين بقلبين من فضة، القلب:السوار[٢].

ومما سبق يبدو جليا اهتمام مولاتنا الزهراء عليها السلام بمظهر ولدها الحسن وأنها لا تخرجه من الدار إلا وهو مغتسلاً متزيناً.

وأخذت الزهراء عليها السلام تضيف على وليدها لمسات من نبض روحها النقية التقية، فعاش الإمام الحسن طفولته المباركة وصباه الباكر الكريم في كنف أطهر الأحضان وأشرفها، في كنف وارثة كل مفاخر أسرتها، وريثة نبل جديد لا ينشأ عن الأرض والدم والمال، بل ظاهرة وحي، صنيع الإيمان والجهاد والثورة والفكر والإنسانية وبنسيج جميل من كل قيم الروح العالية[٣].

فعاش الإمام الحسن عليه السلام في ظل أمه الزهراء عليها السلام أنصع أيامه البيض الحافلة بالنور في المدينة المنورة، يوم كان يدرج فيها بموقعه المميز ومقامه المدلل المرموق بين اقرأنه وأترابه، ويوم كان يلعب ويمرح فيها... مستشعراً بألمعيته المبكرة، عظم مكانته بين المسلمين وإن كان طفلاً، ففي حديث لأبي رافع قال: كنت ألاعب الحسن والحسين عليهما السلام بالمداحي، [هي أحجار أمثال القرصة كانوا يحفرون ويرمون فيها بتلك

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ٢١٥. نقلًا عن: مناقب آل أبي طالب ج٤، ص ٢٠. والسخاب: قلادة تتخذ من قرنفل ومحلب وسك ونحوه وليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء، وقيل: هو خيط ينظم فيه خرز يلبسه الصبيان والجواري.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ٦٩. نقلًا عن: النهاية ج٤، ص ٩٨.

(٣) علي شريعتي، فاطمة هي فاطمة، الآثار الكاملة – ٣، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، بيروت – لبنان، ص ١٤٠.

الأحجار فإن وقع الحجر فيها فقد غلب صاحبها وإن لم يقع غُلب].. فإذا أصابت مدحاتي مدحاته قلت: احملني فيقول: **أتركب ظهراً حمله رسول الله!** فأتركه فإذا أصابت مدحاته مدحاتي قلت: لا أحملك كما لم تحملني فيقول: **أما ترضى أن تحمل بدناً حمله رسول الله** صلى الله عليه وآله فأحمله[1].

وهذه الواقعة تعطينا درساً تربوياً في جعل الصبي ينعم باللعب واللهو البريء مع أترابه مهما علا مقامه ومقام أسرته فهذا من دواعي تنمية قدراته بشكل صحيح. ومما لا شبهة فيه أن للزهراء عليها السلام الدور الكبير في تنمية مدارك الإمام الحسن وفي نمو ذكائه وفي سلوكه العام.

عن يعلى بن مرة أنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله دعينا إلى طعام فإذا الحسن يلعب في الطريق، فأسرع النبي صلى الله عليه وآله أمام القوم ثم بسط يده فجعل يمر مرة ههنا ومرة ههنا يضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه ثم اعتنقه فقبله ثم قال رسول الله: **حسن مني وأنا منه أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط**[2].

فالرسول صلى الله عليه وآله تولى تربية سبطه، وأفاض عليه مكرمات نفسه، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام غذاه بحكمه ومثله، والبتول القدسية أفضل بنات حواء قد غرست في نفس وليدها الفضيلة والكمال، وبذلك سمت طفولته فكانت مثالاً للتكامل الإنساني، وعنواناً للسمو والتهذيب ورمزاً للذكاء والعبقرية بالرغم من قصر الفترة التي قضاها الإمام الحسن عليه السلام في كنفها، إلا أنه نهل من علم أمه وفقهها نصيباً كبيراً لأنها عليها السلام

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ٢١٤. نقلًا عن: مناقب آل أبي طالب ج٤، ص ٧٢، فصل في محبة النبي صلى الله عليه وآله إياه.

(٢) المصدر نفسه، نقلًا عن: بشارة المصطفى، ص ١٥٦.

قامت بنقل كل ما لديها من سجايا وفضائل إلى ولدها البكر[١].

إن هذه الرواية تعطي أروع درس من دروس الأمومة الحقة، فالزهراء الأم عادلة في إغداق محبتها وعطفها على ولديها وما كانت لتفضل كبيراً على صغير أو بالعكس...

كما تبين لنا هذا الحادثة مبلغ اهتمام الزهراء عليها السلام كأم في تعليم أولادها منذ نعومة أظفارهم، وقد نقل علماء الفقه ورواة السنة الشيء الكثير عن الإمام الحسن عليه السلام مما سمعه وشاهده من والدته الطاهرة عليها السلام ومن جده رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بأحكام الشريعة المقدسة وآدابها، وذلك يدل على نبوغه وعبقريته وإدراكه الواسع، والناظر في طفولته عليه السلام يهيم بها إعجاباً وإكباراً وتقديساً، وذلك لما لها من آيات الكمال والفضيلة والذكاء، ولما أنيطت بلون من التربية الرفيعة التي لم يظفر بها إنسان فيما نحسب[٢].

ولكننا هنا نشير إلى مسألة قد تستوقف المطلعين على سيرة أهل البيت عليهم السلام وهو معيشة الكفاف والزهد التي عاشوها لاسيما بيت (علي وفاطمة) الذي تتبع خطوات النبي محمد صلى الله عليه وآله في معيشته خطوة بخطوة، فنجد في روايات عدة كيف عانت الزهراء عليها السلام من الجوع حتى الاصفرار والهزال والمرض وكان للإمام الحسن وهو طفل وصبي في كنف والدته نصيب من هذا الحرمان.

ولكن هذا الحرمان لم يثلم الصورة البهية لهذا البيت النبوي، لقد عاش الإمام الحسن عليه السلام حياة طيبة سعيدة حلوة لا يعكرها الفقر، ولا تغيرها الفاقة، ولا تضطرب بالحوادث، حياة يهب عليها نسيم الحب والوئام وتزينها العاطفة بجمالها المدهش[٣].

---

(١) سعيد رشيد زميزم، نساء حول الحسين، دار الجوادين، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، بيروت - لبنان، ص ١٢.

(٢) باقر شريف القريشي، حياة الإمام الحسن / ج١، ص ٧٠.

(٣) محمد كاظم القزويني، فاطمة عليها السلام، ص ١٢١.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز.

وعن الإمام الباقر عليه السلام **أن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب من نقل الحطب وأن يجيءَ بالطعام، فقال لها يوما: يا فاطمة هل عندك شي! قالت: والذي عظم حقك، ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شي نقريك به، قال: أفلا أخبرتني! قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسالك شيئا، فقال: لا تسألي ابن عمك شيئا، إن جاءك بشي وإلّا فلا تسأليه**[1].

إن شظف العيش الذي عاشته الزهراء عليها السلام وهي أمٌ لم يؤثر في كدحها في الليل والنهار جاهدة في إرضاء ربها عز وجل وتوفير أسباب الراحة لزوجها وبنيها، فلطالما دخل عليها النبي صلى الله عليه وآله ووجدها تطحن وعليها كساء من وبر الإبل، فبكي لحالها ويقول لها تصبراً: «**تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة**»[2].

وفي رواية مماثلة جاءت في (مناقب آل أبي طالب، ج٣ - ص٣٤١) في تفسير الثعلبي عن جعفر بن محمد عليه السلام وتفسير القشيري عن جابر الأنصاري أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **يا بنتاه تحملي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه** فأنزل الله: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى**﴾.

لقد كان الإمام الحسن عليه السلام وهو صبي يشارك والدته في معاناتها وضعف حالها وتكلفها ما لا تطيق من تحملها أعباء أسرتها الصغيرة وحيدة دون عون... حتى انطبع

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار - ج٤٣، ص ٣١ عن تفسير العياشي.

(٢) مريم نور الدين فضل الله، المرأة في ظل الإسلام، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت - لبنان، ص ١٨٥.

في ذهنه الصورة ذاتها التي وصفها بها والده الإمام علي عليه السلام حينما قال لرجل من بني سعد: «**ألا أحدثك عني وعن فاطمة أنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه وأنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها وكنست البيت حتى غبرت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتى وكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد. فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضر ما أنت فيه من هذا العمل فأتت النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حداثاً فاستحت وانصرفت...**».[1]

وهكذا قد نجد أن الإمام الحسن عليه السلام قد يبيت هو وأسرته أياماً وليال دون طعام، كما أفصحت بذلك والدته السيدة الطاهرة عليها السلام لسلمان المحمدي بالقول: «**يا سلمان والذي بعث محمد صلى الله عليه وآله بالحق نبياً إن لنا ثلاثاً ما أطعمنا، وأن الحسن والحسين قد اضطربا علي من شدة الجوع ثم رقدا كأنهما فرخان منتوفان...**».

وعن أنس إن بلال أبطأ عن صلاة الصبح فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّ بِلَالًا بَطَّأَ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله **مَا حَبَسَكَ** فَقَالَ مَرَرْتُ بِفَاطِمَةَ وَهِيَ تَطْحَنُ وَالصَّبِيُّ يَبْكِي فَقُلْتُ لَهَا إِنْ شِئْتِ كَفَيْتُكِ الرَّحَا وَكَفَيْتِنِي الصَّبِيَّ وَإِنْ شِئْتِ كَفَيْتُكِ الصَّبِيَّ وَكَفَيْتِنِي الرَّحَا فَقَالَتْ **أَنَا أَرْفَقُ بِابْنِي مِنْكَ فَذَاكَ حَبَسَنِي** قَالَ **فَرَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ**»[2].

نعم، لقد كانت سيدة نساء العالمين عليها السلام هي الأرفق بولدها عن كل البشر فما كانت لتدعه يفارق حضنها الدافئ حتى وهي تدير الرحى..، لقد شب الإمام الحسن عليه السلام على هذه الصور الإيمانية من تفاني والدته في أداء دورها كأم حانية ومؤمنة مطيعة لله ولرسوله ومتأسية به.

حتى وان شكت له لحظات ضعفها الإنسانية وهي تحدث أباها شاكية: **يا أبه لا**

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ٦٣.

(٢) محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة، مؤسسة بوستان، كتاب قم، ط١، ١٤٢٣هـ – قم المقدسة • إيران، ص ١٤٢. نقلاً عن: ذخائر العقبى، ص ٥١.

طاقة لي بخدمة البيت فاخدمني خادماً تخدمني وتعينني على أمر البيت، فيجيبها النبي صلى الله عليه وآله بأفضل من العون والخادم وخير منهما فيعلمها: **أن تسبحين الله عز و جل في كل يوم ثلاثاً و ثلاثين مرة و تحمدينه ثلاثاً و ثلاثين مرة و تكبرينه أربعاً و ثلاثين مرة فذلك مائة باللسان و ألف حسنة في الميزان يا فاطمة إنك إن قلتها في صبيحة كل يوم كفاك الله ما أهمك من أمر الدنيا و الآخرة**[1].

روى ابن شهرآشوب في مناقبه عن محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «بعث رسول الله سلمانا إلى فاطمة، قال: فوقفت بالباب وقفة حتى سلمت فسمعت فاطمة تقرأ القرآن من جوا وتدور الرحى من برا ما عندها أنيس. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «**يا سلمان ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها، تفرغت لطاعة الله فبعث الله ملكا اسمه زوقابيل** وفي خبر آخر: **جبرائيل فأدار لها الرحى وكفاها الله مؤونة الدنيا مع مؤونة الآخرة**»»[2].

وفي مصباح الأنوار عن أبي جعفر عليه السلام قال: **أقبلت فاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فعرف في وجهها الخمص** – قال: يعني الجوع – **فقال لها: يا بنية ها هنا فأجلسها على فخذه الأيمن فقالت يا أبتاه إني جائعة، فرفع يديه إلى السماء فقال: اللهم رافع الوضعة ومشبع الجاعة أشبع فاطمة بنت نبيك**، وقال أبو جعفر عليه السلام **فوالله ما جاعت بعد يومها حتى فارقت الدنيا.**

في مثل هذا الجو الرباني المشحون إيماناً وتعبيراً وتصبراً وفناء في ذات الله قضى الإمام الحسن عليه السلام طفولته المبكرة، حتى تناقل عنه حديثه المشهور عن عبادة والدته وطول وقوفها للصلاة ليلاً... قال «**رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها**

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ١٠٠. نقلًا عن: كشف الغمة: ج١، ص ٣٥٣ – ٣٦٣.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص ٣٣٨.

فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها: يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار»[1].

لقد أعطت مولاتنا الزهراء عليها السلام لولدها الإمام الحسن عليه السلام أمثولة حسنة وعبرة ونصيحة طيبة في تعبدها ودعائها، فكانت خير معلمة لأبنائها في إعطائها مثالاً حياً لسلوك تربوي إسلامي تناقلته الأجيال الإسلامية وحذت حذوها بعد أن انطبع في وجدان ولدها الحسن عليه السلام.

إن هذه الرواية تعكس عمق حسن الاتكال على الله عند مولاتنا الزهراء عليها السلام وكيف لم تقنط ولم تقنط أولادها من رحمته وانفراج الحال وتحقيق مبتغاهم، لقد أشاعت في نفوسهم الأمل في تحقيق مبتغاهم ولم تردهم بحقيقة سوء الحال...، وكم من أم معدمة عليها أن تتأسى بأم الحسن عليه السلام وتتعلم منها هذه الوسيلة التربوية في إشاعة الروح الإيجابية في بيتها وفي مخيلة أولادها بأن الفرج من عند الله هو أقرب من حبل الوريد.

لقد كانت الزهراء عليها السلام نِعْم الأم والمربية الصالحة للإمام الحسن عليه السلام الذي ما فتئت تناديه بنور عيني...، كانت لصيقة به وبسكناته وحركاته ولحظات غفوه وانتباهاته ولم تستحوذ عليه باهتمامها، فقد علمت أن ولدها الحسن سيكون ابناً للنبي محمد صلى الله عليه وآله كما هو ابن لها فأفسحت له خيارات أن يتشاركا (بنوة) الطفل الأول والسبط الأول بكل تفاصيلها الحياتية...، ووجدانها يحتفي بالرسول أباً وجداً وقدوة حسنة لوليدها الحسن... كما هو أبٌ رؤوفٌ بها وبكل المسلمين... ولهم فيه قدوة حسنة وهذا ما ستلتقطه حروفنا في المبحث التالي.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص ٨١.

المبحث الثاني

الحسن والزهراء عليهما السلام.. والأسوة الحسنة

إن التربية الصالحة للفرد هي رسالة المجتمع للأجيال، ولهذا كانت تربية (الزهراء – الأم) عليها السلام لابنها الإمام الحسن عليه السلام، رسالة تربوية عالية المضامين وذات مفاصل نبوية هامة أرختها الأحاديث النبوية الشريفة. لتعتقد الأذهان أن النبي محمد صلى الله عليه وآله ما كان يغادر بيت ابنته فاطمة قط..، وفاطمة وابنها الحسن عليه السلام لم يفارقا والدهما الحبيب محمد صلى الله عليه وآله قط..

إن اقتران حياة الإمام الحسن عليه السلام مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام في فترة زمنية قصيرة مع جدهما صلى الله عليه وآله جعل الحديث عن حياة أحدهما مقترنة بالآخر، حتى كاد من العسير الفصل في الروايات إلّا نذر يسير.

ونحسب هنا أن الزهراء عليها السلام التي عاشت حياتها المباركة لصيقة أبيها وحياته، فكان لها عنوان الأبوة والعطف والرحمة... والقدوة الحسنة، أرادت لولدها الحسن عليه السلام الارتباط العضوي والروحي ذاته مع سيد المرسلين، وهذا ما أثبتته الأقوال والشهادات المتواترة عبر التاريخ الإسلامي.

وقد أرادت الصدّيقة الطاهرة عليها السلام أن تحيط ولدها البكر وهو في مقتبل العمر بأطواق من الأساليب التربوية، التي ما اعتادت عليها مجتمعات مكة والمدينة.. فكان هناك طوق المحبة الفائقة الوصف وطوق الحماية والتعويذ من الشرور، وطوق التعليم

والمسؤولية وطوق التبشير بالمكانة العالية في آيات قرآنية محكمة وأحاديث نبوية مرسلة.

إن تطرقنا لهذا الجانب المشرق الوضاء من حياة الإمام الحسن عليه السلام، ليس تكراراً لما قيل بل للتأكيد على أن التربية النبوية للإمام والتي تميزت بأساليب مختلفة وجديدة على أوساطها، لم تكن منحصرة على ولد فاطمة عليها السلام فحسب، بل هي دروسش حية مستدامة لكل أسرة إسلامية بضرورة إتباعها في تنشئة الأجيال، لأن ما يصدر عن الأبوين تجاه الأبناء في الصغر سيحدد المعالم الشخصية لهم في الكبر.

فمن ترقب لولادته وتبشير بمقدمه ونظرة فاحصة إلى مراسيم ولادته، نتلمس الاهتمام الكبير الذي أولاه النبي محمد صلى الله عليه وآله بالإمام الحسن عليه السلام

ولا نغفل هنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد تفل في فيه وألباه بريقه[1]. وألباه هو أول الحليب الذي يخرج من الوالدة، والمقصود هنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أطعمه من ريقه الزكي قبل أن ترضعه أمه أو أي مرضعة أخرى. وهذه الممارسة ما زالت تجري في مجتمعاتنا الإسلامية، حيث شاع أن الطفل يتطبع بطباع وخلق ومزايا أول شخص يرضعه ريقه. وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**اللهم إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم**»[2] عندما لباه بريقه.

لقد كان الإمام الحسن بن علي عليه السلام خير الناس أباً وأماً وجداً وجدة وعماً وعمة وخالاً وخالة[3]، وهذا قول نبوي كان (الصبي – الحسن) يسمعه مراراً من جده وهو يلقيه على مسامع الجمع من حوله، ليؤكد عمق الارتباط المقدس بين الشخصيتين.

---

(١) يراجع كشف الغمة: ١ / ٥١٤، والبحار: ٤٤/ ١٣٦، والعوالم (الإمام الحسن): ١٣.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٥٦.
(٣) يراجع: كشف الغمة: ١ / ٥٢٢، والمناقب: ٣ / ١٦٥ نقلًا عن صحيح الترمذي.

فالحسن ابن رسول الله جسماً ومعنى، وتلميذه الفذ وربيب مدرسة الوصي التي شعت على الناس هدى ورحمة، وهذا الافتخار على لسان النبي صلى الله عليه وآله بقي يتردد على لسان الإمام الحسن عليه السلام حتى آخر خطبة، فما صعد المنبر إلّا وقال: **أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن أول المسلمين إسلاماً، وأمي فاطمة بنت رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين**[١].

وقد يقال إنها انتقال للصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء، ومن جيل إلى جيل، ولكن الأمر هنا مختلف، فإضافة إلى العوامل الوراثية، نجد أن الإمام الحسن عليه السلام هو صورة مكثفة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله شكلاً ومضموناً، يكاد تتطابق فيها صفاتهما الخَلقية والخُلقية، ويكفينا الاستدلال هنا إلى قول النبي صلى الله عليه وآله مخاطباً الحسن عليه السلام: «**أشبهت خَلقي وخُلقي**»[٢].

هذا القول الشهير والكلمة الحقة على لسان نبي الأمة يعدّان وسام استحقاق لمنصب الخلافة ودرساً للأمة الإسلامية في وجوب وراثة الرسالة المحمدية..، وهو في الوقت ذاته يشكل دافعاً معنوياً (للإمام – الصبي) بعمق الانتماء لجده النبي صلى الله عليه وآله.

وما كان الإمام الحسن عليه السلام ليغفل لحظة عن هذا الانتماء، وقد روي عنه قوله: «**من كان يباء بجدّ فإن جدي الرسول صلى الله عليه وآله أو كان يباء بأم فإن أمي البتول، أو كان يباء بزور فيزورنا جبرئيل**»[٣].

نعم إن ابن الزهراء عليها السلام ما كانت لتغيب عن ذاكرته أيام طفولته الأولى والتحاقه

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ٢٥٤.
(٢) راضي آل ياسين، صلح الحسن، ص ٢٢٦.
(٣) مناقب آل أبي طالب / ج٤، ص ٩. فصل في علمه وفصاحته عليه السلام وقد رواه الحاكم في أماليه.

بجده في ساعات نهاره وليله، روئ تملك الحس، هذا جده الأعظم، وهذا سلطان نبوته في قومه، وهذه نجوم الآي الكريمات تتنزل بين الفينة والفينة. كأنها بريد السماء إلى الأرض ولا تتنزل إلّا في بيته، وهذا أبوه، وزير النبي والمجاهد الأكبر الذي أخضع صناديد العرب لكلمات الله،.. وهذه أمه الطاهرة البتول، التي باهل بها الرسول فكانت بحق سيدة نساء العالمين[١].

ولو لم يكن من إرث وفخر يلحق بالإمام الحسن عليه السلام إلّا بنوته للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله، لكفاه فخراً هذا الانتماء الذي أكده رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً بالقول الثابت والمتواتر عنه: **إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه، وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب.**

حتى أن الصحابة تناقلوا قول رسولهم الكريم، فهذا عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **كل بني أُنثى فإن عصبتُهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا عصبتُهم وأنا أبوهم**[٢].

لذا نهج الصحابة والمسلمون الأوائل على تأكيد هذا القول في تسميتهم للإمام الحسن عليه السلام أو الإشارة إليه (بولد رسول الله) و(ابن النبي) لأنهم لا يستطيعون مخالفة قوله صلى الله عليه وآله: **ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من ابنتي فاطمة**[٣].

وقال الرازي في تفسير قوله تعالى: **{وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ... وَزَكَرِيَّا**

(١) راضي آل ياسين، صلح الحسن، ص ١٧٢.

(٢) الطبراني، أخبار الحسن بن علي بن أبي طالب، حققه وعلق عليه محمد شجاع ضيف الله، دار الأوراد للنشر والتوزيع، الكويت الحرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٦٩.

(٣) محمد مهدي الحائري، شجرة الطوبى، ج٢، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ص٣٧٨.

وَيَحْيَى وَعِيسَى بعد أن ذكر دلالة الآية على بنوة الحسنين للنبي صلى الله عليه وآله قال: «ويقال إن أبا جعفر الباقر عليه السلام استدل بهذه الآية عند الحجاج بن يوسف»(١).

وأرسل عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عليه السلام يعيبه بأشياء منها: أنه يسمي حسناً وحسيناً ولدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لرسول عمرو بن العاص: «**قل للشائن ابن الشائن: لو لم يكونا ولديه لكان أبتر، كما زعم أبوك**»(٢).

وفي بعض أيام صفين حين رأى ابنه الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإني أنفس بهذين يعني** – الحسن والحسين – **عن الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله** صلى الله عليه وآله(٣).

ولقد صدح الإمام الحسن عليه السلام في أكثر من مناسبة وأكثر من موقف بإظهار بنوته لرسول الله صلى الله عليه وآله وإثباتها، فقد قال محتجاً على معاوية: «... **فأخرج رسول الله** صلى الله عليه وآله **من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء فاطمة أمي من الناس جميعاً، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا**»(٤).

وقد أجمعت المعاجم كافة على تأكيد النبي المصطفى لحقيقة أبوته للإمام الحسن عليه السلام وأخيه، ففي معجم الطبراني بإسناده عن ابن عباس، وأربعين المؤذن، وتاريخ الخطيب بأسانيدهم إلى جابر:

---

(١) أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ص ٥٧. نقلًا عن تفسير الرازي: ١٣ / ٦٦، وفضائل الخمسة في الصحاح الستة: ١ / ٢٤٧.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة طريق المعرفة – دار الكتاب العربي، نجف – بغداد، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ج٢٠، ص ٣٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص ٢٥.

(٤) القندوزي الحنفي، ينابيع المودة ص ٤٧٩.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «**إن الله – عز وجل – جعل ذرية كل نبي من صلبه خاصة، وجعل ذريتي من صلبي ومن صلب علي بن أبي طالب، إن كل بني بنت ينسبون إلى أبيهم إلّا أولاد فاطمة، فإني أبوهم**»(١). كما إن إخراج الحسنين عليهما السلام إلى المباهلة بعنوان أنهما أبناء الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله مع أنهما ابنا ابنته الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام له دلالة هامة ومغزى عميق، حيث إنه «في الآية دلالة على أن الحسن والحسين – وهما ابنا البنت – يصح أن يقال: إنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه وعد أن يدعو أبناءه، ثم جاء بهما»(٢).

وقد استنتج علماء المسلمين الفضل للإمام الحسن عليه السلام وأخيه من المباهلة، ومنهم ابن أبي علان – وهو أحد أئمة المعتزلة.. حيث يقول: «هذا يدل على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلّا مع البالغين».

كما كان الإمام الحسن حاضراً في طفولته وصباه الأول مع جده النبي صلى الله عليه وآله وأمه الزهراء عليها السلام في وقائع وحوادث لا تنسى كالمباهلة وإشراكه في بيعة الرضوان، ثم شهادته على كتاب لثقيف، إلى غير ذلك من أقوال للنبي صلى الله عليه وآله فيه ومواقفه في المناسبات المختلفة.

ولكن يبقى طوق المحبة والإيثار الذي أبداه النبي صلى الله عليه وآله للإمام الحسن في طفولته ما يستوقف الأقلام والأفهام...، فالطفل في سنيه الأولى تتعزز مداركه ومؤهلاته وقدراته ما أغدق عليه من محبة.. ولقد أفاض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بسخاء على ولده الحسن عليه السلام في

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٤؛ نقلًا عن: تاريخ بغداد: ١ / ٣٣٣، المعجم الكبير للطبراني: ٣ / ٤٤ رقم ٢٦٣٠، أمالي الصدوق: ٤٥٠ ح ٦٠٩، روضة الواعظين: ٩٥، الاحتجاج للطبري: ١ / ٧٧.

(٢) أعلام الهداية، ٤/ ص ٥٥. نقلًا عن تفسير الرازي: ٨ / ٨١، وفتح القدير: ١ / ٣٤٧، وتفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري: ٣/ ٢١٤، ومجمع البيان: ٢ / ٤٥٢، والغدير: ٧/ ١٢٢ وعن القرطبي: ٤ / ١٠٤.

هذا الباب.

فكم درج الحسن بقدميه الصغيرتين على صدر جده العظيم، الذي يقول له: «**افتح فاك**»، فيقبله بفيه، ثم يقول: «**اللهم إني أحبه فأحبّه وأحبّ من أحبه**»[١].

ولقد أحب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إمامنا الحسن عليه السلام محبة لا منتهى لها حتى عوتب عليها يوم قيل له: «**يا رسول الله إنك تصنع بهذا** – يعني الحسن – **شيئاً لم تصنعه بأحد**»، فقال: «**إن هذا ريحانتي**»[٢].

وروى أبو بكرة، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرّة، وعليه أخرى، ويقول: **إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٣].

وفي شيء من التمعن في كلمات الرواية يظهر لنا شدة افتتان النبي محمد صلى الله عليه وآله بولده الحسن، حتى يكاد لا يكتفي من النظر إليه والاستزادة من رؤية محياه الحسن.

وفي سنن ابن ماجه، وفضائل أحمد، روى نافع عن ابي جبير عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وآله قال: «**اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه**»، قال: وضمه إلى صدره.

وفي الحلية بالإسناد عن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعاً الحسن على عاتقه فقال **من أحبني فليحبه**[٤].

---

(١) راضي آل ياسين، صلح الحسن، ص ١٧٤. نقلًا عن: الزمخشري والطبراني وينابيع المودة والإصابة (ج٢ ص ١٢) وغيرها.

(٢) ابن شهرآشوب، المناقب، ٤/ ص ٢٩. في محبة النبي إياه.

(٣) باقر القريشي، ص ٨٧. نقلًا عن الإصابة: ١: ٣٣٠، صحيح بخاري: ١: ١٥٢، ورواه أحمد ابن حنبل في مسنده: ٥: ٤٤.

(٤) ابن شهرآشوب، المناقب، ٤/ ص ٢٩.

وعن أنس بن مالك قال: سُئِل رسول الله صلى الله عليه وآله أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: **الحسن والحسين**، وكان يقول لفاطمة: **ادعي لي ابنيّ، فيشمهما ويضمهما إليه**[١].

ويبدو جلياً من الأحاديث المتواترة أن بحر الحب هذا بين النبي وولده لم تهدأ أمواجه لا بكرة ولا عشياً، في بيت أو في شارع..، بل حتى في المسجد وعند الصلاة والسجود أو الخطبة على المنبر[٢]...، كانت حالة الوجد والهيام بحب ابني فاطمة يجتاح جنبات الرسول محمد صلى الله عليه وآله فيصرح بحبه علانية دون مواربة ولِمَ لا والحسن بضعة الزهراء... حبيبته وبضعته وابنته الأثيرة.

ولقد استشعر الإمام الحسن عليه السلام على صغر سنه مديات هذا الحب فتعلق بطوقه وانجذب إليه انجذاباً شديداً حتى إذا ما خيره النبي صلى الله عليه وآله سائلاً إياه: «**يا حسن هل تمضي إلى كتف أبيك؟** فيجيبه: **والله يا جداه إن كتفك لأحب إلي من كتف أبي**»[٣].

وقد يمضي النهار جله والإمام الحسن عليه السلام عند جده يلعب حتى إذا مضى عامة الليل وهَمَّ بالانصراف إلى أمه مع أخيه برقت برقة ما زالت تضيء لهما حتى دخلا على فاطمة عليها السلام والنبي صلى الله عليه وآله ينظر إلى البرقة ويقول: **الحمد لله الذي أكرمنا أهل البيت**[٤].

وخير ما يلخص الكلام في حب سيد الأنام لولده الحسن الإمام.. قول الإمام

---

(١) القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ص ١٧٥. نقلًا عن: سنن الترمذي، ٥ / ٣٢٣ حديث ٣٨٦١.

(٢) ابن شهرآشوب، المناقب – ٤، ص ٣١. عن أبي قتادة أن النبي قبّل الحسن وهو يصلي. وكم من مرة كان الرسول صلى الله عليه وآله يقطع حديثه وينزل من المنبر ليحمل الحسن والحسين ويقول: صدق الله ﴿**أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ١٩٢. نقلًا عن: عيون الأخبار ج٢ ص٢٩ باب ٣١ حديث ١٢١.

علي عليه السلام حيث قال: **سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي لقد أذهلني هذان الغلامان** – يعني الحسن والحسين – **أن أحب بعدهما أحداً إن ربي أمرني أن أحبهما وأحب من يحبهما**[1].

لقد أظهر النبي محمد صلى الله عليه وآله لولده الحسن أرقى معاني الود طوال السنوات السبع الأولى من عمره، وكان حريصاً على تطويقه بطوق الحماية والتعويذ من الشرور، منذ الولادة حتى الصبا...، فقد روى الجنابذي بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا عبدالرحمن ألا أعلمك عوذة كان يعوّذ بها إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق وأنا أعوذ بهما ابني الحسن والحسين قل: كفى بسمع الله واعياً لمن دعا ولا مرمى وراء أمر الله لرام رمى**[2].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: **قال أمير المؤمنين عليه السلام: رقا النبي صلى الله عليه وآله حسناً وحسيناً فقال: أعيذكما بكلمات الله التامة وأسمائه الحسنى كلها عامة من شر السامة والهامة، ومن شر كل عين لامة، ومن شر كل حاسد إذا حسد. ثم التفت النبي صلى الله عليه وآله إلينا فقال: هكذا (كان) يعوّذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهم السلام**[3]. وكم من مرة انتزع النبي صلى الله عليه وآله ولده الإمام الحسن من عاتق أمه وأخذ يناغيه قائلاً: «**حزقة حزقة، ترق عين بقة**».

ويبدو من تواتر الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله ما كان يعوّذ الإمام الحسن عليه السلام في البيت أو بين أهله وأسرته فحسب، بل أنه يرقيهم ويحصنهم في كل مكان وأينما وجدهم،

---

(١) المجلسي، بحار الانوار، ص ١٩٣. نقلًا عن كامل الزيارات ص ١١٣ باب ١٤، حديث ١.

(٢)المصدر نفسه – ج١٨، ص ٢١٧. نقلًا عن كشف الغمة ج١، ص ٥٢٢، فصل في ما ورد في حق الحسن عليه السلام.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٠. نقلًا عن: أصول الكافي ج٢، ص ٥٦٩ باب الحرز والعوذ، حديث٣.

وكثيراً ما شهد منه الصحابة تعويذه للحسنين بالمعوذتين (الفلق والناس)[١]، ومن كثرة ما عوذهما بهما قال ابن مسعود: إن هاتين السورتين ليستا من القرآن، بل هما عوذتان للحسنين عليهما السلام. ولكن لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة، وصح عن النبي صلى الله عليه وآله أنهما من القرآن[٢].

كما روي في المناقب عن ابن عمر قوله: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ مر به الحسن والحسين، وهما صبيان فقال: **هات ابنيّ أعوذهما بما عوذ به إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق،** فقال: «**أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل عين لامة، ومن كل شيطان وهامة**»[٣].

لقد عاش الإمام الحسن عليه السلام من عمره الشريف مع جده المصطفى صلى الله عليه وآله سبع سنين وأشهراً، وقيل ثماني سنين[٤]. وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله يشركه في جلساته واوقات تعبده، ليكون صورة مصغرة عنه في الطباع والتطبع.

جاء الحسن بن علي عليهما السلام يمشي على هدوء ووقار فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: «**إن جبرئيل يهديه وميكائيل يسدده، وهو ولدي والطاهر من نفسي وضلع من أضلاعي هذا سبطي وقرة عيني بأبي هو**»[٥].

ومن هنا جاء اهتمام الصديقة الطاهرة عليها السلام في جعل أبيها القدوة الحسنة والمتبعة

(١) عايدة طالب، الإمام الحسن في محنة التاريخ، ص ٦٤. نقلًا عن: الميزان في تفسير القرآن ج٢٠/ ص ٣٩٤.

(٢) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٩/ ص ٥٠. نقلًا عن: تفسير التبيان للطوسي: ١٠ / ٤٣٤، تفسير جامع الجوامع: ٣ / ٨٨١، تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٤٩٤.

(٣) عايدة طالب،ص ٦٤.

(٤) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٤/ ص ٣٣.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ٢٣٩.

لبناء شخصية ولدها الحسن نفسياً وروحياً، جسدياً وعقلياً...، فعن أبو السعادات في الفضائل، «إن الحسن عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين فيستمع الوحي فيحفظه فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه، كلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علماً بالتنزيل فيسألها عن ذلك... فقالت: **من ولدك الحسن..**»[1].

وفي هذا العمر المبكر لم يكن الإمام الحسن عليه السلام يتعلّم فقط بل ويُعلم أيضاً، والأذهان تذهب هنا إلى رواية تعليمه هو وأخيه الإمام الحسين عليه السلام كيفية الوضوء الصحيح للشيخ الكبير.

وهناك مصادر تاريخية تشير إلى أن الإمام الحسن عليه السلام قد بدأ بحفظ الشيء الكثير مما سمعه من جد صلى الله عليه وآله وعمره الشريف أربع سنين[2].

وليس هذا الأمر بمستغرب من ابن النبي وفلذة كبده، وربيب مدرسة النبوة، حيث ترعاه وتتولى تعليمه خيرة عقول البشرية من خاتم الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدة النساء.

ولما كان الإسلام ديناً متكاملاً يبحث عن التكامل في شخصية الإنسان المسلم، فإن البيت المحمدي كان يلقي على أذهان الإمام الحسن عليه السلام أولى المعارف الدينية، ما كان ليغفل عن تنشئة البدن وصحته، وبيت النبوة هو الرمز للبطولة والشجاعة..، فتحدثنا السيرة النبوية عن لوحة أبوية رائعة تشهدها الزهراء عليها السلام، هي اصطراع الإمام الحسن مع أخيه الإمام الحسين عليهما السلام، والنبي يراقب ويشجع ويملأ الجو حماسة ونشاطاً حتى تعجب من فعله ابنته الزكية فتتساءل مبتهجة: «**يا رسول الله تقول: إيهاً حسن وهو أكبر**

(١) بحار الانوار ج١٨، ص ٢٤٢.

(٢) ينظر باقر القريشي، الإمام الحسن، ج١/ ص ٦٨. نقلًا عن: أسد الغابة: ٢: ١١ ؛ صحيح مسلم: ٢: ٧٥١ ؛ الإصابة، ١: ٣٢٩ ؛ تاريخ اليعقوبي، ٢: ٢٠١.

الغلامين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أقول: إيهاً حسن، ويقول جبرئيل: إيهاً حسين**»[١].

إن تشجيع النبي صلى الله عليه وآله للإمام الحسن عليه السلام في اصطراعه مع أخيه الحسين عليه السلام، لهو تأكد على أهمية تنمية قابلية الطفل بدنياً، في جو من المرح واللهو واللعب للولد بين والديه وعائلته، فهذا الأمر مما يعزز ثقته في نفسه ويقوي شخصيته..، وإلى سنوات قريبة كان الآباء يفعلون فعل النبي في تشجيع الأبناء على الاصطراع فيما بينهم والفوز بهدية ما.

إن هذه الممارسة التربوية النبوية الحميدة قد اختفت من حياتنا بظهور الأجهزة والألعاب التقنية الحديثة التي تغلق عالم الطفل على ذاته، وتثقل روحه الطرية بشتى الأمراض، وتبعده عن جو الأسرة الحميم، وتصيبه بالتوحد والأنانية وشتى علامات التغريب.

ومن هنا كان يقال للإمام الحسن عليه السلام إن فيك عظمة، فيجيب: بل فيّ عزّة قال الله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢].

نعم لقد أغدق النبي محمد صلى الله عليه وآله على ولده الإمام الحسن عليه السلام نصيباً وافراً من محبته ولطفه ورعايته، وأسبل عليه فيض من روحه وملكاته حتى اشتهر قول واصل بن عطاء في السبط الحسن عليه السلام: عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك[٣].

ومن هيبته أنه كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما مر أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمر الناس[٤].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٩١. نقلًا عن: أمالي الطوسي، ص ٥١٣ مجلس ١٨، حديث ٣٠.

(٢) ابن شهرآشوب، المناقب ، ج٤/ ص ٩.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ٢٤٢.

(٤) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٩/ ص ١١.

وقد قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: **وكان الحسن عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وهدياً وسؤدداً**[١].

لقد ورث الإمام الحسن عليه السلام من أبيه النبي محمد صلى الله عليه وآله كل شيء ولكنه خصه بخصال الهيبة والسؤدد عندما سألته الزهراء عليها السلام ذلك قائلة: «**يا رسول الله هذان ابناك فانحلهما** فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أما الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي...**»[٢].

وفي حديث آخر..: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أما الحسن فأنحله الهيبة والعلم** (أو الحلم) وفي الخصال أن فاطمة عليها السلام أتت بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه الذي توفي فيه فقالت: **يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً** فقال: **أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي...**[٣]

وإن كان النبي المصطفى صلى الله عليه وآله قد أكد مراراً على إمامة الإمام الحسن وسيادته في الدنيا والآخرة وأعطى الدلائل الواضحة على محبته الجالبة للنجاة والفوز.. فإنه أخذ يزيد من تحذيره المؤمنين والمسلمين من تبعة بغضه.. كلما اقترب موعد التحاقه بالرفيق الأعلى...، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: **إن ابنّي هذين ربيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين، وسألت الله لهما ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت الله لهما أن يجعلهما طاهرين زكيين فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذريتهما وشيعتهما النار فأعطاني ذلك، وسألت الله أن يجمع الأمة على محبتهما فقال: يا محمد إني قضيت قضاءً وقدرت قدراً وإن طائفة من أمتك ستفي لك بذمتك في اليهود والنصارى والمجوس وسيخفرون ذمتك في ولدك، وإني أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك ألا أحله محله كرامتي، ولا أسكنه**

---

(١) المفيد، الإرشاد، ص ١٨٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٨٩.

(٣) المصدر نفسه، نقلًا عن: الخصال، ج١/ ص ٧٧ باب ٢، حديث ١٢٢.

جنتي، ولا أنظر إليه بعين رحمتي يوم القيامة[١].

وعن جابر الأنصاري كذلك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إن الجنة تشتاق إلى اربعة من أهلي قد أحبهم الله وأمرني بحبهم: علي بن أبي طالب، والحسن والحسين، والمهدي صلوات الله عليهم الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام**[٢].

وجاء في كشف الغمة قول عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **إن فاطمة وعلياً والحسن والحسين في حظيرة القدس، في قبة بيضاء سقفها عرش الرحمن عز وجل.**

وقد أنذر وبشر نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وجعل من محبة الإمام الحسن عليه السلام وبغضه فيصلاً ما بين الجنة والنار، فعن أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه) قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل الحسن والحسين بن علي وهو يقول: **من أحب الحسن والحسين وذريتهما مخلصاً لم تلفح النار وجهه، ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج إلا أن يكون ذنباً يخرجه من الإيمان.**

وفي قول آخر عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **من أبغض الحسن والحسين جاء يوم القيامة وليس على وجهه لحم ولم تنله شفاعتي**[٣].

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**[٤].

وروى جابر الانصاري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم بعرفات وعلي تجاهه: «**أدن مني يا علي، خلقت أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين**

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ١٩٩. نقلًا عن: مجالس المفيد ص ٧٨ مجلس ٩، حديث٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(٣) المجلسي، ص ١٩٤. نقلًا عن كامل الزيارات ص ١١٤ باب ١٤، حديث ٤ و ٧.

(٤) المجلسي، ص ١٩٠. نقلًا عن: أمالي الطوسي ص ٢٥١. مجلس ٩، حديث ٣٨.

أغصانها، فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة»[١].

لقد كان الإمام الحسن عليه السلام عنوان محبة دائمة وموضع سرور لا ينقطع عن قلب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حتى لحظاته الأخيرة.. أخذ النبي صلى الله عليه وآله يقبله في فمه ويقبل أخيه في نحره، ليثير في أذهان المسلمين أمد الدهر قضية مهمة ترتبط بسبب استشهادهما عليهما السلام وإعلاماً منه عن تعاطفه معهما، وتأييده لهما في مواقفهما وقضاياهما. والكل يعلم أن الرسول صلى الله عليه وآله لم ينطلق من مواقفه من منطلق الأهواء الشخصية، والنزعات والعواطف الذاتية، وإنما كان ينبه الأمة على عظمة هذين الإمامين ومقامهما الرفيع[٢].

وبقي حب النبي المصطفى صلى الله عليه وآله لولده الحسن يتجلى حتى الرمق الأخير عندما دعاه وأخيه إليه قرب موته، فقبلهما وشمهما، وجعل يرشفهما وعيناه تهملان[٣].

وهنا يمكن للأذهان الواعية أن تستحضر عظم حزن الإمام الحسن عليه السلام لفقد جده الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وفقدانه لكل ذاك الزخم الطاغي من الحب والشغف، فما كان منه إلا أن اتجه ساعياً إلى منبر جده باكياً، فوجد الخليفة أبا بكر يخطب على المنبر، فقال له: **إنزل عن منبر أبي**، فأجابه أبو بكر: صدقت والله، إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي[٤].

هذا والإمام الحسن عليه السلام لم يعرف عنه ما يماثل هذا الموقف طوال عمره الشريف، حيث روي أن الحسن عليه السلام لم يسمع قط منه كلمة فيها مكروه إلا مرة واحدة، فإنه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة في أرض فقال له الحسن: **ليس لعمرو عندنا إلا ما**

---

(١) باقر القريشي، ص ٩٥. نقلًا عن: مسند أحمد بن حنبل، ١: ٧٧.

(٢) أعلام الهداية، ٤، ص ٥١.

(٣) ابن شهرآشوب، المناقب، ص ٤٧، فصل ٢ في محبة النبي صلى الله عليه وآله إياهما عليهما السلام.

(٤) أعلام الهداية، ٥/ ص ٦٢. نقلًا عن تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨، الصواعق المحرقة: ١٧٥.

يرغم أنفه[1].

واقتطع الأجل المحتوم أحد جناحي فراشة الطفولة الزاهية من عمر الإمام الحسن عليه السلام، ودع أباه وجده ونبيه ومعلمه ورفيق ضحكته وسلوة أيامه..، توفي حبيب طفولته مغادراً.. فغادرت أيامه الفرحة والوئام والاستقرار..

وكان على الصبي الحسن أن يعلق أنامله الرقيقة بأطراف حبال الصبر الجميل، ويتمسك بقوة بجناح الفراشة التوأم.. لقد ركن إلى كنف أمه يصب حزنه إلى حزنها على فراق أحب الخلق وخير الخلق...

ليكن مع الزهراء عليها السلام، يعتصر آخر قطرات طفولته وصباه.. يبقى متأملاً وجهها النضر ولو إلى حين.

(١) ابن شهرآشوب، المناقب، ٤/ ص٢٣. في مكارم أخلاقه عليه السلام.

المبحث الثالث

فراق وجه الحبيبة

أطبقت الأحزان على قلوب جميع المسلمين، بفقدهم لرسول الله صلى الله عليه وآله، وحلت المصيبة على بيت النبوة بفقد الحبيب محمد صلى الله عليه وآله، فضجت بيوت المدينة ومكة بالبكاء.. وكان الخطب أكثر ألماً ووجعاً على قلب فاطمة الزهراء عليها السلام فما رُئيت حتى الممات إلا باكية نادبة منتحبة حزناً مع زوجها وولديها على فراق أبيهم.

ولقد كان الإمام الحسن عليه السلام شديد البكاء على النبي صلى الله عليه وآله في لحظات الوداع الأخيرة، حتى قال له الإمام علي عليه السلام: **كف يا حسن فقد شققت على رسول الله** صلى الله عليه وآله[1].

كيف لا، وهو يرى رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي علياً قبل موته قائلاً: **السلام عليك أبا الريحانتين أوصيك بريحانتيَّ من الدنيا، فعن قليل ينهد ركناك عليك**[2].

فهل وعت ذاكرة الصبا فحوى هذه الكلمات. هل عرف الحسن مغزاها فتوجس من وقوعها خيفة؟

بالطبع كان الإمام الحسن وكل بيت فاطمة يتهيأ صابراً لوقع أيام ما بعد وفاة الأب الرؤوف الحنون، وكان من الممكن أن يكون أي أحد من المسلمين هو من يتبع النبي المصطفى صلى الله عليه وآله إلى تراب قبره ومثواه الأخير، إلا أن تسلسل الأحداث أبى إلا أن يكون

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٢، ص ٥٢١.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣/ ص ٣٥٧.

الإمام الحسن عليه السلام هو آخر وأقرب من يودع خاتم النبيين، فينزل قبره في رواية الخاتم[١].

وكما تشرف الإمام الحسن عليه السلام بوداع النبي صلى الله عليه وآله كذلك تشرف بالصلاة عليه، فقد روي أنه صلى الله عليه وآله أوصى علياً بالصلاة عليه، فقال: **يا علي كُن أنت وابنتي فاطمة والحسن والحسين**، وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبّر خمساً وانصرف[٢].

وكان الذي ولى غسله الإمام علي عليه السلام وقد حضر تجهيز النبي صلى الله عليه وآله ودفنه الإمام الحسن عليه السلام[٣].

ولقد رأينا مبلغ الحزن والأسى الذي ضرب أطنابه في حنايا الحسن حتى أنه لم يتمالك نفسه وهو يرى منبر النبي محمد صلى الله عليه وآله خالياً من حضوره، فيقف مقابل أبي بكر وهو يخطب على المنبر قائلاً له بلوعة واضحة تشف عن مقدار المصيبة التي حلت عليه: انزل عن منبر أبي. فأجابه أبي بكر: صدقت، والله إنه لمنبر أبيك، لا منبر أبي، فبعث علي إلى ابي بكر إنه غلام حدث، وإنا لم نأمره، فقال أبو بكر: إنا لم نتهمك[٤].

وهكذا انطوت من حياة الإمام الحسن عليه السلام بوفاة أبيه المصطفى صلى الله عليه وآله الصفحة الأولى التي كانت من أسعد أيامه كلها وأنصعها. ليعقبها انطواء صفحة لاحقة.. سريعة

---

(١) روي أنه لما دُفن صلى الله عليه وآله وخرج علي عليه السلام من قبره ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبره صلى الله عليه وآله فقال لعلي: خاتمي! فقال له علي عليه السلام: **إنما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه، فيقال نزل في قبر النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده، لا تنزل فيه أبداً** ومنعه. ثم قال علي لولده الحسن عليه السلام: أدخل فناوله الخاتم ففعل. طبقات ابن سعد، ج٢/ ص ٣٠٢.

(٢) ماجد ناصر الزبيدي، ٥٠٠ سؤال..، ص ٥٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ص ٢٢٥.

(٤) راضي آل ياسين، ص ٣١. نقلًا عن: تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٨٠ و١٤٣. تاريخ بغداد ج١، ص ١٤١، والصواعق المحرقة، ص ١٧٥.

اللحاق.. عندما فارقه وجه الحبيبة فاطمة، ففجع في سنة واحدة بالنبي وابنته[١].

لقد انتقل الرسول صلى الله عليه وآله من هذه الدنيا وسبطه الحسن عليه السلام في مطلع صباه في السابعة من عمره والنصف على قول. أو في الثامنة من عمره إلا خمسة أشهر على قول آخر.

نعم، كان لوفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقع مؤلم في روح الإمام الحسن الطاهرة، وهو لم يكن بعد قد أنهى ربيعه الثامن[٢]. وأخذ يتربص بأيامه المنصرمة سراعاً، لا يكاد يرى أمه فيها إلا باكية نادبة ناحلة، متعجلة الرحيل إلى أبيها بعد أن أخبرها أنها أول أهل بيته لحوقاً به.

ففي البخاري ومسلم والحلية ومسند أحمد بن حنبل روت عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله دعا فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها فضحكت فسألت عن ذلك: فقالت: **أخبرني النبي صلى الله عليه وآله أنه مقبوض فبكيت ثم أخبرني أني أول أهله لحوقاً به فضحكت**. وفي كتاب ابن شاهين قالت أم سلمة وعائشة: إنها لما سئلت عن بكائها وضحكها قالت: أخبرني النبي صلى الله عليه وآله **أنه مقبوض ثم أخبر أن بني سيصيبهم بعدي شدة فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله لحوقاً به فضحكت**[٣].

وفي أمالي الطوسي عن المفيد عن الصدوق، عن...، عن عبدالله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال **أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة بنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي**، فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لا تبكي يا بنية**، فقالت: **لست أبكي لما يصنع بي من بعدك،**

(١) ماجد ناصر الزبيدي، ص ٦٧.

(٢) أعلام الهداية، ص٥، الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ص ٦٤.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/ ص ١٣١. نقلًا عن: مناقب آل أبي طالب ج٣، ص ٣٥٧.

ولكني أبكي لفراقك يا رسول الله، فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي[١].

وفي قصص الأنبياء عن ابن عباس قال: دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه، قال: **نعيت إلي نفسي**، فبكت فاطمة، فقال لها: **لا تبكن فإنك لا تمكثين من بعدي إلا اثنين وسبعين يوماً ونصف يوم حتى تلحقي بي، ولا تلحقي بي حتى تتحفي بثمار الجنة فضحكت فاطمة عليها السلام**[٢].

وترانا نجزم القول أن ضحكتها في ذاك اليوم كانت هي الضحكة الأخيرة في حياتها، فما رئيت بعدها ضاحكة قط.

أخذ الإمام الحسن عليه السلام يشبع ناظريه من والدته الصديقة الطاهرة عليها السلام وهي تذوي يوماً بعد يوم حزناً على وفاة الحبيب محمد صلى الله عليه وآله، أياماً معدودات من عمر الزمن كانت بالنسبة له زمناً آخر سيودعه، إلى حيث لا رجعة، فبعدها سيودعه وفي حناياه سيحمل راحلاً وجه الحبيبة فاطمة.

وقد اختلفت الروايات في مدة بقائها بعد أبيها، ففي مقاتل الطالبيين قال أبو الفرج: كانت وفاة فاطمة عليها السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بمدة يختلف في مبلغها فالمكثر يقول: ثمانية أشهر، والمقلل يقول أربعين يوماً إلا أن الثابت في ذلك ما روي عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام **أنها توفيت بعده بثلاثة أشهر حدثني بذلك الحسن بن علي**، عن الحارث عن ابن سعد عن الواقدي عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام[٣].

---

(١) بحار الانوار للمجلسي ج١٨، ص ١١٤. نقلًا عن أمالي الطوسي ص ١٨٨ مجلس ٧، حديث١٨.

(٢) قصص الأنبياء، ص ٣٠٩، فصل ١٥، حديث ٣٨٢.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ١٥٤. نقلًا عن مقاتل الطالبيين، ص ٣١.

وذكر وهب بن منبه، عن ابن عباس أنها بقيت أربعين يوماً بعده، وفي روايه ستة أشهر[١].

ولا يمكن التطبيق بين أكثر تواريخ الولادة والوفاة ومدة عمرها الشريف، ولا بين تواريخ الوفاة وبين ما مر في الخبر الصحيح أنهاعليها السلام عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً[٢].

وفي رواية أنها توفيت عليها السلام وعمرها ثمانية عشرة عاماً وسبعة أشهر، وعاشت بعده اثنين وسبعين يوماً، ويقال: قد قيل أربعين يوماً وهو أصح، وتوفيت ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة من الهجرة، ومشهدها بالبقيع، وقالوا: إنها دفنت في بيتها، وقالوا قبرها بين قبر رسول الله ومنبره.

وفي كشف الغمة نقلت من كتاب الذرية الطاهرة للدولابي قال: لبثت فاطمةعليها السلام بعد النبيصلى الله عليه وآله ثلاثة أشهر، وقال ابن شهاب: ستة أشهر، وقال الزهري: ستة أشهر، ومثله عن عائشة، ومثله عن عروة بن الزبير، وعن أبي جعفر محمد بن عليعليه السلام خمساً وتسعين ليلة في سنة عشرة، وقال ابن قتيبة في معارفه: مائة يوم، وقيل ماتت في سنة إحدى عشرة ليلة الثلاثاء لثلاث ليالٍ من شهر رمضان، وهي بنت تسع وعشرين سنة أو نحوها[٣].

واعلم أن في مدة بقائها صلوات الله عليها بعد أبيها خلافاً عظيماً بين الخاصة والعامة،وقد اتفق كل من الفريقين على أن عمرهاعليها السلام بعد أبيها لم يكن أكثر من ستة

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ١٥٤. نقلًا عن مقاتل الطالبيين، ص ٣١.
(٢) المجلسي، ج٤٣/ ص ١٥٥.
(٣) محمد باقر البهبهاني، محمد، علي، فاطمة – سيرتهم – حياتهم – مصائبهم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٣.

أشهر ولا أقل من أربعين يوماً، بأن أكثر الأحاديث المعتبرة قد دلت على أن بقاءها بعد أبيها كان خمسة وسبعين يوماً.

وعن كتاب دلائل لإمامة للطبري مسنداً عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **قبضت فاطمة عليها السلام في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة، وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقط محسناً ومرضت مرضاً شديداً من ذلك، ولم تدع أحداً ممن آذاها يدخل عليها حتى ماتت**(١).

وقال المجلسي رحمه الله في جلاء العيون: واعلم أن في مقدار عمرها وسنة الوفاة خلافاً كثيراً، وقد دلت أكثر الروايات المعتبرة على كون عمرها، إلى وقت الوفاة ثماني عشرة سنة، وقال بعضهم تسع وعشرين سنة، قيل ثلاثين سنة، وقيل سبعة وعشرين سنة، وقيل عشرين سنة، وقيل خمس وعشرين سنة، والأصح الأشهر بين الإمامية القول الأول(٢). ففي قول منسوب للإمام علي عليه السلام: **أنها توفيت بعد النبي صلى الله عليه وآله بخمسة وسبعين يوماً**(٣).

وإن كانت الأيام الباقية للزهراء عليها السلام بعد أبيها شهراً أو ستة أشهر.. فما كانت إلا أياماً سواء في قتامتها وسوداويتها...، هكذا كان يراها الإمام الحسن عليه السلام وعنهما نقل إلى الأجيال، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: **ما رئيت فاطمة عليها السلام ضاحكة قط منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قبضت**(٤).

---

(١) محمد باقر البهبهاني، محمد، علي، فاطمة – سيرتهم – حياتهم – مصائبهم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٣.

(٣) أخبار الطبراني، ص ٩٤.

(٤) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طلب، ج٣/ ص ٣٦١، فصل في حليتها وتواريخها عليها السلام.

كما روي أنها ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة...، وكان الإمام الحسن عليه السلام الشديد التعلق بأمه الزهراء عليها السلام، قد ازداد تعلقاً بها بعد فقد النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وما كان ليفارقها في حزنها وندبها.. ولذلك كانت تشركه وأخيه في ذاك الندب الحزين قائلة لهما: **أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة؟ أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما**[1].

وكأننا نستشف من الروايات جواب الحسن عليه السلام لأمه دموعاً مدرارة وحزناً حارقاً دفيناً أظهرته الزهراء عليها السلام في أدق تجلياته وهي تتحرى مواضع الذكرى واسترجاع الوجود المحمدي، ولو كان قميصاً تشمه أو آذان تسمعه.

فمن بعض كتب المناقب،... عن علي عليه السلام قال: **غسلت النبي صلى الله عليه وآله في قميصه، فكانت فاطمة تقول: أرني القميص، فإذا شمته غشي عليها، فلما رأيت ذلك غيبته**[2].

كما روي أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وآله امتنع بلال من الأذان، قال لا أُؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن فاطمة عليها السلام قالت ذات يوم: **إني أشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي صلى الله عليه وآله بالأذان**، فبلغ ذلك بلالاً، فأخذ في الأذان، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباها وأيامه، فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: اشهد أن محمداً رسول الله شهقت فاطمة عليها السلام وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال فقد فارقت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا، وظنوا أنها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمه فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته أن يتم الأذان فلم يفعل، وقال لها: يا سيدة النسوان إني أخشى

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٥. نقلًا عن: مقتل الحسين للخوارزمي ج١، ص ٧٧.

عليك مما تنزليه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك[١].

كان الإمام الحسن عليه السلام يعلم على صغر سنه أن حزن والدته والتي كانت أقرب النساء إليه، ما كان حزناً عادياً أو مفتعلاً أو استعراضياً أو مرتجلاً.. فلقد أظهرت أمه الحبيبة كامل الصورة التي أنبأها بها النبي صلى الله عليه وآله في وصاياه الأخيرة:.. **فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم علي محزونة، مكروبة، مغمومة، مغصوبة، مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غصبها، وذلل من أذلها، وخلّد في نارك من ضرب جنبها حتى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين**[٢].

ولذا عُدَّت الصديقة فاطمة عليها السلام من رأس البكائين الثمانية: آدم ونوح ويعقوب ويوسف وشعيب وداود وفاطمة وزين العابدين عليهما السلام، قال الصادق عليه السلام: **أما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة**[٣].

وجاء في كتاب الأمالي للصدوق أن الإمام الصادق عليه السلام قال: **البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وأما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فقد بكت على أبيها حتى تأذى منها أهل المدينة، وقالوا لها: لقد آذيتنا بكثرة بكائك**[٤].

وما كانت الصديقة الزهراء عليها السلام لتهدأ أو تنقطع عن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والندب

---

(١) بحار الانوار، نقلًا عن: من لا يحضره الفقه ج١ ص ١٩٤ باب الأذان والإقامة وثواب المؤذنين، حديث ٤٤.

(٢) أمالي الصدوق، ص ١٧٤، مجلس ٢٤، حديث ٢.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ٣١.

(٤) مريم نور الدين فضل الله، المرأة في ظل الإسلام، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت - لبنان، ص ٢٠٨.

عنده حد الغشيان والإمام الحسن عليه السلام رفيق خطوها اليومي هذا ودمعتها الساكبة.. يراها ملتاعة.. ويسمعها نادبة:

«رُميت يا أبتاه بالخطب الجليل، ولم تكن الرزية بالقليل، وطرقت يا أبتاه بالمصاب العظيم، وبالفادح المهول. بكتك يا أبتاه الأملاك، ووقفت الأفلاك، فمنبرك بعدك مستوحش، ومحرابك خالٍ من مناجاتك وقبرك فرح بمواراتك، والجنة مشتاقة إليك وإلى دعائك وصلاتك.

ويا أبتاه ما أعظم ظلمة مجالسك، فوا أسفاه عليك إلى أن أقدم عاجلاً عليك وأثكل أبو الحسن المؤتمن، أبو ولديك، الحسن والحسين...»[1].

وما غابت أبد الدهر عن ناظري الإمام الحسن عليه السلام صورة الصبا هذه، وهو يرى والدته الزهراء عليها السلام آخذة بالبكاء والعويل ليلها ونهارها، وهي لا ترقأ دمعتها ولا تهدأ زفرتها..، فكانت الصورة الأكثر ألفاً للمرأة الأم والابنة الوفية والزوجة المنكوبة.

وكما لم يفارق الحسن أمه في ندبها عند قبر النبي وفي بيتها، كذلك لم يفارقها قط في رحلتها اليومية بكرة وعشياً إلى بيت الأحزان. بعد أن ضجرت القلوب القاسية في المدينة وتبرمت من بكاء الابنة الحبيبة على أبيها الحبيب.

تذكر الروايات اجتماع شيوخ أهل المدينة[2]، حيثُ أقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة عليها السلام تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فراشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنا نخيرك أن

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار – ج١٨، ص ١٢٩. باب ما وقع عليها عليها السلام من الظلم وبكائها وحزنها.

(٢) المصدر نفسه.

تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً فقال عليه السلام: **حباً وكرامة**. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء ولا ينفع فيها العزاء فلما رأته سكنت هنيئة له، فقال لها: **يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إن شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك أن تبكي أباك ليلاً وإما نهاراً**. فقالت: **يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله**، فقال لها علي عليه السلام: **افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك**[1].

فما كان من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلا أن بنى لها في البقيع بيتاً نازحاً عن المدينة سمي بـ(بيت الأحزان) وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها[2].

ولم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد موت أبيها سبعة وعشرون يوماً، واعتلت العلة التي توفيت فيها..، كل يوم من هذه الأيام الحزينة يذكرها الإمام الحسن عليه السلام، فكم اصطحبته ممسكة به بيد والأخرى بيد أخيه الحسين إلى (بيت الأحزان) يمضيان النهار، ثم يعودون بعد أن تصب السيدة فاطمة عليها السلام دموعها على مصائب الدهر التي أحالت نهاراتها إلى ليالٍ سوداء...، ويستذكر في مخيلته الطرية الندية... أياماً ندية تضج بالعافية والحبور والإيمان...

ويستذكر يوماً تعلقت أنامله بأناملها يشهدان معاً نزول الآيات فيهم خاصة،.. كان الإمام الحسن عليه السلام معها في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**

(١) محمد كاظم القزويني، فاطمة عليها السلام من المهد إلى اللحد، ص ٣٧٩، نقلًا عن: المجلسي، بحار الأنوار – ج٤٣/ ص١٧٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨، ص ١٢٩.

وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١). ولما نزلت هذه الآية تساءل القوم: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: **علي وفاطمة وابناهما...**(٢).

ففي الصواعق المحرقة لابن حجر: عن الإمام الحسن عليه السلام أنه خطب خطبة قال فيها: **وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم، فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ...﴾ واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت.**

ولقد كان مع الزهراء عليها السلام وهي ذاهبة إلى المباهلة...، مباهلة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله مع وفد نصارى نجران..، حينما صلى النبي صلى الله عليه وآله الصبح وأخذ بيد علي وجعله بين يديه، وأخذ فاطمة عليها السلام فجعلها خلف ظهره، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وشماله.. وكان نزول الآية.. قوله تعالى: **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**(٣). فلم يكن ما تشير إليه الآية من الأبناء إلا الحسن وأخيه الحسين عليهما السلام، على صغر سنهما.

لقد كان الحسنان عليهما السلام في أيام طفولتهما الأولى في مستوى من النضج والكمال الإنساني بحيث كانا يملكان المؤهلات كافة التي تجعلهما محلاً للعناية الإلهية..، فكان الإمام الحسن عليه السلام من الشركاء في الدعوى، وفي الدعوة إلى المباهلة لإثباتها، وهذا من

---

(١) سورة الشورى: آية ٢٣.

(٢) محمد كاظم القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٣٥. مستدرك الحاكم، ٣: ١٧٢. مجمع الزوائد، ٩: ١٤٦. الصواعق المحرقة: ١٠١. مجمع البيان، ٩: ٢٩، تفسير سورة الشورى.

(٣) آل عمران: ٦١.

أفضل المناقب التي خص الله بها أهل بيت نبيه[١].

وقد استنتج علماء المسلمين الفضل للإمام الحسن عليه السلام وأخيه الحسين من المباهلة، ومنهم ابن أبي علان – وهو أحد أئمة المعتزلة – حيث يقول: هذا يدل على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين[٢].

وكان النبي صلى الله عليه وآله قد شركهما في بيعة الرضوان، وعرف ذلك عند المؤرخين، حيث قال الشيخ المفيد: «وكان من برهان كمالهما عليهما السلام وحجة اختصاص الله تعالى لهما بيعة رسول الله لهما، ولم يبايع صبياً في ظاهر الحال غيرهما»[٣]. ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قد رأى في الحسنين عليهما السلام – على صغر سنهما – أهلية وقابلية لتحمل المسؤوليات الجسام[٤].

وخلاصة القول، ما قد روي عن القندوزي الحنفي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **«لو علم الله تعالى أن في الأرض عباداً أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني أن أباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة بهؤلاء، وهم أفضل الخلق»**[٥].

وما نزول سورة هل أتى ببعيدة عن خاطر الإمام الحسن عليه السلام..، قال الله تبارك وتعالى في سورة الدهر: **﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾** – إلى قوله: **﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾**[٦]. وكانت هذه الآيات قد نزلت حينما تصدقت والدته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ووالده

(١) أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ص ٥٤.
(٢) نقله عنه أبو حيان في (البحر المحيط) في تفسير آية المباهلة.
(٣) المفيد، الإرشاد، ص ٢١٩.
(٤) أعلام الهداية، الإمام الحسن..، ص ٥٩.
(٥) الفندوزي، ينابيع المودة، ص ٢١٤.
(٦) الإنسان، ٥ / ٢٢.

أمير المؤمنين، معه وأخيه الإمام الحسين عليهما السلام في نذر شفائهما من المرض[١].

وكان الإمام الحسن عليه السلام مع الصديقة الطاهرة عليها السلام يشاركها نور آية النور بقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...**﴾[٢].

روى الحافظ بن المغازلي الشافعي في كتاب المناقب، بالإسناد إلى علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن (الكاظم) عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿**كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾؟ قال عليه السلام: **المشكاة: فاطمة، والمصباح الحسن، والحسين: الزجاجة.**

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «... **ونور ابنتي فاطمة من نور الله...**»[٣].

وهل يستطيع الفكر الوضاء للإمام الحسن عليه السلام أن يغفل عن آية التطهير.. يوم جمعهم الأب الحبيب محمد صلى الله عليه وآله تحت كساء واحد، ففاقت شهرة هذه الرواية وفضلها الآفاق...، وأجمع ثقات الرواة أنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وفي أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة وولديها الحسنين عليهما السلام، ولم يشاركهم أحد في هذه الفضيلة[٤]. عن أم سلمة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: **ائتيني بزوجك وابنيك!** فجاءت بهم فالقى عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله كساء فدكياً ثم قال: **اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد.**

(١) محمد كاظم القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٤٢ وما بعدها.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥/ ص ١٠.

(٤) للمزيد ينظر: التفسير الكبير، ٦: ٧٨٣. صحيح مسلم، ٢: ٣٣١. الخصائص الكبرى، ٢: ٢٦٤. الرياض النضرة، ٢: ١٨٨. خصائص النسائي: ٤. تفسير جامع البيان، ٢٢: ٥. مسند أحمد ابن حنبل، ٤: ١٠٧. السنن الكبرى، البيهقي، ٢: ١٥٠. أسباب النزول، الواحدي: ٢٣٩. روضة الواعظين: ١٥٧، تفسير سورة الأحزاب، وغيرها.

وكيف تغيب عن ذاكرة الإمام الحسن عليه السلام هذه الفضيلة الجامعة له مع أحب الخلق إليه من أهل بيته، ومع والدته الحبيبة..، وهو يصغي لطرق أبيه النبي محمد صلى الله عليه وآله بابهم كل يوم خمس مرات طوال أشهر قارئاً تلك الآية. ليعي من يعي أنها ما كانت إلا لآل محمد صلى الله عليه وآله..

عن ابن عباس، قال: «شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عليه السلام وقت كل صلاة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الصلاة رحمكم الله، كل يوم خمس مرات»[1].

في كل تلك الأوقات المشرقات كانت يد الزهراء عليها السلام تحتضن أنامله الرقيقة، وهي تشركه معها في الخطو نحو التبجيل والتقديس..، واليوم هو معها في شكواها من مر الزمان وتقلبه، حضر معها خطبتها وشكواها في المسجد النبوي وهضم حقها في فدك[2]، وكان معها في الدار عندما هجم القوم بنيران حقدهم يرومون اقتحامه أو حرقه..، كان الإمام الحسن مع أمه الموجوعة تكاد تنطبق أضلاعها بين الباب والجدار ووجع المسمار[3]. وهي تستغيث بجده ولا من مجيب.

وما كان الإمام الحسن عليه السلام لتمحى من ذاكرته تلك الصورة الأليمة حتى الكبر..، فها هو يقول لمغيرة بن شعبة فيما احتج به على معاوية وأصحابه: **أنت ضربت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدميتها وألقت ما في بطنها استذلالاً منك لرسول الله صلى الله عليه وآله ومخالفة منك لأمره وانتهاكاً لحرمته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت سيدة نساء أهل الجنة**

---

(١) باقر القريشي، حياة الإمام الحسن، ج١/ ص ٨٧. نقلًا عن: الدر المنثور: ٥: ١٩٩.

(٢) علي الكوراني، جواهر التاريخ، ج١/ ص ١٤٦.

(٣) علي الأحمدي الميانجي، ظلامة الزهراء في النصوص والآثار، المركز الإسلامي للدراسات، ط١، إيران، ص ٢١٨ وما بعدها.

والله مصيركَ إلى النار[١].

عاش معها آخر لحظات الأمومة المفعمة بالحنو، وهو يرى نحولها وانصهار شبابها يذوي قطرة فقطرة إلى قاع العمر.. تنتظر بشارة أبيها إليها «**أنت أول اللاحقين بي**»..، نعم كان يراقب معها لحظات الرحيل إلى من تاقت النفس والروح للقياه... فتصبح كوكباً قصير الأجل في سماء النبوة.

كان وجه أمه الحبيبة يقترب من الأفول يوماً بعد يوم، لذا أخذ الإمام الحسن عليه السلام يعد دقائق الأيام لا ساعاتها المتبقية، تشرب حدقتيه بلهفة كل التفاتة وآهة من والدته فاطمة الزهراء عليها السلام، يراها ناقمة على من ظلمها وغصبها حقها وتمتنع عن لقائهم. فيشاركها النقمة والغضب النبيل..، ويراها مستجيبة لنداء ربها، فيكاد يلبي معها.. لولا ما كُتِب من كتب الآجال المتفرقة.

وما كان ليفارقها في يومها الأخير من أيام مرضها بعد أن أدت آخر واجباتها كأم حنون. والذي وعاه التاريخ، أن الزهراء عليها السلام، كان يبدو عليها الارتياح في اليوم الأخير من حياتها، فقامت من فراش المرض ونادت أولادها، فعانقتهم طويلاً وقبلتهم ثم أمرتهم بالخروج إلى زيارة قبر جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله[٢]. حتى ظنت أسماء بنت عميس التي تتولى تمريضها أنها تماثلت للشفاء.

وفي رواية أخرى، أن الزهراء عليها السلام شرعت تغسل أطفالها وطفقت تغسل رؤوسهم بالماء والطين، لأنها لم تجد غسيلاً غير الطين[٣]. ثم شرعت تغسل ثياب أطفالها

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٤٢. نقلًا عن: الاحتجاج، ج٢/ ص ٤٠، رقم ١٥٠.

(٢) في روضة الواعظين قال: مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت. البهبهاني، ص ٣٣٣. المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٣٨.

(٣) مريم فضل الله: المرأة في ظّل الاسلام، ص ٢٢.

بيديها المرتعشتين، ودخل الإمام علي عليه السلام البيت وإذا به يرى أم الحسن عليه السلام قد غادرت فراش العلة وهي تمارس أعمالها المنزلية فَرَقَّ لحالها الإمام واستفهمها الحال، فأنبأته أن هذا اليوم هو آخر يوم من أيام حياتها، وأنها قامت بدور الأم لآخر مرة من غسل لرؤوس أطفالها وثيابهم لأنهم سيصبحون يتامى بلا أم، سألها الإمام عن مصدر هذا النبأ فأخبرته بالرؤيا، حيث رأت أباها في قصر من الدر الأبيض، فلما رآها قال صلى الله عليه وآله: **هلمي إلي يا بنية فإني إليك مشتاق!!** فقالت: **والله إني لأشد شوقاً منك إلى لقائك**. فقال لها: **أنت الليلة عندي!!**

كانت تلك اللحظات الأخيرة هي آخر ما شاطر فيها الإمام الحسن عليه السلام والدته الصديقة عليها السلام من لحظات الحياة، ولم يكن يعلم أنه سيعود مشوقاً إليها بعد هنيهة ليراها فيجدها كما النائمة..، فيسأل أسماء مع اخيه الحسين: **يا أسماء ما ينيم أمنا في هذه الساعة؟** قالت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا[1].

لقد أشفقت الزهراء عليها السلام على ابنها الحسن عليه السلام وأخوته من رؤية لحظاتها الأخيرة فأرسلت بنتيها زينب وأم كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات، وأرسلت الحسن والحسين عليهما السلام مع أبيهم، كل ذلك من باب الشفقة والرأفة والتحفظ عليهما من صدمة مشاهدة المصيبة[2].

ولكن فاجعة فقد الزهراء عليها السلام قد عمت على بيوت كل المسلمين وقلوبهم، وكان يومها كيوم أبيها..، فما أن انتشر خبر وفاتها في المدينة حتى ارتجت المدينة بالبكاء والصراخ والعويل على فقد بهجة قلب المصطفى، وكان ذلك كيوم فقد رسول الله صلى الله عليه وآله[3].

---

(١) محمد كاظم القزويني، ص ٣٩٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٣٥.

(٣) أعلام الهداية، فاطمة الزهراء عليها السلام، ٣/ ص ١٨٦.

أما الإمام الحسن عليه السلام فقد وقعت عليه المصيبة كاقسى ما يكون حتى لم يتمالك نفسه فوقع على جسد الحبيبة يقبلها مرة بعد مرة ويقول منتحباً: **يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني**[١].

ولقد كان إمامنا الحسن عليه السلام صادقاً في قوله فلقد كانت أمه الزهراء عليها السلام أعز النساء في حياته، فهي روحه التي بين جنبيه، وها هي تفارقه ببدنها بينما بقي شفيق روحها الطاهرة أبداً يرف على أيام عمره الطاهر حتى الممات.

وكما أن الزهراء عليها السلام لم تغفل عن ولدها الحسن عليه السلام في حياتها، كذلك كانت بعد رحيلها.. فقد أوصت بما يليق بها وبولدها وكان من حنوها المتناهي أنها قد فكرت بأدق التفاصيل الحياتية لأولادها بعد فراقها، فأخذت توصي الإمام أمير المؤمنين بمراعاة ذلك. فماذا أوصت الأم الزهراء عليها السلام؟

عن علي بن أبي طالب قال: لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعتني فقالت: **أمنفذ أنت وصيتي وعهدي؟ قلت: بلى أنفذها فأوصت إليه وقالت: إذا انا مت فادفني ليلاً ولا تؤذنن رجلين ذكرتهما**[٢]**... يا بن العم إني أجد الموت الذي لابد منه ولا محيص عنه وأنا أعلم أنك بعدي لا تصبر على قلة التزويج فإن أنت تزوجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة يا أبا الحسن ولا تصح في وجههما فيصبحان يتيمين غريبين فالويل لأمة تقتلهما وتبغضهما**[٣].

يا بن عم! أوصيك أولاً: أن تتزوج بابنة أختي أمامة فإنها تكون لولديَّ مثلي، فإن

---

(١) الطبسي، حياة الصديقة فاطمة..، ص ٢٦٨.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٦.

الرجال لابد لهم من النساء[١].

وفي رواية أخرى: **يا أبا الحسن! ولا تُصح في وجههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمهما**[٢]...

ويح نفسي.. أي أم عظيمة حظي بها الإمام الحسن عليه السلام وأي قلب نابض بالرحمة والحنو، إن قلب مولاتنا الزهراء عليها السلام يتحرى مواطن العطف والمواساة في قلوب أحاطت بها فلم تجد أكثر حنواً من قلب أمامة لتكون أماً بديلة للحسن عليه السلام.. فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: **أربع ليس إلى فراقه سبيل، بنت أبي العاص أمامة أوصتني بها فاطمة بنت محمد** صلى الله عليه وآله[٣].

ولكن أي بديل ما كان ليعوض الإمام الحسن عليه السلام عن فراق وجه أمه الحبيبة، ولقد أخذ بالتزود منها، فهذا الفراق، واللقاء الجنة.. ولسانه يضج باللوعة: **واحسرة لا تنطفئ أبداً من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا فاطمة الزهراء! يا أم الحسن يا أم الحسين إذا لقيت جدنا محمد المصطفى فأقرئيه منا السلام وقولي له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا..**

فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **إن أشهد الله أنها قد حنّت وأنّت ومدّت يديها وضمتهما إلى صدرها ملياً**[٤]. **وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن! ارفعهما فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات**[٥].

---

(١) محمد حسين الأعلمي الحائري، تراجم، ٢/ ص ٣٣٢.
(٢) محمد كاظم القزويني، ص ٣٩٧.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٣٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٨.
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/ ص ١٣٠.

وذكرت أكثر الروايات أن الإمام الحسن عليه السلام **قد حضر غسلها حيث كان مع أخيه الحسين يدخلان الماء**[١]. **وحضرا الصلاة عليها ودفنها ليلًا**[٢].

فارق الإمام الحسن عليه السلام وجه الحبيبة..

ماتت الزهراء بجسمها، ولكنها بقيت بروحها،ولا تزال حية في قلوب المؤمنين.. رمزاً حياً للأم المثالية في الإسلام... بل الأم المقدسة.

فما أجمل تعبير الأستاذ العقاد حيث يقول: «إن في كل دين صورة للأنوثة الكاملة المقدسة، يتخشع بتقديسها المؤمنون، كأنما هي آية الله من ذكر وأنثى...».

لقد كانت الزهراء عليها السلام في الصفحة الأولى من عمر الإمام الحسن عليه السلام عنوان المحبة وينبوع الحنان ومثال الدعة والاستقرار... فكانت ملء الروح والقلب والجوانح... وما كان ألق وجودها ليفارقه وإن فارق وجهها الحبيب.

(١) بحار الانوار، ج ٤٣، ص ١٧٩.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣٠/ ص ٣٦٥.

الفصل الثاني

الأخت زينب عليها السلام

... أقرب النساء

- زينب الحوراء عليها السلام ... أم أخيها
- الحسن وزينب عليهما السلام ... أخت الأحزان

المبحث الأول

زينب الحوراء عليها السلام... أم أخيها

في البدء.. وقبل الولوج إلى عالم الحسن وأخته زينب عليها السلام، لابد من تأشير عدة أمور:

البيئة الاجتماعية التي كانت تعيشها السيدة زينب الحوراء عليها السلام، وخصائص بيت آل محمد صلى الله عليه وآله الذي ترعرعت فيه وليدة بيت النبوة، فهو بيت فريد من نوعه، متميز في طرازه، يتوارث فيه الأبناء كل خصال الآباء والأمهات، كأنما نسخوا نسخاً، وتناسلوا الصفات الوراثية ذاتها، فنجد الحفيدة زينب صورة طبق الأصل من الأم فاطمة والجدة خديجة عليهن السلام.

تكامل الأدوار الجهادية بين تلك الأجيال واضحٌ، فالمسؤولية هي ذاتها، وذاك القدر المتماثل ما بين الجدة والأم والحفيدة في تحمل المآسي والصعاب بصلابة وعنفوان وإيمان.

فإذا كانت الصديقتان خديجة وفاطمة قد عاشتا وماتتا مظلومتين، فقد جسدت السيدة زينب عليها السلام كل ظلال الحزن المحمدي على مدى الدهر.

ومن أبرز علامات المظلومية ندرة ما تناقلته الأجيال عن العقيلة زينب عليها السلام في علاقتها مع أخيها الإمام الحسن عليه السلام على الرغم من غزارة الأحداث والمواقف التاريخية التي عاصرتها هاتان الشخصيتان المباركتان.

وجملة القول أن الفارق الزمني والعمري الضئيل ما بين ولادة كل من السيدة الحوراء عليها السلام وأخويها، جعلها أقرب إلى معايشة الأحداث بذات الذاكرة والاستيعاب والتفاصيل البارزة، مما جعلها مهيأة تماماً للاضطلاع بدور الأم بعد فقدهم الأم الغالية الطاهرة، فكانت زينب بحق.. أم أخيها.

فبعد أن تناولنا في الفصل السابق، علاقة المرأة – الأم بالإمام الحسن عليه السلام، نعطف الكلام إلى علاقة الإمام بالمرأة الأخت ممثلة بالسيدة زينب الحوراء عليها السلام.

ولدت العقيلة زينب عليها السلام في صدر الإسلام، بعد عصر كان له حق وأد البنت دون أي قانون يطالب بتجريمه، حتى إذا جاء الإسلام، متعها بحقوقها كاملة، واعتبرها أماً وزوجة، وخلصها من الوأد والحرمان[١]. فقد بذل رسول الله صلى الله عليه وآله جهداً متناهياً في رفع مستوى المرأة التي تعيش في عصره والتي كانت تحمل تبعات الاضطهاد الماضي الطويل وعقده، وكذلك بذل جهداً في تحسين نظرة الناس إليها، فقد اعتبر أن: «**خير الأولاد البنات**»[٢]، وأن: «**المرأة محببة عنده مع الصلاة**». حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حبب إلي من الدنيا ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، مع أحاديث كثيرة مماثلة لهذا المعنى تواترت عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. والتي تستمد مصداقيتها من تأكيد القرآن الكريم في آياته المحكمات على تماثل الحقوق والواجبات لدى الجنسين، المرأة والرجل، كما في الآية الكريمة: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ**﴾[٣]. وهذه الدرجة، هي التي عبر القرآن الكريم عنها في آية أخرى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**

(١) سليمان كتاني، فاطمة وتر في غمد، ص ١٢٤.

(٢) ورد الحديث بلفظ: «**نعم الولد البنات**» في الكافي ٦: ٥، روضة الواعظين: ٣٦٩، فردوس الأخبار، ٢: ٣٦٧، مكارم الأخلاق، ١: ٤٧٢، عدة الداعي، ١٠٩، وسائل الشيعة، ٢١: ٣٦٢، كشف الخفاء، ٢: ٣٧٩.

(٣) سورة البقرة، ٢٢٨.

بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾[١].

أما الآيات التي تضيف المرأة على الرجل لبيان الأحكام أو التقدير أو المواعظ أو العبر فكثيرة جداً، دون أن تقلل من مقامها أو تحقرها أو تعتبرها أقل شأناً من الرجل، كما جاء في الآية الكريمة: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٢]، والآية الكريمة أيضاً **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**[٣].

وكان بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله، رمزاً وعنواناً لتطبيق كل هذه الالتفاتات الرحمانية للمرأة، فظهر جلياً في أحاديث نبوية فاقت شهرتها الآفاق حب المصطفى لبضعته الزهراء عليها السلام، حتى غدت أوسمة من خاتم الرسل على صدر ابنته الأثيرة، تزداد تألقاً كلما مر الزمن، وما هو ببعيد تأكيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لمكانة زوجته الصديقة الكبرى (خديجة) عليها السلام وخصوصية موقعها في حياته وجهاده من أجل رفعة الإسلام.

ومن كرامتها عليه صلى الله عليه وآله أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها امرأة قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القربى، وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر صلى الله عليه وآله لها، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. وكان النبي صلى الله عليه وآله يثني عليها حتى بعد وفاتها، ويفضلها

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) سورة النحل: ٩٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٥.

على سائر نساء المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، بحيث أن عائشة كانت تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي صلى الله عليه وآله لها[١].

وقال عنها السيد عبدالحسين شرف الدين: صديقة هذه الأمة، وأولها إيماناً بالله، وتصديقاً بكتابه، ومواساة لرسول الله صلى الله عليه وآله... انفردت برسول الله صلى الله عليه وآله خمساً وعشرين سنة لم تشاركها فيه امرأة ثانية، ولو بقيت ما شاركها فيه أخرى، وكانت شريكته في محنته طيلة أيامها معه.

أما أشرف علي الهندي، قال: وكانت من أفضل نسائه وأحبهن إليه، وكانت تنتظر نبوته ويسألها ابن عمها عنه ذلك وعن دلائل تعرفها فيه فتخبره بذلك فيقول: هو والله النبي المنتظر[٢].

وفي حضن أم كان الحنان يذوب من ردناها ربيت فاطمة، فأضحت كأمها مثالاً تطبيقياً آخر على كون المرأة هي استجابة لتلك التربية الممتازة ولادة وتنشئة وعملاً وإيحاءً. وكانت فاطمة هي (المرأة) كما يريد الإسلام للمرأة أن تكون، فصور ملامحها، ورسمها النبي صلى الله عليه وآله وصقلها ورباها وعلمها فأصبحت انموذج الأم تجاه أبنائها.

أما السيدة زينب عليها السلام فكانت خلاصة النبل والطهر والتقديس وعصارته في كلا الشخصيتين أمها وجدتها عليهما السلام.

نشأت العقيلة زينب الكبرى عليها السلام في كنف أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وحجر أمها سيدة نساء العالمين عليها السلام فأخذت منهما ما يسمو بها إلى أرقى درجات الكمال، فكانت

---

(١) علي محمد علي دخل، أعلام النساء، دار المرتضى – مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ص ٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

نعم الخلف لخير سلف[١]، نشأت نشأة قدسية وتربت تربية روحانية متجلببة بجلابيب العظمة والجلال مرتدية رداء العفة والحشمة والوقار.. ترعرعت في أحضان النبوة وتربت في بيت الرسالة ونمت في مهد الولاية والإمامة، وولدت في مهبط الوحي والتنزيل ورضعت من ثدي الإيمان والعصمة والنزاهة[٢].

وكانت ولادتها بعد ولادة الحسين عليه السلام، فالسيدة زينب عليها السلام هي الطفل الثالث للسيدة فاطمة الزهراء، وكان بين الحسن والحسين طهر واحد، أي مقدار أقل طهر واحد وهي عشرة أيام، وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشرٌ[٣]. لذا نجد تقارب أعمار أولاد مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام فكأنهم توائم بتعاقبهم الزمني المتقارب. حيث ولدت السيدة زينب عليها السلام في السنة الخامسة من الهجرة، وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تمني نفسها أن يكون الجنين في بطنها بنتاً، فالحسن والحسين عليهما السلام قد ملئا أفق البيت العلوي بهجة وسعادة، وبقي قلبها يهفو إلى بنت لتتضاعف فرحتها[٤].

وفي رواية أخرى لميلادها الميمون، تقول أن في غضون السنة السادسة من الهجرة استقبل البيت العلوي الفاطمي الطاهر بغبطة وحبور الطفل الثالث من أطفالهم، وهي البنت الأولى للإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام[٥].

---

(١) علي الفتلاوي، المرأة في حياة الحسين عليه السلام، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، العراق – كربلاء المقدسة، ص ٧٥.

(٢) محمد حسين الأعلمي الحائري، تراجم أعلام النساء، ج٢/ ص ١٦٤.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٧٨.

(٤) بحر العلوم، ص ١١١.

(٥) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، حققه وعلق عليه ولده السيد مصطفى القزويني، دار المرتضى، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص ٣١.

ففي اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى ولدت السيدة زينب[١]، وفتحت عينها لتأتلق بمحيا ثلاثة من أطهر خلق الله تعالى: محمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين، وفاطمة سيدة نساء العالمين، صلى الله عليهم أجمعين.

وهناك أقوال أُخَر في تاريخ ميلادها، منها أن ولادتها كانت في السنة التاسعة من شهر رمضان، في طراز المذهب ص٢١، س٢٢، وقيل في غرة شهر شعبان في السنة الثالثة – وقال السيوطي في رسالته الزينبية ولدت في حياة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت لبيبة جزلة عاقلة لها قوة جنان فإن الحسن عليه السلام ولد قبل وفاة جده بثمان سنين والحسين عليه السلام بسبع سنين وزينب بخمس سنين[٢].

والقول المشهور بين الشيعة هو ولادتها في جمادى الأولى في السنة السادسة من الهجرة.

وحالها كحال أخويها، فإن من قام بتسميتها هو جدها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، تذكر الروايات المعتبرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن بُشر بهذه المولودة سارع إلى بيت فاطمة عليها السلام وتلقف حفيدته بحزن ووجوم، ثم ضمها إلى صدره الشريف ووضع خده على خدها فبكى بكاءً شديداً عالياً، وسالت دموعه على خديه. فقالت فاطمة: **مم بكاؤك، لا أبكى الله عينك يا أبتاه؟** فقال: **يا بنتاه يا فاطمة، إن هذه البنت ستُبتلى ببلايا وترد عليها مصائب شتى، ورزايا أدهى. يا بضعتي وقرة عيني، إن من بكى عليها، وعلى مصائبها**

---

(١) للمزيد ينظر: جعفر النقدي، زينب الكبرى، ص ١٧، باب اسمها وتاريخ ولادتها ؛ وكتاب (رياحين الشريعة) للمحلاتي ج٣، ص ٢٣.

(٢) محمد حسين الأعلمي الحائري، تراجم النساء، ج٢/ ص ١٦٢.

يكون ثوابه كثواب مَن بكى على أخويها[١]. ثم سماها زينب[٢].

فكما جاء في المصادر أنه لما ولدت السيدة زينب مضى عليها عدة أيام ولم يعين لها اسم، فسألت السيدة فاطمة الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام عن سبب التأخير في التسمية؟

فأجاب الإمام: إنه ينتظر أن يختار النبي الكريم لها اسماً[٣].

وروى الشيخ محمد علي الكاظمي في كتابه المسمى بسرور المؤمنين، لما ولدت زينب قالت فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام **سمها يا علي**، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فقال علي عليه السلام **اصبري يا فاطمة حتى يرجع رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره** – فلما رجع صلى الله عليه وآله بعد ثلاثة أيام من سفره ودخل بيت فاطمة قال علي: **يا رسول الله لقد أعطى الله تعالى ابنتك فاطمة بنتاً فعيّن اسمها** – فقال صلى الله عليه وآله **أولاد فاطمة أولادي لكن أنتظر نزول الوحي في تسميتها** فنزل جبرئيل وقال: **يا رسول الله إن الله تعالى سلم عليك وقال لك سم مولودة فاطمة زينب فإنا كتبنا اسمها زينب في اللوح المحفوظ**[٤].

ويقال أن النبي محمد صلى الله عليه وآله أخذ قنداقة زينب وقبلها وقال أوصي أمتي أن يحبوا زينب فإنها شبيهة بخديجة الكبرى عليها السلام[٥].

وقد اشتهرت السيدة زينب الكبرى عليها السلام باسم (العقيلة) على لسان المؤلفين والخطباء والذاكرين لفضل آل بيت الرسول، وهذا وصف أو لقبٌ للسيدة زينب

---

(١) محمد كاظم القزويني، ص ٣٥.

(٢) جاء في كتاب (لسان العرب): الزينب شجر حسن المنظر طيب الرائحة وبه سميت المرأة.

(٣) محمد كاظم القزويني، هامش ص ٣٦، نقلًا عن ناسخ التواريخ، المجلد الخاص بحياة السيدة زينب المسمى بـ(الطراز المذهب في أحوال سيدتنا زينب).

(٤) الأعلمي الحائري، تراجم النساء، ج٢/ ص ١٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

وليس اسماً، ومعناه في كتب اللغة: المرأة الكريمة، النفيسة، المخدرة، ومعنى الكريمة هنا: المحترمة. ولعمري إن بنت الكرار والزهراء كانت جديرة بكل هذه المسميات والألقاب ومعانيها.

وإن كان التاريخ قد ظلم السيدة زينب عليها السلام كما ظلم أباها وأمها وأسرتها أجمعين مرة، فقد ظلم السيرة المشتركة للسيدة الجليلة مع أخيها الإمام الحسن عليه السلام مرتين، إذ لم يعبأ بها التاريخ كما ينبغي، ولم يتحدث عنهما كما تقتضيه الشخصيتين العظيمتين وتتطلبها(٦).

ومن المؤسف أنه لم تصل إلينا تفاصيل أو روايات تاريخية تنفعنا في هذا المجال، حول سنوات الطفولة والصبا التي عاشاها معاً، وخاضا معاناة الأحداث المحزنة معاً، حيث درجا في بيت واحد تحت سقف واحد.

وكل ما نستطيع قوله أن البنت زينب قد استأنست بأمها فاطمة أكثر من استيناسها بأبيها، وتعتبر روابط المحبة بين الأم والبنت من الأمور الفطرية التي لا تحتاج إلى دليل، فالأنوثة من أقوى الروابط بين الأم وبنتها(٧).

ونجد هنا أن تلك النقطة من المشتركات بين الإمام الحسن عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام إذ كانا مغمورين بعواطف أمهما الحانية العطوفة، حيث كانا أكثر التصاقاً بها، على الرغم من أن قلب السيدة الطاهرة فاطمة عليها السلام كان من أوسع قلوب البشرية وأكثرها حناناً ورأفة وشفقة بأطفالها، إلا أن وليدها الحسن عليه السلام كان وليدها الذكر – الأول، ووليدتها زينب عليها السلام كانت وليدتها الأنثى – الأولى، فهما بمقام الأخوين الأكبرين لبقية أخوانهما،

(٦) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ١٣٢.
(٧) المصدر نفسه.

وقد أُهلا لتسنم نصيبهما من المسؤولية في الصعاب والمصائب والرزايا.

تذكر كتب التاريخ أن السيدة الحوراء قد رأت رؤيا مخيفة وهي في عمر الطفولة[١]، فحدثت بذلك جدها رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا جداه رأيت – البارحة – أن ريحاً عاصفة قد انبعثت فاسودت الدنيا وما فيها وأظلمت السماء، وحركتني الرياح من جانب إلى جانب، فرأيت شجرة عظيمة فتمسكت بها لكي أسلم من شدة الريح العاصفة، وإذا بالرياح قد قلعت الشجرة من مكانها وألقتها على الأرض، ثم تمسكت بغصن قوي من أغصان تلك الشجرة فكسرتها الرياح، فتعلقت بغصن آخر فكسرتها الريح العاصفة!! فتمسكت بغصن آخر وغصن رابع، ثم استيقظت من نومي! وحينما سمع رسول الله منها هذه الرؤيا بكى وقال: **أما الشجرة فهو جدك، وأما الغصنان الكبيران فهما أمك وأباك، وأنا الغصنان الآخران فأخواك الحسنان، تسود الدنيا لفقدهم، وتلبسين لباس المصيبة والحداد في رزيتهم**[٢].

لقد شاركت السيدة زينب أخيها الإمام الحسن عليه السلام لحظات الطفولة الأولى، حيث مرت الأيام تطوي الليالي... بالنهار، مغمورين بالحنان والعطف والرعاية في رحاب البيت العلوي الشريف متنقلين من حضن جدهم العظيم إلى ذراعي أبيهم الكريم ويرجعون دائماً ليلوذا بصدر والدتهم الحنون.

لقد أصابهما سهم الحزن الأول معاً بفقدهم جدهم المصطفى، عندما كانت في الخامسة (أو السادسة) من عمرها يوم فجعت بوفاة جدها النبي، وتألمت لحزن أمها ووالدها، ورأت ما غشى المدينة من الذهول والحزن الفاجع، وأصغت إلى عويل الباكيات وصراخ المروعين وأنين المتجلدين، فبكت بحرقة وألم.

(١) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، هامش ص ٤٩.
(٢) من كتاب (زينب الكبرى) للشيخ جعفر النقري، ص ١٨.

وأصابها سهم الحزن الثاني وهي ترى أمها الزهراء تذوي سريعاً حزناً وكرباً وألماً لجحود القوم واغتصاب حق الأسرة، وتصحبها معها إلى قبر النبي تندبه وتبكيه..

وكان يوم فقدها لأمها الحبيبة، هو يوم أصابها أكثر الأسهم قساوة وألماً، حيث فقدت الأم الرؤوم والمربية الفاضلة، وتقلدت مسؤولية الحفاظ على وصية أمها، وهي على فراش الموت «**بأن تصحب أخويها، وترعاهما وتكون أماً لهما**»[١]... فغدت زينب الكبرى وهي في الخامسة من عمرها، أم أخيها.

وليس بمستغرب أن تتحمل زينب مسؤولية الأم في بيت أبيها وتحتل مكانتها العالية، فقد أنضجتها الأحداث الجسام، وهيأتها لأن تشغل مكان الراحلة الكريمة فتكون للحسن والحسين وباقي أخواتها أماً حنوناً، لا تعوزها عاطفة الأمومة بكل ما تحتويه من إيثار وإن كانت صغيرة السن يعوزها الاختبار[٢].

وعاشت زينب في البيت الطاهر بين أخويها الإمامين الجليلين الحسن والحسين عليهما السلام، وغدت أماً لأخيها الحسن كما كانت أمها فاطمة أماً لأبيها، تحمل هموم الآباء[٣].

تحملت السيدة زينب مسؤولية عظيمة وقامت بها خير قيام، بفعل تربيتها العالية فهي من تلك الدوحة المقدسة، وكلما تقدم بها الزمن، أنضجتها الأحداث، وعلمتها النوائب كيف تستقبلها بقلب ثابت ملؤه البطولة والإيمان.

وقد وفدت على دار أبيها علي بن أبي طالب بعد وفاة الزهراء زوجات أخريات،

---

(١) مريم فضل الله: المرأة في ظّل الاسلام، ص ٢٦٥.
(٢) مريم فضل الله: المرأة في ظّل الاسلام، ص ٢٦٥.
(٣) محمد بحر العلوم، ص ١١٣.

ولكن مكان أمها ظل شاغراً.. وكانت زينب تشعر بوحشة غريبة يحاول أبوها أن يخففها عنها بفيض من رعايته.. ولكن لم يُخَفِّفْ من حزنها إلا شيء واحد هو التفاتها بكليتها للمسؤولية التي حمّلتها إياها أمها الزهراء عليها السلام وهي على فارش الموت.

وقد اضطلعت السيدة زينب عليها السلام بدور (أم أخيها) حتى بعد انتقالها إلى بيت الزوجية، فلم تتخلَ عن تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها من إدارة بيت أبيها والاهتمام بشؤون أخويها، أولاً.. وآخراً، فهذه كانت وصية أمها الغالية[1].

وذكر لنا التاريخ لمحة عالية المضامين عن مدى التآلف والتناغم بين الأخت وأخويها، ففي أحد الأيام كانت السيدة زينب عليها السلام جالسة، وعندها أخواها الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وهما يتحدثان في بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت لهما: سمعتكما تقولان: إن رسول الله قال: «**الحلال بين، والحرام بين، وشبهات لا يعلمها كثير من الناس**»...، ثم استمرت السيدة زينب تكمل حديثها وتفصيلها للحديث بكل جوانبه حتى أفاضت وأحاطت... فما كان من الإمام الحسن عليه السلام إلا أن أبدى سروره واعتزازه بقولها وتفسيرها للحديث، فقال لها: «**زادك الله كمالاً، نعم... إنه كما تقولين، إنك حقاً من شجرة النبوة ومن معدن الرسالة**»[2].

وليس هذا فقط، بل كان الإمام الحسن عليه السلام يضع أخته زينب في موضعها المحتوم من التقدير والتبجيل، وكان إذا سارت زينب يقوم إجلالاً لها وكان يجلسها في مكانه[3]. أليس الإمام الحسن هنا كجده المصطفى صلى الله عليه وآله في تعامله مع الزهراء عليها السلام حين كان يجلها ويقبلها ويجلسها في مكانه؟

---

(١) مريم فضل الله: المرأة في ظّل الاسلام، ص ٢٧٠.

(٢) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٥٨١.

(٣) الحائري، تراجم النساء، ج٢/ ص ١٦٩.

وكان الإمام الحسن عليه السلام من شدة تقديره ورعايته لأخته الحوراء عليها السلام أنه ما فارقها يوماً في زيارتها لقبر جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله.. تقول الرواية المشهورة عن يحيى المازني.. قال كنت في جوار علي عليه السلام في المدينة مدة مديدة بالقرب من البيت الذي يسكنه زينب ابنته فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً – وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين أمامها فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أبوها فأخمد ضوء القناديل فسأله الحسن مرة عن ذلك فقال عليه السلام **أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب**[1].

إن السيدة زينب عليها السلام كانت أقرب النساء من الإمام الحسن عليه السلام، وأطولهن رفقة له، فخلال حياته الكريمة لم تفارقه أخته منذ ولادتها وحتى استشهاده.

وبذا فقد حظيت (أم أخيها) بالفترة الزمنية الأطول من جميع النساء اللواتي مررن في المراحل العمرية كافة في حياة الإمام الحسن عليه السلام. فكيف كانت علاقتهما؟ وكيف كان ينظر أحدهما إلى الآخر؟ وهل حظيت المرأة – الأخت في حياة السبط الأول بما يليق بها ومنزلتها الرفيعة؟

غالباً ما نجد في المصادر التي تناولت حياة الإمام الحسن عليه السلام اقتضاباً وندرة في السرد عند الحديث عن العلاقة الأخوية بينه وبين السيدة الحوراء عليها السلام، فيما يمتاز هذا النوع من الحديث عن السيدة زينب وأخيها الإمام الحسين عليه السلام بالإفاضة..، مما يعطي إيحاءً مضللاً بأن الأخت كانت أقرب إلى أخيها الحسين من أخيها الأكبر!؟

ونحن نجد أن المسألة لم تكن هكذا أبداً، فالمنظار واحد والأطراف فروع لغصن

---

(١) الحائري، تراجم النساء، ج٢/ ص ١٦٩.

أصيل واحد، مع قلة ما نقل عن هذه العلاقة[١].

ثم إن المصادر التاريخية تتحدث عن العلاقة بين الإمام الحسن عليه السلام وأخته من منظارين هما: منظار الأخوة ومنظار الإمامة، وكأن العلاقة تأخذ الطابع الرسمي في المنظار الثاني دون المنظار الأول وبالعكس...، وهكذا أمر لا نذهب إليه، إذ نجد أن المنظارين متطابقين، بل أن النظرة واحدة في الاتجاهين.

نعم، إن الاحترام اللائق والتقدير الرفيع كان متبادلاً بين السيدة زينب الكبرى وبين أخيها الأكبر، وهو السبط الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام الزكي، وسيد شباب أهل الجنة[٢]..، ولكنه يبقى في نظرها الأخ الأكبر الذي تربّت ونمت معه في ذات الأفياء وغدت له أماً وأختاً وراعية منذ الصغر امتثالاً لوصية الأم الطاهرة عليها السلام.

فمن ناحية يعتبر الإمام الحسن الأخ الأكبر للسيدة الحوراء عليها السلام و«الأخ الأكبر بمنزلة الأب»[٣]، ولقد كان لها دوماً بهذه المنزلة قبل وبعد وفاة أبيها أمير المؤمنين.

وإذا كان الإمام الحسن عليه السلام قد أصبح سيد البيت العلوي بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام فزاد من رعايته وعطفه على أخته السيدة زينب عليها السلام..، فمتى لم يكن الإمام الحسن عليه السلام عطوفاً على الفقراء واليتامى والمساكين[٤]، من الأبعدين، فكيف بالأقربين؟

كيف لا يغمر سبط النبي الهادي أخته الأثيرة بفيض عطفه وحنوه وهو يرى فيها

---

(١) إبراهيم حسين بغدادي، زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، بيروت - لبنان، ص ٧٤ وما بعدها.

(٢) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٦٧.

(٣) الحديث مروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام. ذُكر في كتاب (بحار الأنوار) ج٧٥، ص ٣٣٥.

(٤) راضي آل ياسين، صلح الحسن، ص ٢٨.

أمه الزهراء عليها السلام في كل نظرة وإيماءة ونطق، فهو لم يفارقها وهي لم تفارقه حتى الممات.

إن روابط المحبة والاحترام والود كانت من أبرز مزايا العلاقة الأخوية بين الإمام الحسن عليه السلام وأخته زينب عليها السلام وكيف لا يكونان كذلك وقد تربيا في حجر واحد وتفرعا من شجرة واحدة؟

ولم تكن هذه الروابط الأخوية تخضع لقوانين الدم والقرابة فحسب، بل عرف كل واحد منهما ما للآخر من الكرامة وجلالة القدر وعظم الشأن(٥). فهو عندها سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو من أثنى عليه الله تعالى في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وهو الإمام المنصَّب من عند الله تعالى...، وهو قبل وبعد كل هذا أخوها ذو الخصال المحمدية، من مكارم الأخلاق والعبادة الروحانية.

وهي عند الإمام الحسن عليه السلام أخته الأقرب إلى نفسه والتي يعلم فضائلها وفواضلها وخصائصها، وهو يعلم ماذا سوف يجري عليها، فكأنه كان يهيئها لتلك الأيام القادمة المملوءة بالآهات والأحزان(٦).

وسنرى في المبحث التالي كيف كانت السيدة زينب الكبرى عليها السلام أخت الأحزان.

(٥) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٧٠.

(٦) إبراهيم حسين بغدادي، زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة، ص ٧٤.

المبحث الثاني

الحسن وزينب عليهما السلام ... أخت الأحزان

ليس اعتباطاً أو اختياراً بديهياً أن ترتبط صفة الأحزان بأخت الإمام الحسن عليه السلام، فتصبح سيدة الأحزان، وأم المصائب... على مدى الدهر.. وبلا منازع.

فلقد سبقتها جدتها خديجة الكبرى عليها السلام وأمها الزهراء البتول عليها السلام في تجرع غصص الأحداث والوقائع الأليمة تباعاً، فكنَّ رمزاً إسلامياً لا يبارى في الصمود والتحمل ورباطة الجأش والاحتساب إلى الله تعالى عند وقوع الخطب الجلل...، كيف لا تكون هكذا زينب الكبرى عليها السلام وهي الوريثة الشرعية لمظلومية أمها وأهل بيتها حتى لقبت بـ(نائبة الزهراء)[1].

وإذا كانت صفحة الأحزان والرزايا والمصائب قد طغت على بقية الصفحات في حياة أخت الحسن عليه السلام فإنها لا تمنع إشعاعاتها ولا تطمس آثارها.

فالسيدة زينب عليها السلام حياتها مملوءة بصفحات الفخر والإعجاب، وهي عقيلة بني هاشم والطالبيين الملقبة بالموثقة العارفة العالمة غير المعلّمة،والفاضلة الكاملة العابدة، ولما ظهر منها من العظمة والحكمة والجلال ما تمتاز بمحاسنها الكثيرة وأوصافها الجليلة وخصالها الحميدة ومفاخرها البارزة وفضائلها الظاهرة عن نساء العالمين، وهي من الشجرة المباركة النبوية والسلالة المحمدية الطاهرة والمقامات الرفيعة والمنزلة السامية

(١) الخصائص الزينبية، بتصرف، ص ٧٨.

عند الله تعالى، فقد فرض حبهم على الأمة الإسلامية بقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ وقد عاشت عيشتها الأولى المحترمة مجللة معززة بين الأهل والأقارب[١].

وهي السيدة الوحيدة التي تعد من أشرف الأنساب وأجل الأحساب وأكمل الأنفس وأطهر القلوب، فكأنها جمعت بأطراف الفضائل كلها كما اجتمعت لها المصائب والمحن جميعها[٢].

فكانت صفة أحزانها سمة ربانية بكى لها الأمين جبرئيل وأبكى رسول الله صلى الله عليه وآله حينما نبأهُ إن حياة هذه البنت الوليدة سوف تكون مقرونة بالمصائب والمتاعب من بداية عمرها إلى وفاتها[٣].

وتذكر الروايات التاريخية، أن السيدة زينب الكبرى عليها السلام كانت تفسر القرآن للنساء في أحد المجالس في بيتها أيام إمامة أبيها عليه السلام في الكوفة، إذا دخل أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها: **يا نور عيني سمعتك تفسّرين (كهيعص) للنساء** فقالت: **نعم**. فقال عليه السلام: **هذا رمز لمصيبة تصيبكم عترة رسول الله** ثم شرح المصائب فبكت بكاءً عالياً صلوات الله عليها[٤].

ولسنا هنا بصدد تناول مجمل حياة السيدة الحوراء زينب عليها السلام وفضائلها وخصالها، فهذا ما لا تفيه كتب ومجلدات، ولكننا سنمر سراعاً على بضع محطات حياتية تشاركت فيها الأحزان مع أخيها الإمام الحسن عليه السلام منذ الطفولة وحتى الاستشهاد..، فلقد كانت

(١) الأعلمي الحائري، تراجم النساء، ج٢/ ص ١٦٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، هامش ص ٣٦.
(٤) الحائري، تراجم النساء، ج٢/ ص ١٧٠.

زينب عليها السلام رفيقة درب لازمة لآلام أهل البيت، وشاهدة حاضرة لمصائبهم، ولقد حظيت بأطول فترة زمنية قاربت ٤٥ سنة من المواكبة والمشاركة للإمام الحسن عليه السلام من بين كل النساء في حياته الكريمة، إذ لم تفارقه حتى بعد أن بلغت مبلغ النساء ودخلت دور الشباب وخطبها كثيرون من أشراف العرب[١].

فاختار لها أمير المؤمنين عليه السلام فتى الفتيان ومن هو أقرب نسباً وحسباً ومودة للبيت العلوي، إنه ابن عمها عبدالله بن جعفر الطيار، فمن هو عبدالله؟.. والده جعفر شريك أبيه أبي طالب وأخيه علي في الحفاظ على كيان مسيرة الدعوة الإسلامية من قبل انطلاقها الأول، وهو قائد المسلمين في غزوة مؤتة، قطعت يداه في الحرب، فعوضه الله بجناحين يطير بهما في الجنة. فهو جعفر الطيار ذو الجناحين... وأبو المساكين وحبيب رسول الله، وأمير المهاجرين إلى الحبشة.

تقول المرويات: إنه صادف وصول جعفر من الحبشة إلى المدينة يوم فتح خيبر. فاعتنق رسول الله صلى الله عليه وآله جعفراً وأخذ يقبله بين عينيه وهو يقول: «**لا أدري بأيهما أنا أشد فرحاً، بقدوم جعفر أم فتح خيبر؟**»[٢]. والحقيقة بهما معاً. ففاتح خيبر هو علي بن أبي طالب، والعائد من المهجر هو أخوه جعفر وبهما سعدت عينا النبي صلى الله عليه وآله وقرت[٣].

وكان النبي صلى الله عليه وآله لآل جعفر راعياً وأباً، يرعاهم بعطفه، ويفيض عليهم بحنانه، واشتهر عنه دعاؤه لعبدالله: «**اللهم أخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه** – قالها

(١) الحائري، تراجم النساء، ج٢/ ص ١٧١.

(٢) مريم فضل الله: المرأة في ظل الاسلام، ص ٢٦٧. نقلًا عن: تاريخ الطبري وطبقات ابن سعد الكبرى.

(٣) محمد بحر العلوم، ص ١١٧.

ثلاثاً – **وأنا وليهم في الدنيا والآخرة**»[١].

أما أم عبدالله فهي أسماء بنت عميس الخثعمية، تلك المؤمنة الطاهرة، والتي هاجرت مع زوجها جعفر لتحفظ دينها، وتصون نفسها من شر الأعداء. وعرفها الإمام الصادق عليه السلام بـ(النجيبة) وترحم عليها بقوله: **رحم الله الأخوات من أهل الجنة** وعد أسماء في مقدمتهن[٢]. وهي بالأخير زوجة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ووَلَدت قبله من أبي بكر محمداً تلميذ علي وربيبه.

وإلى جانب المكانة الأسرية الإيمانية يتحلى عبدالله بن جعفر بالجود والكرم، بحيث لقب بـ«بحر الجود»[٣]. واشتهر بكونه أحد كرماء العرب.

هذه الشخصية الكريمة الفذة المحبة لآل البيت ارتضاها الإمام علي عليه السلام زوجاً لابنته زينب، ورغم أن السيدة زينب دخلت بيت الزوجية، وتحملت المسؤولية، كما كانت أمها فاطمة وجدتها خديجة، لكنها لم تفارق بيت أبيها، وبقيت تدير شؤونه، وتهتم بشؤون أخويها، وبقيت هي صاحبة البيت العلوي مع أن والدها تزوج عدة نساء وقامت زوجاته بما يقتضي البيت من رعاية واهتمام، لكن السيدة زينب عليها السلام كانت هي كل شيء في البيت ولها المنزلة المرموقة فيه، وكذلك بين علية قومها، حتى عرفت بـ«عقيلة الهاشميين»[٤].

وتنقل لنا الروايات كيف أن زواج السيدة زينب الكبرى عليها السلام لم يفرق بينها وبين أخوتها، فقد بلغ من تعلق الإمام علي بابنته وابن أخيه عبدالله أن أبقاهما معه، حتى إذا

(١) مريم فضل الله: المرأة في ظل الاسلام، ص ٢٦٨.
(٢) بحر العلوم، ص ١١٨. نقلًا عن: الصدوق، الخصال: ٣٦٣ / ٥٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٩. نقلًا عن ابن الأثير: أسد الغابة ٣: ١٣٤.
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٧: ٢٨٥.

ولي أمر المسلمين، وانتقل إلى الكوفة انتقلا معه، موضع رعاية أمير المؤمنين وإعزازه.

ووقف عبدالله بجانب عمه في جهاده الحربي، فكان أميراً بين أمراء جيشه في صفين[٥]. كما قتل ابنيه محمد وعون مع خالهما الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء يوم عاشوراء.

وما كان عبدالله بن جعفر ينادي مولاتنا السيدة زينب عليها السلام إلا بـ«يا بنت المرتضى، ويا عقيلة بني هاشم»، مُدِلاً على حسن عشرته لها ومعرفته لمقامها ومنزلتها ولاستحقاقها كل هذا الاحترام الكبير من زوجها[٦].

ولقد أجمعت السَيرِ والمصادر التاريخية على أن عقيلة بني هاشم كانت في صميم دوامة الأحداث الجسام التي عصفت بالدولة الإسلامية، فنراها عليها السلام قد رحلت من مدينة جدها الرسول صلى الله عليه وآله إلى الكوفة مقر خلافة أبيها مع زوجها، ثم تعود إلى المدينة بعد مقتل الإمام علي عليه السلام لترافق أخيها الحسن عليه السلام في فترة إمامته وإقامته ثم لتعود ثانية إلى أرض كربلاء لتشهد واقعة الطف مع أخيها الحسين عليه السلام.

إن حضور السيدة زينب عليها السلام في هذه الأحداث كان مدوياً وبارزاً، صحيح أنها لم تكن من حملة السيوف، ولا نراها في ساحة الوغى... ولكنها على مسرح الأحداث بطلة من الأبطال[٧]. منذ فاجعة وفاة جدها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وحتى استشهاد أخويها الحسن والحسين عليهما السلام.

لقد كانت أخت الأحزان مع أخيها الإمام الحسن عليه السلام تشهد كارثة تعقبها أخرى، وفجيعة تليها فجيعة أكبر تصيب آل محمد..، لقد وعت ذاكرة الطفلة زينب وشاركت

(٥) محمد جواد مغنية، مع بطلة كربلاء زينب، ص ٣٥.
(٦) علي الفتلاوي، المرأة في حياة الحسين عليه السلام، ص ٨٦.
(٧) مريم فضل الله: المرأة في ظّل الاسلام، ص ٢٧٥.

أخيها الحسن لحظات مفارقة النبي محمد صلى الله عليه وآله لهذه الدنيا الفانية وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وإن بخلت الروايات بسرد عمق العلاقة بين النبي وحفيدته، ولكنه دون شك ما كان يبقيها بعيدة عن فيض محبته التي أغدقها على أخويها، يقول الشيخ مغنية[١]:

«وكان النبي لا يصبر عن بيته هذا، ولا يشغله عنه شاغل، لاسيما بعد أن نبتت فيه ريحانة، فإذا دخله قبَّل هذا، وشمّ ذاك، وابتسم لتلك... ودخله ذات يوم فأخذ الحسن وحمله، فأخذ علي الحسين وحمله فأخذت فاطمة زينب وحملتها، فاهتزت أركان البيت طرباً لجو الصفوة المختارة، وتدلنا هذه الظاهرة وكثير غيرها أن محمداً كان أكثر الأنبياء غبطة وسعادة بأهل بيته».

لقد فجعت السيدة زينب عليها السلام بجدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وكان لها من العمر – يومذاك – خمس سنوات، ولكنها كانت تدرك هول الفاجعة ومضاعفاتها، ومن ذلك اليوم تغيرت معالم الحياة في بيتها، وخيمت الهموم والغموم على أسرتها[٢].

وإذا كان فقد رسول الله صلى الله عليه وآله يشكل صدمة كبرى وفاجعة مهولة عظمى على المسلمين جميعاً، فإنه لا شك أشد وقعاً، وأعظم أثراً، على أهل بيته الملتصقين به، والمتنعمين برعايته وعطفه، وعلى أي حال، إن وفاة النبي صلى الله عليه وآله كانت من أفجع الكوارث التي دهمت العترة الطاهرة، فقد كانت من الأحداث الرهيبة التي ألمت بهم[٣].

وقد وصف الإمام الصادق عليه السلام حالهم خير وصف، بقوله: «**لما قبض سول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمد صلى الله عليه وآله بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم ولا أرض تقلهم لأن رسول**

(١) محمد جواد مغنية، الحسين وبطلة كربلاء، دار الكتاب الإسلامي، ط١، بيروت، ص ٢٢.
(٢) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ١٢٧.
(٣) إبراهيم حسين بغدادي، زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة، ص ٤٥.

الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله...»[١].

وفي غضون أشهر معدودة تكالبت الأيام، واستعرت الأحقاد، وانهالت المصائب تترا على قلب زينب وهي لم تودع عامها السادس...، لقد شاركت أخويها الحسنين كل الآلام منذ فقد الحبيب محمد حتى فقد الأم فاطمة..، رحلة قصيرة بزمنها، طويلة قاسية بأحداثها.

كانت جميع تلك الحوادث بمرأى من السيدة زينب ومسمع، فلقد سمعت صراخ أمها من بين الحائط والباب، وشاهدت الأعداء الذين أحاطوا بها يضربونها بالسوط والسيف المغمد، وشهدت إسقاط أخيها المحسن، وكسر ضلع أمها الزهراء وتورم العضد الذي بقي أثره إلى آخر حياتها[٢].

لقد عاشت حفيدة النبي صلى الله عليه وآله مع أخويها الحسنين عليهما السلام الدقائق المرة والمروعة تلك، وسمعت أمها الزهراء عليها السلام وهي تصيح إليك يا فضة فخذيني وإلى صدرك فسنديني لقد أسقطوا ما في بطني من حمل[٣].

في خضم المأساة المروعة تلوذ بأمها الزهراء فتجدها عليلة ذاهلة، حزينة يغشى عليها من حين لآخر...، لقد غادرت زينب طفولتها مبكراً!

تقول بنت الشاطئ: وما بالغريب أن تشغل (زينب) مكان الأم ولما تبلغ العاشرة من عمرها وإنما الغريب أن نقيس زمانها بزماننا ومكانها بمكاننا، فنزعم أن هذه سن

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص ٤٤٥.

(٢) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ١٢٨.

(٣) عبدالكريم الفيلي، ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام، دار الغدير، ط١، قم، ص ١١٦. نقلًا عن الهداية الكبرى: ٣٩٢.

اللهو واللعب.[١]

حيث تبدو زينب في بيت أبيها ذات مكانة أكبر من سنها، أنضجتها الأحداث، وهيأتها لأن تشغل مكان الراحلة الكريمة، فتكون للحسن والحسين وأم كلثوم، أماً لا تعوزها عاطفة الأمومة بكل ما فيها من حنو وإيثار[٢]...

فصارت البنت كالأم في تحمل الشدائد والمصاعب، والرزايا والمصائب، بل وزادت عليها أيضاً، وعند اقتراب الأجل، أرادت الزهراء عليها السلام أن تبعد ابنتها زينب عن مشاهدة تلك اللحظات الأليمة، فأرسلتها إلى بيوت بعض الهاشميات كما تشير إحدى الروايات، بينما كان الحسن مع أبيه وأخيه خارج المنزل[٣].

وإذا كانت الروايات تذكر لنا مرافقة الإمام الحسن عليه السلام لوالدته الزهراء عليها السلام مع أخيه الحسين عليه السلام في رحلة الألم والدموع اليومية إلى بيت الأحزان فإنها لا تشير إلى وجود البنت معهم، وكأن الصديقة الطاهرة عليها السلام قد أشفقت على ابنتها من معايشة تلك اللحظات المشحونة لوعة وتفجعاً ونحيباً ودمعاً...

ولكن السيدة زينب عليها السلام كانت حاضرة مع أخيها الإمام الحسن عليه السلام في مسير والدتها إلى المسجد النبوي لإلقاء خطبتها الشهيرة ومطالبتها بحقها...، فقد روى الشيخ المفيد بسنده، عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام قالت: لما اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك و العوالي و أيست من إجابته لها عدلت إلى قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فألقت نفسها عليه و شكت إليه ما فعله القوم بها و بكت حتى بلت تربته صلى الله عليه وآله

(١) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، السيدة زينب عقيلة بني هاشم، ص٤٢: دار الكتاب العربي / بيروت – لبنان / ١٩٨٥م.

(٢) إبراهيم حسين بغدادي، زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة، ص ٥٩.

(٣) حسن الصفار، المرأة العظيمة، دار البيان العربي، ط١، بيروت، ص ٧٢.

بدموعها و ندبته، ثم قالت في آخر ندبها: **قد كان بعدك أبناء وهنبثة**... الأبيات[1].

ولنا مطلق المخيلة في تصور حال السيدة زينب مع أخويها وهم يشاهدون توجع أمهم وتظلمها عند قبر أبيها، أتراهم يصبرون ويتصابرون ويتجلدون فلا يذرفون الدمع ويطلقون العويل والنحيب مع أمهم؟! إن القلب ليعتصر ألماً وأساً لموقف سيدة الأحزان هذا وهي في ربيعها الخامس.

أي طائف من الحزن اجتاح قلب الطفلة الطاهرة؟

لزمت (زينب) فراش أمها العليلة، التي اعتلت بشدة بعد حادثة الباب، وانقضت عليها ساعات أليمة مريرة تنظر فيها بعيون مشفقة مع أخيها الإمام الحسن وأخيها الإمام الحسين عليهما السلام، يتزودون من وجه الحبيبة قبل الرحيل الأبدي، وهم يشاهدون أمهم العليلة، طريحة الفراش، مكسورة الضلع، دامية الصدر، محمرة العين، معصوبة الرأس...، فيتوجسون من حلول لحظات الوداع في أي لحظة من ليل أو نهار.

وإذا ما كانت الأم الرؤوم قد أبعدت أولادها عنها في لحظاتها الدنيوية الأخيرة، شفقة منها ورحمة لهم، فإن العقيلة زينب وأخويها عليهم السلام تجرعوا كأس الألم حتى الثمالة وهم ينظرون إلى جثمان أمهم البارة الحانية مسجى في وسط الدار، وهي تلف في أثواب الكفن، والأب المفجوع يهتف بهم باكياً معتبراً: **يا حسن يا حسين يا زينب هلموا وتزودوا من أمكم فهذا الفراق، واللقاء في الجنة!!**

لقد أضحى أولاد فاطمة كما وصفتهم في وصيتها لأمير المؤمنين (يتامى) بحاجة إلى كل العطف والحنو في الدنيا، فبالأمس فقدوا جدهم واليوم يفارقون أمهم، بضعة

(١) الأمالي للشيخ المفيد ص ٤٠-٤١، سلسة مؤلفات الشيخ المفيد: ط٢:دار المفيد للطباعة والنشر١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

أيام تتالت حصدت معها أغلى حبيبين، مع أنعم لحظات الهناء.

شاركت الحوراء زينب أخويها لحظات الوداع فارتمت على الجسد الطاهر المسجى، يغسلون كفن أمهم الحانية بالدموع والآهات والزفرات.

إن ما حدث بعد ذلك، قد لا تفسره لنا عقولنا القاصرة، ولا تتخيله مداركنا العاجزة، ولكن سيد الأوصياء، أرسلها شاهدة مروية صادقة...، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **أشهد الله أنها حنّت وأنّت وأخرجت يديها من الكفن، وضمتهما إلى صدرها ملياً**[١].

فهنيئاً للعقيلة زينب وأخويها وهم يشاركون أباهم تغسيل وتكفين ووداع ودفن سيدة نساء العالمين والابنة الوحيدة الفريدة لسيد المرسلين وبضعته الطاهرة... في حين حرم الباري عز وجل الكثير ممن عاصروها هذا الفضل العظيم.

لقد فارقت السيدة فاطمة عليها السلام أولادها وأحبتها جسداً ولم تفارقهم روحاً وذكرى عطرة..، ذهبت فاطمة لمن تاقت الروح شوقاً للقياه، إلى أبيها الذي كان ينتظر سبق ارتحالها إليه، وبقيت زينب حائرة، صابرة، وطيف أمها لا يفارقها، وكذلك حال السيدة الزهراء عليها السلام فإن روحها لم تفارق ابنتها الغالية[٢].

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجلس عند قبر الزهراء عليها السلام ليلاً يقرأ القرآن بناءً على وصيتها، وفي ليلة من الليالي قرأ شيئاً من القرآن ثم غفا ليلاً وإذا به يرى السيدة فاطمة في المنام تقول له: **شكر الله سعيك يا بن العم لقد نفذت الوصية يا أبا الحسن**، ثم قالت: **ارجع يا أبا الحسن إلى البيت لأن زينب جلست من نومها ونظرت إلى مكاني فرأته خالياً فأخذت بالبكاء** فلما سمع الإمام عليه السلام كلامها رجع إلى البيت مسرعاً فوجد

(١) محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ص ٤٣٥.

(٢) إبراهيم حسين بغدادي، زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة، ص ٦٢.

زينب عليها السلام جالسة وهي تنظر إلى مكان أمها الزهراء وعيونها تتحادر دموعاً فلما وقع بصرها على أمير المؤمنين صاحت: **واأماه وافاطماه**[١].

وتبقى عقيلة الهاشميين سيدة الأحزان بحق، فمن فراق الأم العظيمة وحتى أن تحل بها وبأخويها فجيعة فقدها للأب الرحيم، لا نجد شيئاً يذكر من الأخبار والروايات عن السيدة زينب عليها السلام وكيف يمكن لنا الإحاطة بحياة سيدة قضت معظم حياتها في الخدر ووراء الستر، ولم يطلع على حياتها العائلية إلا أهلها وذووها[٢].

ولكن ألم تكن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أم الحوراء زينب عليها السلام، فقد قضت حياتها في الخدر؟ وأبى الله ونبيه إلا أن يطلعنا على عظيم منزلتها وقدسية وجودها الإنساني بذكر تفاصيل من حياتها الخاصة من زواج وولادات وعبادة وتقوى، حتى أضحت أحاديث النبي المصطفى صلى الله عليه وآله عنها خير معين للقلوب الولهة لمحبتهم والعقول الساعية لفهم درجة قربهم وحظوتهم عنده.

جل ما نستطيع قوله يقيناً إن أخت الأحزان وسيدتها المبجلة قد شاءت لها الأقدار أن ترافق الأحداث التي مر بها البيت العلوي كاملة فلم تكن تفارق أباها وأخويها، ولقد استعاضت عن مرارة يتم الأم بحنو الأب الرحيم، فهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة**.

وفي أحضان هذا الأب الشمولي تربت السيدة زينب عليها السلام، الذي غمرها وغمر أخويها الحسن والحسين عليهما السلام وكل أولاده وبناته بطيب العاطفة والمحبة ليعوضهم قساوة الأيام والرزايا التي سيلاقونها من بعده.

---

(١) مهدي تاج الدين، المجالس المرضية في الأيام الفاطمية، المكتبة الحيدرية، ط١، قم، ص ٤٦.
(٢) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٢٧.

ويشاء القدر مرة أخرى أن يجرع السيدة زينب مرارة اليتم ويروع قلبها الكبير، بفقد الأب العطوف، في شهر الرحمة والبركة. شهر رمضان المبارك[١].

وهكذا اخترق قلب السيدة زينب سهم الحزن معاً مع أخيها الحسن، ليلة ١٩ من رمضان عام ٤٠ هجرية.

فقد ضُرِب الإمام علي عليه السلام ليلة الجمعة، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة[٢].

لقد لازمت عقيلة بني هاشم أباها في لحظاته الأخيرة وحدثت بها، قالت:... قال (تعني أباه): «**إني رأيت الساعة رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يقول لي: يا أب الحسن إنك قادم إلينا عن قريب، يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك، وأنا -والله- مشتاق إليك وإنك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان، فهلم إلينا فما عندنا خير لك وأبقى** قال: فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب، وأبدوا بالعويل، فأقسم عليهم بالسكوت، فسكتوا»[٣].

وقفت السيدة زينب عليها السلام لتضيف إلى أحزانها المختزنة حزناً آخر..، وأخذت تصغي إلى أبيها أمير المؤمنين وهو يوصي أخاها الحسن: **أُدن مني حتى أسر إليك ما أسر إلي رسول الله وائتمنك على ما ائتمنني عليه**[٤].

وودعا معاً رجل يعرفه الله ورسوله ولا يعرفه غيرهما، وها هي تروي قائلة: كان

(١) مريم فضل الله: المرأة في ظل الاسلام، ص ٢٧٦.
(٢) تاريخ الطبري، ج٥/ ص ١٥٣.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٢، ص ٢٧٧، باب ١٢٧.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ٢٣١. نقلًا عن: أعلام الورى، ج١/ ص ٤٠٦.

آخر عهد أبي إلى أخوي عليهما السلام أنه قال لهما: **يا بني إذا أنا مت فغسلاني ثم نشفاني بالبردة التي نشف بها رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة، وحنطاني وسجياني على سريري، ثم انظروا حتى إذا ارتفع لكما مقدم السرير فاحملا مؤخره**[١]...

وتتابع السيدة زينب عليها السلام رواية الدفن، فنعلم أنها قد شاركت أخويها دفن الأب بعد أن شاركتهم قبل سنين دفن الأم.

رحل الإمام إلى جوار ربه، وترك زينب تندب أباها البطل الهمام، باكية متفجعة، تتجرع الحسرات، تقف عقيلة الهاشميين وقلبها يتفطر أسى ولوعة، ونرى سيدة الأحزان تركن إلى أخيها الحسن مصغية إلى مقالته بين الجمع: «**لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح عليه، وما خلف صفراء ولا بيضاء**».. ثم خنقته العبرة فبكى، وبكى الناس معه[٢].

وعادت أخت الأحزان إلى مدينة جدها بعد أن دفنت أباها في الكوفة، عجباً لهذه الأيام كيف تغتال سعادتها بفراق الأحبة..، في كل مدينة لها قبر وحبيب، ولم يتوقف مجرى نهر الحزن مرة واحدة بل لعله كان ملازماً للسيدة زينب عليها السلام في كل مراحل حياتها، كما لازمت هي أخاها الإمام الحسن عليه السلام في عودته إلى ديارهم، إلى مدينة جدهم، ويترك البلد الذي خذله وخذل أباه من قبل، وشهدت معه محاولات اغتياله من قبل المرتشين من معاوية والخوارج وسلم منها.

---

(١) القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٥٨٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج٥/ ص ١٤٧.

وشهدت السيدة زينب عليها السلام أخاها الإمام الحسن عليه السلام وهو يلقي الحجة عليهم في تقاعسهم وتخاذلهم عن آل البيت، عندما قام خطيباً في الناس، فقال: «**يا أهل العراق إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي**»(١).

وقد ذكر زيد بن وهب الجهني أنه بعد أن جُرح الإمام عليه السلام في المدائن سألته عن موقفه الذي سيتخذه في هذه الظروف فأجاب عليه السلام: «**أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله لئن آخذ من معاوية عهدا أحقن به دمي، وأومن به في أهلي ، خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلما، والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن علي فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه علي الحي منا والميت**»(٢)...

ولم تتوقف سهام الحزن... وعادت لتسدد إلى قلب الحوراء عليها السلام سهماً جديداً فبعد عشر سنين من فاجعة أبيها جاءت نباله حادة حامية تستأصل ريحانة الرسول وبضعته، إمام عصرها وخيرة رجاله، ووديعة أمها الزهراء الذي عاشت معه كل سنين عمرهما المبارك.

كان الإمام الحسن عليه السلام لزينب الكبرى عليها السلام أخاً كبيراً وأباً بديلاً وإماماً مراعياً لحقوقها ومنزلتها..، وتقطعت نياط قلبها يوم حضرت السيدة زينب عليها السلام عند أخيها ساعة الوفاة: «... وصاحت زينب: واأخاه! واحسناه! واقلة ناصراه! يا أخي من ألوذ به بعدك؟! وحزني عليك لا ينقطع طول عمري! ثم إنها بكت على أخيها وهي تلثم

(١) تاريخ الطبري، ج٣/ ص ١٦٥.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢: ص، ١١، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، الناشر دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م.

خديه وتتمرغ عليه، وتبكي عليه طويلاً»[١].

انفطر قلب السيدة زينب عليها السلام لمأساة أخيها وتجددت عليها المصائب والأحزان، ومما زاد في آلام السيدة وأحزانها ما تعرضت لها جنازة أخيها من إساءة كل ذلك ضاعف من أحزان الحوراء والهاشميين لذلك ورد في التاريخ: أن نساء بني هاشم وفي طليعتهن أخت الأحزان زينب عليها السلام استمرن في النياحة على الإمام الحسن عليه السلام شهراً كاملاً، وأظهرن الحزن ولبسن السواد سنة كاملة[٢].

إن كل هذه الأحزان لو أصابت جبلاً لصدعته فهل تتكسر سهام أحزان زينب على صخرة قلبها المؤمن أم أنها ستستسلم لليأس والنحيب. هنا مصدر قوة سيدة الأحزان وأختها فقد بقيت متماسكة نفسها رغم كل المصائب التي حلت بها وبآل بيتها.. وكأنها تختزن عمق صلابتها وتجلدها وصبرها ليوم الحزن الأكبر في كربلاء.

أم كلثوم... الأخت الصغرى

تناولنا في حديثنا عن دور الأخت في حياة الإمام الحسن عليه السلام وأثر السيدة زينب الكبرى عليها السلام في حياة أخيها، ويبدو أن سعة دورها وشدة سطوعه وألقه قد حجب الضوء عن بقية الأخوات وعلى وجه الخصوص السيدة أم كلثوم عليها السلام والتي هي شقيقة الإمام من والده ووالدته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وربما يأتي هذا التعتيم غير المقصود أيضاً، لوجود اختلاف في الروايات عن (أم كلثوم) هل هو أحد أسماء السيدة زينب الكبرى عليها السلام أم أنها شخصية حقيقية وأخت

---

(١) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٦٨. نقلًا عن معالي السبطين، للمازندراني، ج١، المجلس التاسع.

(٢) حسن الصفار، المرأة العظيمة، ص ١٢٧.

أخرى للإمام الحسن عليه السلام، حيث يقال أن السيدة زينب الكبرى عليها السلام كنيتها (أم كلثوم) و(أم الحسن)[١].

يوجد – في كتب التراجم – اضطراب شديد حول هذا الاسم وهذه الكنية، فالمشهور أن السيدتين: زينب وأم كلثوم بنتان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. ولكن لبعض المؤرخين وجهة نظر مخالفة، وقول آخر، حيث يجد أن التعبير عن السيدة زينب الكبرى قد جاء في بعض كتب الحديث والتاريخ لعدة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن هذا التعبير هو كنية لها.

الاحتمال الثاني: أنه اسم ثانٍ لها.

والاحتمال الثالث: أنه اشتباه وتوهم من بعض المؤرخين، حيث أنهم عبروا عنها باسم أختها، أو بكنية أختها.

الاحتمال الرابع: وجود سبب آخر خفي علينا، بسبب ظلم التاريخ لترجمة حياة أهل البيت.. رجالاً ونساءً[٢].

ويقطع المؤرخ محمد كاظم القزويني بأن المقصود من أم كلثوم، هي السيدة زينب الكبرى، ويستند إلى الاحتمال الأول، لاسيما وأن شخصية البنت الثانية للإمام أمير المؤمنين أحيطت بسحاب كثيف من الغموض والإبهام والتشويش، إلى درجة أن بعض المعاصرين أعطى لنفسه الجرأة في أن ينكر وجود بنت ثانية للإمام من زوجته السيدة

---

(١) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٣٨. نقلًا عن: كتاب (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم) للسيد جعفر بحر العلوم، المتوفى سنة ١٣٧٧هـ.

(٢) المصدر نفسه.

فاطمة الزهراء... ويكون اسمها أم كلثوم[١].

في حين تؤكد كثير من الكتب التاريخية المعتبرة كون (أم كلثوم) هي بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، وروى الكليني في الكافي ذلك[٢].

وكذلك قال الزمخشري في ربيع الأبرار خطب عمر أم كلثوم بنت علي عليها السلام من فاطمة وقال زوجنيها فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد، فقال عليه السلام هي صغيرة.

وفحوى كلام الشيخ المفيد (رحمه الله) يؤكد وجود السيدة أم كلثوم أخت أخرى للإمام الحسن عليه السلام، ففي جواب المسائل السردية أن الخبر الوارد بتزويج أمير المؤمنين عليه السلام بنته من عمر لم يثبت وطريقه من الزبير بن بكار ولم يكن موثوقاً به في النقل وكان متهماً فيما يذكره من بغضه لأمير المؤمنين وغير مأمون والحديث مختلق[٣].

وقد ذكرت أم كلثوم الصغرى وهي إحدى أخوات الإمام الحسن عليه السلام من والده أمير المؤمنين عليه السلام من أمهات شتى في مصادر أخرى[٤].

وكان بيت السيدة فاطمة الزهراء وعلي عليهما السلام استقبل ابنتهما الثانية وطفلهما الرابع بالفرح والسرور، وقد شاركت السيدة أم كلثوم أختها زينب في النسب الشريف والتربية

---

(١) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٣٩. نقلًا عن: كتاب (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم) للسيد جعفر بحر العلوم، المتوفى سنة ١٣٧٧هـ.

(٢) الحائري، تراجم أعلام النساء – ج١، ص ٣٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

(٤) المنتقى في أعقاب الحسن المجتبى، ص ١٠٨. نقلًا عن: نسب قريش للزبيري، ص ٤٠ – ٤٤، جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٣٧ – ٣٨، جمهرة النسب للكلبي، ص ٣٠ – ٣١، لباب الإنسان للبيهقي، ص ٣٣٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ١٤، تاريخ الطبري: ٥ / ١٥٣ – ١٥٥، مروج الذهب للمسعودي، ٣ / ٦٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٦٢ – ٢٦٣.

الممتازة والأحداث كلها وإن اختلفت عنها في بعض جوانب حياتها[١].

وقيل إن اسمها رقية، وقيل زينب الصغرى، وقد لازمت أخويها الإمامين المجللين الحسن والحسين عليهما السلام وظلت قريبة منهما إلى أن توفي الإمام الحسن عليه السلام فلازمت الإمام الحسين عليه السلام ورافقته في رحلته إلى كربلاء[٢]. وكانت الساعد الأيمن لشقيقتها الكبرى السيدة زينب عليها السلام.

(١) محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، ص ١٣٨.

(٢) زميزم، ص٥١.

الفصل الثالث

الإمام الحسن عليه السلام

...ونساء أخريات

- أم سلمة... الأم الربانية.
- أم أيمن... الأم الطيبة.
- أم البنين... فاطمة أخرى.
- أسماء بنت عميس... أم أخرى.
- أمامة... وصية الزهراء عليها السلام.
- فضة... امرأة من ذهب.

تمهيد

بعد أن كانت الأم الطاهرة أول النساء وأجلهن في حياة الإمام الحسن عليه السلام، والأخت الصابرة أقرب النساء وأحبهن إليه..، وقبل أن نتناول صفحة أخيرة في حياة الإمام السبط، ألا وهي المرأة – الزوجة والابنة التي شاركته الشطر الأخير من عمره المبارك. وجدنا لزاماً علينا أن نلتفت إلى وجود نساء أخريات مررن في حياة الحسن عليه السلام وكان لهن أثر بعيد في رفده بالمولاة وطيب المعاشرة.

فلا نستطيع أن نبحر في سنوات ابن الزهراء عليها السلام دون أن نتوقّف عند أم سلمة، وأم أيمن، وأم البنين، وأسماء بنت عميس، وأمامة، وفضة. فهؤلاء النسوة كنَّ على تماس كبير بحياة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، ولذا فإن الحسن عليه السلام كان يتعامل معهن كنساء أحببن هذا البيت وأدمن الولاء له وخدمنه بكل إخلاص. فمن الإخلاص والوفاء أن نمر على وجود هذه النساء الطيبات ونلتقط شذرات من الأثر الذي تركنه في حياة الإمام عليه السلام، وفق ما جاءت به المصادر التاريخية.

وهنا لابد من ذكر ملاحظة مهمة، هي إن كل واحدة من هؤلاء النسوة كان مُرَحَّباً بها للولوج إلى بيت فاطمة وعلي وقد شهدن لحظات الفرح والسرور، وكذلك ساعات الأحزان والمآسي التي طالت هذا البيت المطهر. كما أن هناك العديد من نساء بني هاشم ونساء أهل المدينة من صحابيات ومؤمنات كن يدخلن على فاطمة وبنيها، ولكن مرورهن أما أن يكون عابراً، أو أن كتب السيرة والتأريخ ومصادرها لم تذكره لنا...، أو أن مواقفهن لم تكن بذات الأهمية والقوة التي اتسمت بها مواقف أولئك النسوة.

ولقد تناولنا هذه الأسماء الحية والخالدة في ضمير الأمة الإسلامية، حسب التسلسل والوجود التاريخي في حياة الأمام الحسن عليه السلام، كما راعينا تقديم كل من السيدتين الجليلتين (أم سلمة وأم أيمن) باعتبارهما من أمهات المسلمين وزوجات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

أم سلمة... الأم الربانية

منذ أن أطل الإمام الحسن عليه السلام على الدنيا، وهو يرى ويسمع السيدة (أم سلمة) بين ظهرانيهم، فلقد تلقفت يداها جسده الغض وليداً تنفيذاً لوصايا النبي محمد صلى الله عليه وآله إليها. وأخذ يدرج في غرفتها ملاعباً جده وقتما شاء في نهار أو ليل..، ولقد وعت ذاكرته الطفولية، كيف كانت (أم سلمة) زوجة مطيعة للنبي لا تخالفه في قول أو فعل، ومن هنا جاءت موالاتها لفاطمة وبعلها وبنيها حتى الممات، فكانت مناصرة لعلي وفاطمة، وحافظة لكتب علي في غيابه وما برحت تحدث عن أهل بيت وفضلهم على العالمين ما حييت.

فماذا يكتب القلم عن سيدة هي أم المؤمنين بحق؟ ولنبدأ منذ البداية... تذكر تراجم السِيَر، أن اسمها رملة، وقيل هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية القرشية وقيل إن اسم أبيها حذيفة، وقيل سهيل الملقب زاد الراكب وهو أحد الأجواد[1]. وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية، وزوجها الشهيد أبو سلمة، أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسم أبي سلمة عبد الله وأمه برة بنت عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف بن قصي، وكان لأبي سلمة من الولد سلمة وعمر وزينب ودرة، شهد بدراً وأحداً وكان الذي جرحه بأُحد أبو أسامة الجشمي رماه بمعبلة في عضده فمكث شهراً يداويه فبرأ فيما يرى وقد اندمل الجرح على بغي لا يعرفه فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة سرية إلى بني

(١) الحائري، تراجم أعلام النساء، ج١/ ص ٢٧٢.

أسد بقطن فغاب بضع عشرة ليلة ثم قدم المدينة فانتفض به الجرح فاشتكى ثم مات.[١]

هاجرت أم سلمة مع زوجها ابي سلمة الهجرتين، وليس أم سلمة بنت عمة النبي صلى الله عليه وآله كما ذهب إلى ذلك القزويني[٢].

والسيدة أم سلمة من أوائل المسلمين مع زوجها وأول مسلمة هاجرت إلى الحبشة مع زوجها، وهناك ولدت ابنها سلمة ثم قدما إلى مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر ودرة وزينب، فلما نظر إلى نخل المدينة قيل لها هذه الأرض التي تريدين، وقد شارك زوجها مع الرسول في غزوة بدر، وشهدت غزوة خيبر[٣].

بعد أن استشهد زوجها أبو سلمة متأثراً بجراح أصابته يوم أحد كما مر. أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يكفلها هي وأولادها فتزوجها، ومنذ ذلك الحين لقبت بأم المؤمنين، مع شدة محبتها وتعلقها بزوجها الشهيد أبي سلمة، حيث ورد في الإصابة (ج٤، ص ٤٠٧) من قولها، قالت لزوجها أبي سلمة بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من اهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذا إذا ماتت امرأة وبقي الرجل بعدها فتعالَ أعاهدك أن لا أتزوج بعدك ولا تتزوج بعدي، قال: أتطيعني، قالت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك، قال: فإذا مت فتزوجي، ثم قال: اللهم ارزق ام سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يخزيها ولا يؤذيها، فلما مات قلت من هذا الذي هو خير

(١) ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ج٣/ ص١٨٠-١٨٢، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١١٧. وقيل: إن سهيل بن المغيرة والد أم سلمة هو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله، برة بنت عبدالمطلب لقبه زاد الركب لأنه كان أحد أجواد العرب، فكان إذا سافر لم يحمل من يكون معه أو برفقته زاداً، بل هو يكفيهم جميعاً مؤونة السفر، لجوده وكرمه.. أما مغنية فيذكر أن أم سلمة هي بنت عمته عاتكة بنت عبدالمطلب (موسوعة الإمام علي / ج٣، ص ١٩).

(٣) الحائري، تراجم، ج١/ ص ٢٧٢.

لي من أبي سلمة فلبثت ما لبثت ثم تزوجني النبي صلى الله عليه وآله[١].

ومن هذا الحديث المروي تتضح لنا صورة نقية لامرأة مسلمة ذات خلق رفيع ووفاء وإخلاص متناهٍ، وهي التي شربت حب الإسلام وتزينت بآدابه، ونهلت من تعاليمه حتى صارت في طليعة النساء المسلمات اللواتي رسخ الإيمان في قلوبهن، وانعقدت العقائد الصحيحة بين أضلعهن، فهي من أهل الاستقامة والولاء للنبي صلى الله عليه وآله وآله البيت عليهم السلام ومن الدعاة إلى الله تعالى حتى وفاتها[٢].

لقد عاشت أم سلمة مع زوجها أبي سلمة في وئام وانسجام وتكافل وتعاون مواساة، ما بين هجرة وأخرى، حتى بلغ حبها واحترامها لزوجها أنها لم تطلب من الله تعالى أن يخلفها عنه بخير منه، وهذا ما تؤكده في حديثها، قالت أم سلمة: فلما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم أخلفني فيه بخير منه، ثم قالت: من خير من أبي سلمة؟ أليس، أليس...»[٣].

أي ليس هناك من هو خير من زوجها لأنه فعل معها من المعروف والعشرة الطيبة الكثير، فلذلك تقول أليس، أليس أي أليس هو المؤمن والمهاجر والزوج المحب الوفي والعشير الطيب؟ فلذلك لم تكن أم سلمة ترى بديلاً خيراً منه، حتى عندما تعرض لخطبتها أبو بكر وعمر.. فردتهما. إلى أن جاء خير البشر جميعاً وسيد الكائنات، فأرسل إليها خاطباً فقالت عندها: «مرحباً برسول الله صلى الله عليه وآله... ورسوله»[٤]. وعلمت آنذاك لِمَ طلب منها زوجها الشهيد أبو سلمة أن تتزوج من بعده...، لقد مَنَّ الله تعالى عليها

(١) الحائري، تراجم، ج١/ ص ٢٧٢.
(٢) علي الفتلاوي، المرأة في حياة الحسين عليه السلام، ص ٦٥.
(٣) المصدر نفسه. نقلًا عن: صفوة الصفوة: ٢ / ١٢.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦٦.

بخير خلف.

ولكنها أجابت الرسول قائلة: ولكن ارجع إلى النبي وقل له: إني امرأة غيرى، وإني أم أيتام، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما قولك: إني أم أيتام «مصيبة» فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك إن غيرى • فسأدعو الله أن يذهب غيرتك وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهداً ولا غائباً إلا استرضاني».

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الرابعة للهجرة، من شهر شوال، فكانت من خيرة نسائه، ذات عقل راجح وإيمان راسخ ورأي صائب مع ورع وتقى[1].

وقد نقلت السيدة أم سلمة عند زواجها إلى بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين، وأحدث دخولها في دور النبي ضجة وأشاع قلقاً في الزوجتين السابقتين عائشة وحفصة، فالزوجة الجديدة عريقة المنبت ذات جمال وإباء وفطنة، فأبوها أحد أبناء قريش المعدودين وأجوادهم المشهورين وأمها من بني فراس الأمجاد. وزوجها الشهيد أبو سلمة بن عمة النبي. وكان الرسول لذلك يكرمها ويحفظ لها مكانتها، فقد كان صلى الله عليه وآله يعدها من أهله، حدثوا أنه كان يوماً عندها وابنتها زينب هناك، فجاءته الزهراء مع ولديها الحسن والحسن عليهما السلام، فضمها إليه ثم قال: ﴿**رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾ فبكت أم سلمة فنظر إليها الرسول وسألها **ما يبكك؟** أجابت يا رسول الله خصصتهم وتركتني وابنتي. قال: **أنت وابنتك من أهل البيت.**

عن عائشة، قالت: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله أم سلمة، حزنتُ حزناً شديداً، لما ذكروا لنا من جمالها، قالت: فتلطفت حتى رأيتها، فرأيتها والله اضعاف ما وِصِفَتْ لي في الحسن والجمال قالت: فذكرت ذلك لحفصة – وكانتا يداً واحدة – فقالت: لا والله، [إن هذه]

(١) عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ص ٢٢٤.

إلا الغيرة ما هي كما يقولون، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت قد رأيتها ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب وإنها لجميلة قالت فرأيتها بعد فكانت لعمري كما قالت حفصة ولكني كنت غَيْرَى[١]

ولأم المؤمنين ام سلمة طلاقة لسان وفطنة ومما يدلنا على طلاقة لسانها وفطنتها ما ينقل لنا التاريخ من نقلها لحوار النجاشي ملك الحبشة وجعفر بن أبي طالب عليه السلام وهو أمير المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة. ذكر ابن هشام في السيرة النبوية، عن أم سلمة قولها: «لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا خير جار – النجاشي – أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما أتيه منها الأدم»[٢].

وينقل عنها ابن هشام تمام حديثها الطويل وقد أسماه حديث أم سلمة. ولها حديث آخر تذكره المصادر وتخبرنا فيه عن رحلتها مهاجرة إلى المدينة المنورة، حيث كانت أول ظعينة دخلت المدينة بعد أن سبقها زوجها إليها[٣].

دخلت أم سلمة بيت النبي صلى الله عليه وآله وكان أول اهتماماتها هو رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وتحقيق رغباته فصارت تحب من يحب وتبغض من يبغض حتى بلغ بها الأمر أن تحب السيدة خديجة وهي ضرتها لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحبها ويذكرها بمحبة، فأحبتها وأحبت

(١) ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ج٨/ ص٧٥، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان..

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/ ص ٣٥٨ – ١٥٩. والأدم: هو الجلد وكانت مكة مشهورة بها وهي من مصادر ثروتها.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوة، ج٢/ ص ١١٣.

أولادها، ولمست أن النبي يحب علياً عليه السلام فأحبت علياً عليه السلام ووالته وأخلصت له ولأولاده ولا سيما الإمام الحسن عليه السلام الذي ولد على يديها الكريمتين[١].

ولطالما ذكرت السيدة الجليلة أم سلمة السيدة خديجة الكبرى عليها السلام بخير، فلقد خاطبت النبي صلى الله عليه وآله.. في حديث طويل عن كيفية زواج فاطمة وعلي عليهما السلام وطلب زوجات النبي الإسراع بذلك...

قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: **خديجة وأين مثل خديجة صدقتني حين يكذبني الناس، وأيدتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها. إن الله عز وجل أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه، ولا نصب.**

قالت أم سلمة: فقلنا: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك. غير أنها قدمت إلى ربها فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورحمته رضوانه[٢].

ولمعرفة مدى حرص السيدة أم سلمة على نيل رضا الرسول وعدم إغضابه، فلننظر في قول عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكر خديجة لم يكد سأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها يوماً فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن.

قالت: فرأيته غضب غضباً شديداً، فأسقط في يدي، وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبي ما لقيت قال: **كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد**

---

(١) علي الفتلاوي، المرأة في حياة الحسين عليه السلام، ص ٦٦.

(٢) من حديث طويل رواه الخوارزمي بسنده عن ابن سيرين عن أم سلمة، الطبسي، حياة الصديقة فاطمة، ص ٨٦، باب زواج فاطمة برواية أم سلمة ، أعيان الشيعة ١٥ / ٧٩.

وحرمته مني. قالت: فغدا وراح علي بها شهراً[١].

ويبدو من المقارنة السالفة، أن الله عز وجل قد استجاب لدعوة نبيه الكريم في أن يذهب غيرة أم سلمة التي اعترفت بها للنبي حين طلب الزواج منها..

لذا تعتبر السيدة أم سلمة من خيرة زوجات رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته.. فلم تؤذ النبي بكلامها أو تصرفاتها، ولم تتآمر عليه مع ضراتها – كما حدث من بعضهن في قصة المغافير ونزول قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ**﴾، بل أحسنت صحبته ومعاشرته في حياته[٢].

وبلغ من إعزاز النبي لربيبه سلمة أن اختاره زوجاً لابنة عمه حمزة سيد الشهداء. والسيدة أم سلمة راوية جليلة من راويات الحديث وقد روت عن النبي ﷺ ٣٧١ حديثاً[٣]. وروت عن الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام الكثير من الأحاديث، فقد كانت في عهد صباها تعيش في كنف أم سلمة بعد أن عهد لها بذلك الرسول الأكرم ﷺ.

قال ابن عباس: هاجرت فاطمة مع أمير المؤمنين ونساء المهاجرين، وكانت عائشة فيمن هاجر معها فأنزلها النبي على أم أيوب الأنصاري، وخطب رسول الله النساء وتزوج سودة أول دخول المدينة، فنقل فاطمة إليها، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية فقالت أم سلمة تزوجني رسول الله وفوض أمر ابنته إلي فكنت أدلها وأؤدبها، وكانت والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها، وكيف لا تكون كذلك وهي سلالة الأنبياء صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها[٤].

---

(١) دخيل، أعلام النساء، ص ٣٤.

(٢) القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد..، ص ٣٩٠.

(٣) الحائري، تراجم، ج١/ ص ٢٧٢.

(٤) الطبسي، حياة الصديقة فاطمة، ص ٩٦. نقلًا عن: دلائل الإمامة، ص ١٢، بحار الأنوار ،

وفي التراجم، عن أم سلمة قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وفوض أمر ابنته فاطمة إلي فكنت أؤدبها وكانت والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها[١]. ولقد بقيت السيدة الزهراء عليها السلام في بيت أم سلمة إلى أن تزوجها الإمام علي عليه السلام. وهذا الأمر يدلل بكل وضوح كيف كانت أم سلمة أماً حقيقية للزهراء عليها السلام. حتى أنها ما فارقتها في خطبة أو زفاف، في زواج أو ولادة، في سعادة أو حزن.. لقد كانت نِعْمَ الأم الربانية أم المؤمنين أم سلمة. وللسيدة فاطمة كذلك مكانتها الرفيعة عند أزواج النبي، فكن يحترمنها ويعظمنها غاية التعظيم لما كانوا يرون ما يصنع النبي بها ويعظمها غاية التعظيم.

فكم حدثت من أحاديث نقلتها السيدة أم سلمة عن النبي وابنته، وتناقلتها الألسن عنها..، عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة وحسن والحسين: **أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم**.

وفي حديث آخر عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن صبح مولى أم سلمة رضي الله عنها عن جده عن زيد بن أرقم قال: مر النبي صلى الله عليه وآله على بيت فيه فاطمة وعلي وحسن وحسين رضي الله عنهم فقال: **أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم**[٢].

إن السيدة المؤمنة الحقة أم سلمة قد واكبت مولاتنا بضعة النبي المصطفى في مراحل حياتها كافة، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله في بيتها يوم خطبة الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء، وقد أودع عندها النبي صلى الله عليه وآله شيئاً من صداق فاطمة عليها السلام، وكانت مرجع النساء في قضايا زواج السيدة فاطمة[٣].

ج٤٣/ ص ١٠.

(١) الحائري: تراجم، ج٢/ ص ٣٠٣.

(٢) الطبراني، أخبار الإمام الحسن، ص ٦٣.

(٣) القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١١٦.

أما تفاصيل الخطبة والزواج فقد اعتمدت رواية أم سلمة ورواها عنها الخوارزمي بسنده عن ابن سيرين، وفيها روت: «أنه لما أدركت فاطمة بنت رسول الله مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل السابقة والفضل في الإسلام والشرف والمال، وكان كلما ذكرها أحد من قريش أعرض رسول الله عنه بوجهه حتى كان يظن الرجل منهم في نفسه أن رسول الله ساخط عليه أو قد نزل على رسول الله ﷺ فيه وحي من السماء..»[١].

ولقد كان رسول الله ﷺ في منزل أم سلمة. فجاء علي ودق الباب فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها رسول الله ﷺ قبل أن يقول علي أنا علي: **قومي يا أم سلمة فافتحي له الباب ومُريه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما**. قالت أم سلمة: فقلت: فداك أبي وأمي ومَن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟ قال: يا **أم سلمة هذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق هذا أخي وابن عمي وأحب الخلق إليّ**. قالت أم سلمة: فقمت مبادرة أكاد أن أعثر بمرطي ففتحت الباب فإذا بعلي بن أبي طالب عليه السلام والله ما دخل حين فتحت له حتى علم أني قد رجعت إلى خدري...»[٢].

ولقد ذكر الإمام علي عليه السلام أنه قد دفع مهر زوجته إلى أبيها من درعه التي باعها، فقسم النبي ﷺ المبلغ، قال علي عليه السلام: «ودفع رسول الله باقي ثمن الدرع إلى أم سلمة وقال: **ارفعي هذه عندك**..»[٣].

ومن قول النبي المصطفى ﷺ هذا، يظهر جلياً أن السيدة أم سلمة كانت موضع ثقة النبي ثم أصبحت فيما بعد موضع ثقة الوصي. أما السيدة فاطمة الزهراء فإنها كانت رفيقة دربها من بيت النبوة حتى بيت الإمامة. فلقد تولت أم سلمة تزيين فاطمة

(١) الطبسي، ص ٨٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٨٥.

وتطييبها وفرش بيتها مع أزواج النبي الأخريات، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله من الدراهم التي دفعها إلى أم سلمة عن ثمن الدرع عشرة دراهم فدفعها إلى علي ثم قال: **اشتر تمراً وسمناً وأقطاً**[١].

تقول أم سلمة عن تلك السويعات المباركات، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **هيئوا لابنتي وابن عمي في حجري بيتاً**، فقلت: في أي حجرة يا رسول الله؟ فقال رسول الله: **في حجرتك**.. قالت أم سلمة: فسألت فاطمة عليها السلام هل عندك طيب ادخرتيه لنفسك قالت: **نعم** فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي فشممت منها رائحة ما شممت قبلها قط. ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: **يا أم سلمة هلمي فاطمة** فانطلقت فأتت بها وهي تصحب أذيالها وقد تصببت عرقاً وحياءً من أبيها فعثرت فقال صلى الله عليه وآله **أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة**[٢].

وفي حديث آخر أن النبي أمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة عليها السلام وأن يفرحن ويرجزن ويكثرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضي الله...، فأنشأت أم سلمة:

سرن بعون الله جاراتي ... واشكرنه في كل حالاتي
واذكرن ما أنعم رب العلى ... من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد ... أنعشنا رب السماوات
يا بنت من فضّله ذو العلى ... بالوحي منه والرسالات[٣]

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز، ثم يكبرن ويدخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي ودعاه إلى المسجد ثم دعا فاطمة فأخذ يديها ووضعها في يده

(١) الطبسي، ص ٨٦.
(٢) الحائري، تراجم، ج٢/ ص ٣١٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣١١.

وقال: **بارك الله في ابنة رسول الله**. وفي كتاب ابن مردويه أن النبي سأل ماء فأخذ منه جرعة فتمضمض بها ثم مجها في القعب، ثم صبها على رأسها، ثم قال **أقبلي...**، ثم دعا لهما[١] بعدة دعوات.

«**اللهم بارك فيها وبارك عليهما وبارك لهما في شبليهما**».

«**اللهم إنهما أحب خلقك إلي، فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإني أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم**» وروي أنه قال: **مرحباً ببحرين يلتقيان، ونجمين يقترنان**[٢].

قالت أم سلمة، ثم خرج فأخذ بعضادتي الباب وقال: «**طهركما الله، وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما**»[٣].

روى الكنجي الشافعي بسنده عن علقمة، عن عبدالله قال: «أصاب فاطمة عليها السلام صبيحة العرس رعدة فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: **يا فاطمة إنما زوجتك سيداً في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة لما أردت أن أملكك علياً أمر الله تعالى جبرئيل فقام في السماء الرابعة فصف الملائكة صفوفاً، ثم خطب عليهم جبرئيل فزوجك من علي..**».

قالت أم سلمة: فلقد كانت فاطمة تفتخر على النساء، لأن أول من خطب عليها جبرئيل[٤].

وكما حضرت أم سلمة لحظات فرح الزهراء واقترانها بسيد الأوصياء، وحفظت

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ٨٨.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ٨٨.
(٣) الطبسي، ص ٨٧. نقلًا عن: مناقب الخوارزمي، ص ٢٤٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٧. نقلًا عن بحار الأنوار، ج٤٣/ ص ١٠٤.

دعوات النبي لهما بالذرية الصالحة المباركة، فلقد حضرت ولادة الزهراء عليها السلام لوليدها البكر الإمام الحسن عليه السلام.

روي مرفوعاً إلى علي عليه السلام قال: **لما حضرت ولادة فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء بنت عميس وأم سلمة: أحضراها فإذا وقع ولدها واستهل فأذنا في أُذنه اليمنى وأقيما في أُذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما. فلما ولدت فعلتا ذلك**[١]..

وبقيت أم سلمة في خدمة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن المقربات منها، حتى أنها شهدت حمل الإمام الحسن وولادته فكفلته أم سلمة[٢]، تخفيفاً عن الزهراء عليها السلام واجباتها كأم حظيت بشبلين صغيرين وهي في مقتبل العمر.

ومن شدة قربها من الزهراء وابنها الإمام الحسن عليه السلام، إن أم سلمة كانت تتابع أحوال فاطمة عليها السلام في حملها للإمام الحسين عليه السلام، وتسرها بأخص هواجسها ومتاعبها وتطورات أوضاعها..، حتى أن الطاهرة الزكية عليها السلام تقول: **فذكرت ذلك لأم سلمة فشد الله بها أزري**[٣]...، وحتى في أحلامها كانت تتجسد لها صورة أم سلمة بأحلى هيئة، ويكفينا القول أن زيارة السيدة فاطمة عليها السلام لأبيها ومخاطبتها إياه غالباً ما تكون في يوم أم سلمة وفي حجرتها.

ويكفي أم سلمة فخراً أن آية التطهير قد نزلت على الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته وهم في بيت أم سلمة. ففي رواية لها قالت: في بيتي نزلت ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ**

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ١٨٤. نقلًا عن: كشف الغمة ج١/ ص ٥٢٥ فصل ما ورد في حق الحسن عليه السلام.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٧.

(٣) المصدر نفسد، ص ١٩٧.

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي.**

قالت أم سلمة: يا رسول الله، ما أنا من أهل البيت؟

قال: **إنك إلى خير، وهؤلاء أهل بيتي، اللهم أهل بيتي أحق**[١]..

وعلى مختلف الروايات لهذه الآية والتي تعود بإسنادها إلى أم سلمة، لم تَدَّع هذه المؤمنة النبيلة أنها من أهل الكساء، بل أجمعت على أنها نزلت في رسول الله ﷺ وفي أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ولم يشاركهم أحد في هذه الفضيلة[٢].. حتى أم سلمة.

ولطالما سُمِعت أم سلمة وهي تقول: جاءت فاطمة غدية بزبدة لها تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: أين ابن عمك؟ فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما في يد وعلي يمشي في أثرهما حتى دخلوا وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة رضي الله عنها عن يساره.

قالت أم سلمة: فأخذت من تحتي كساء كان بساطنا على المنامة في البيت وجاءت ببرمة فيها خبز بر، فقال لها النبي ﷺ: ادعي لي بعلك وابنيك الحسن والحسين! فدعتهم فجلسوا جميعاً يأكلون من تلك البرمة، قالت وأنا أصلي في تلك الحجرة، فنزلت هذه الآية: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[٣]. فأخذ

---

(١) باقر القريشي، ص ٧٧. نقلًا عن: مستدرك الحاكم: ٢: ٤١٦؛ أسد الغابة: ٥/ ٥٢١.

(٢) للمزيد ينظر: التفسير الكبير: ٦/ ٧٨٣، صحيح مسلم: ٢/ ٣٣١، الخصائص الكبرى: ٢/ ٢٦٤، خصائص النسائي: ٤، مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ١٠٧، السنن الكبرى، البيهقي: ٢/ ١٥٠ وغيرها.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

فضل الكساء فغشاهم ثم اخرج يده اليمنى من الكساء ألوى بها إلى السماء، ثم قال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**، قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي البيت فقلت: يا رسول الله، وانا معكم؟ قال: **أنت على خير!** مرتين[١].

بل إن أم سلمة من صدق حديثها لا تستحي أن تذكر في إحدى رواياتها أنها رفعت الكساء لتدخل معهم فجبذه من يديها وقال لها: **إنك على خير**[٢]. لتؤكد أن هذه الآية لأصحابها: فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها.

لم تدع السيدة أم سلمة يوماً يمر دون أن تشارك فيه أم الحسن وبنيها عليهم السلام لحظات مسرتهم وحزنهم..، فلقد تشاركت في لحظات وداع سيد الخلق عليه السلام، وشاهدت أم سلمة سيدة نساء العالمين وهي تعوّد النبي صلى الله عليه وآله في شكواه ومرضه الذي قبض فيه، ورأتها وقد سارها المصطفى بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت.. قالت أم سلمة: إنها لما سُئِلت عن بكائها وضحكها قالت: **أخبرني النبي صلى الله عليه وآله أنه مقبوض ثم أخبر أن بني سيصيبهم بعدي شدة فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله لحوقاً به فضحكت**[٣].

وما تركتها أم سلمة في مصابها وحزنها الشديد على فقد الحبيب محمد صلى الله عليه وآله، فحزنهما واحد، وفقدهما عزيز، ومصابهما جلل. ولقد كانت معها يوم خطبت في المسجد النبوي فهزت حتى الجماد. كان الإمام الحسن عليه السلام مع والدته يراها في موقف شجاع قل نظيره، تدين الزهراء عليها السلام حادثة السقيفة القريشية، وصرحت بأنها مؤامرة على الإسلام، ودعت الأنصار إلى مقاومتها بالسلاح!

---

(١) الطبراني، أخبار الحسن بن علي، ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٣١. باب ما وقع عليها عليها السلام من الظلم وبكائها وحزنها.

كما أدانت قرارات أبي بكر الاقتصادية لإضعاف أهل البيت عليهم السلام ومنها منع الخمس عنهم، ومصادرة أوقاف النبي صلى الله عليه وآله وهي سبعة بساتين، ومصادرة مزرعة فدك التي منحها النبي لفاطمة، ومنعه إياها من إرث أبيها[١]!

هنا وعندما رد الخليفة الأول على خطبة الزهراء المشهورة بكلام جارح لا يليق بها وببعلها، انبرت أم المؤمنين أم سلمة بشجاعتها المعهودة وفصاحتها المعروفة، وموالاتها الصادقة تدافع عن بضعة الرسول وحقها المغتصب. فماذا قالت؟

جاء في الدر النظيم للشيخ جمال الدين الشامي، قال بعد خطبة فاطمة عليها السلام في المسجد وكلام أبي بكر، قالت أم سلمة (رضي الله عنها) حين سمعت ما جرى لفاطمة عليها السلام: أَلِمثل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يقال هذا القول؟ هي والله الحوراء بين الإنس، والنفَس للنفس، رُبيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأة، وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يُعلمها، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[٢] فأنذرها وخالفت متطلبة؟

وهي خيرة النسوان وأم سادة الشبان، وعديلة مريم، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، ويوسدها بيمينه ويلحفها بشماله، رويداً ورسول الله صلى الله عليه وآله بمرأى منكم، وعلى الله تردون واهاً لكم، فسوف تعلمون.

قال: فحرمت عطاءها تلك السنة[٣].

---

(١) علي الكوراني، جواهر التاريخ، ج١/ ص١٤٥.

(٢) الشعراء، ص٢١٤.

(٣) القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ص ٣٣٠.

يا لها من كلمة حق من امرأة هي أم المؤمنين بحق، لم تهادن ولم تداهن من أجل عطاء الدنيا الفانية، بل وقفت أم سلمة تدافع كأم حقيقية عن ابنتها، ولقد كانت هكذا فعلاً، أماً للزهراء وبنيها.

أترون لو كانت السيدة خديجة الكبرى عليها السلام قد طال بها العمر، ووقفت هذا الموقف، فهل تزيد على مقالة أم سلمة الصادقة هذه حرفاً؟

لقد أحسنت أم سلمة الصحبة والمعاشرة للزهراء وولديها وبعلها في حياة النبي وبعد وفاته، ومواقفها المشرفة تجاه آل الرسول تشهد لها بذلك، فإنها لم تنحرف عنهم في خضم الأحداث التي عصفت بهذه الذرية الطاهرة، بل وقفت موقف المدافع والمحامي والناصر، وشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم.

كان الإمام الحسن عليه السلام معتاداً لوجود أم سلمة في بيتهم، تخدم السيدة الزهراء وكأنها ترى فيها وفي وجودها الإنساني وجود أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، كانت السيدة المؤمنة أم سلمة (رضي الله عنها) تتشرف بخدمة السيدة الطاهرة فاطمة عليها السلام ولا سيما خدمة أبنائها الكرام ومنهم الإمام الحسن عليه السلام. ولقد لازمت بيت الزهراء عليها السلام، حيث كانت تذهب إلى دارها صباح كل يوم وتقضي معها ما تحتاجه من لوازم البيت[1].

كانت عيون السيدة أم سلمة تلتقي كل صباح بعيون ولدها الحسن عليه السلام وهما ينظران بعطف وخشية إلى جسد الطاهرة يزداد ذبولاً ونحولاً يوماً بعد يوم.. وما توقفت عن عيادتها والسهر على راحتها خلال مرضها الأخير، ها هي تدخل عليها عائدة لها مستفهمة: كيف أصبحت عن ليلتك (علتك) يا بنت رسول الله؟

فتجيبها الزهراء عليها السلام: **أصبحت بين كمد وكرب، فقد النبي وظلم الوصي، هتك**

(١) زميزم، ص ١٤.

والله حجابه، من أصبحت إمامته مقبضة على غير ما شرع الله في التنزيل، وسنها النبي صلى الله عليه وآله في التأويل ولكنها أحقاد بدرية، وتراث أحدية، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة إمكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها، ولبئس – على ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين – أحرزوا عائدتهم غرور الدنيا بعد استنصار، ممن فتك بآبائهم في مواطن الكرب، ومنازل الشهادات[1].

إن السيدة الزهراء عليها السلام في مقالتها هذه تعطي دلالات عدة، منها أنها عليها السلام كان يمكنها أن تجيب على سؤال أم سلمة إجابة موجزة ببضع كلمات مطمئنات، ولكنها تتفتح قريحتها الموجوعة وتطّلع أم سلمة عما في دواخلها والضمير دون مواربة، لأنها كانت الأقرب إليها وجوداً ونسباً وموالاة، فلا تتوانى عن تشريح الصورة القاتمة التي ترسمها الأيام للمسلمين.

كما أن السيدة فاطمة عليها السلام تجد في أم سلمة خير متلقٍ لشكواها وخير حافظ وراوٍ لما عرف عنها من صدق الحديث والفطنة والدفاع عن الحق دون مواربة. فكانت أم سلمة أهلاً لحمل هذه الوديعة والأمانة عن بنت النبي المختار، فنقلت عنها الكثير من الأحاديث والروايات.

والجدير بالذكر: أن السيدة أم سلمة هي الوحيدة – من بين زوجات النبي – التي جاءت لزيارة فاطمة الزهراء عليها السلام وعيادتها والسؤال عن صحتها.

فأين كانت غيرها من الزوجات؟! ولماذا لم يشاركنها في الآلام، وهي البنت

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١١٤. نقلًا عن مناقب آل أبي طالب، ج٢/ ص ٢٠٥، فصل ظلامة أهل البيت عليهم السلام.

الوحيدة لخير الأنام[١]؟!

وبقيت السيدة أم سلمة ملازمة للزهراء عليها السلام حتى الرمق الأخير وما كانت سيدتنا فاطمة تناديها إلا (أماه).

ولقد أوصت السيدة فاطمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن يخبر أم سلمة بوفاتها[٢]...، بل إن الرواية التاريخية تشير إلى وجودها عندها في لحظاتها الأخيرة.

جاء في ينابيع المودة عن أم سلمة (رض) قالت: اشتكت فاطمة في وجعها، فخرج علي لبعض حاجته فقالت لي فاطمة: **يا أماه اسكبي ماء**، فسكبت لها ماء، فاغتسلت أحسن غسل، ثم قالت: **يا أماه ناوليني ثيابي الجدد**، فناولتها ثم قالت: **قدمي فراشي وسط البيت**، فاضطجعت ووضعت يدها اليمنى تحت نحرها، واستقبلت القبلة ثم قالت: **يا أماه إني مقبوضة الآن، فلا يكشفني أحد، ولا يغسلني أحد**.

قالت أم سلمة: فقبضت مكانها صلوات الله وسلامه عليها[٣].

لقد غادرت السيدة الزهراء عليها السلام هذه الدنيا وهي راضية عن أم سلمة ومقربة لها، حتى أنها شهدت لحظاتها الأخيرة، وكانت نِعْمَ العون لها في تنفيذ ما تطلب منها.

وظل هذا ديدن أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها)، حتى بعد وفاة الزهراء عليها السلام لم تنقطع عن زيارة بيت الإمام علي عليه السلام ورعاية الإمام الحسن عليه السلام وأخوته، لأن الإمام عليه السلام كان يكن لها احتراماً كبيراً. وتواصلت في خدمتها لبيت الزهراء فأشرفت على زواجات أبنائها بتكليف من الإمام علي عليه السلام، كما كانت تشرف على ولادة زوجاته فيما بعد،

---

(١) القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ص ٣٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩١.

(٣) مريم فضل الله، المرأة في ظل الإسلام، ص ٢٢٥.

واستمرت أم سلمة في رعاية الإمام الحسن عليه السلام إلى أن قرر الإمام علي عليه السلام نقل عاصمة الدولة الإسلامية إلى مدينة الكوفة[١].

ولمنزلتها الكبيرة في نفوس أهل البيت عليهم السلام، أصبحت موضع ثقتهم، والمفضلة عندهم التي يشركونها في أمورهم المهمة كما روي ثقة الإسلام الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إن علياً (صلوات الله عليه) حين سار إلى الكوفة استودع أم سلمة كتبه والوصية فلما رجع الإمام الحسن عليه السلام دفعتها إليه**»[٢].

وبإسناده يرفعه إلى شهر بن حوشب ذكر الرواية ذاتها[٣].

وهذا دليل آخر أكيد على المنزلة الرفيعة والاحترام الكبير الذي كان يكنه الإمام علي عليه السلام إلى هذه السيدة الفاضلة. ولم تحد أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) عن موالاتها لعلي عليه السلام بالمواقف والأقوال..، فلطالما نصحت من ناوءه وعاداه، لقد كان لأم سلمة الرأي السديد، وبعد النظر، مع سلامة التفكير وحسن التعبير والحرص على مصلحة المسلمين، وأداء النصيحة لهم، وإرشادهم إلى طريق الصواب.

ونصيحتها للخليفة عثمان أشهر من أن تذكر، حينما قالت له: يا بني ما لي أرى رعيتك عنك نافرين وعن جناحك ناقرين، لا تعف طريقاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبها،...[٤]

وتتجلى لنا شخصية أم سلمة المؤمنة وتعقلها وبعد نظرها في عواقب الأمور، وذلك بنصيحتها لعائشة يوم خروجها على الإمام علي عليه السلام في واقعة الجمل.

---

(١) زميزم، ص ١٤.

(٢) آل ياسين، ص ٢٩. نقلًا عن: الكافي، ج١/ ص ٢٣٦. ونقله المجلس في بحار الأنوار، ج٤٣/ ص ٣٢٢.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ٢١٣. نقلًا عن: أعلام الورى، ج١/ ص٤٠٦.

(٤) مريم فضل الله: المرأة في ظّل الاسلام، ص ١٧٠. نقلًا عن: عمر رضا كحالة، أعلام النساء.

جاءت عائشة إلى أم سلمة، لاستشارتها من جهة ولإقناعها، لعلها تخرج معها من جهة ثانية. وقد قامت عائشة بهذه المحاولة وهي تعرف حق المعرفة ما تتحلى به رفيقتها من قوة الشخصية وبعد النظر وقوة الاعتقاد بحق علي، ومنزلته عند ربه، وهو الإمام الحق.

ولقد أخلصت لها أم سلمة النصيحة بتذكيرها بكل مواقف الإمام علي عليه السلام في نصرة الإسلام، ومحبة الرسول الكريم له وتحذيراته لنسائه: **أيتكن صاحبة الجمل الأدبب يقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعدما كادت**[1]**؟!**

ولما رأت السيدة أم سلمة موقف الرفض من رفيقتها، كتبت إليها رسالة طويلة تعبر فيها عن مدى أسفها.. وعدم أخذ عائشة بالروية والتعقل والحكمة، وقد ذكر أكثر المؤرخين وأصحاب السير نص هذه الرسالة القيمة. وليس هذا فحسب، فلم تتوقف أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) عند هذا الحد من النصرة لأبي الحسن عليه السلام. روى الخوارزمي في مناقبه حديث هذا نصه: قال: حدثني شهر بن حوشب، قال: كنت عند أم سلمة فسلم رجل فقيل: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذر، قالت: مرحباً بأبي ثابت. أدخل. فدخل ورحبت به، وقالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: مع علي بن أبي طالب، قالت: وفقت والذي نفس أم سلمة بيده إنك مع الحق، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**علي مع القرآن، والقرآن مع علي لن يفترقا حتى ردا عليّ الحوض**». ولقد بعثت ابني عمر وابن أخي عبدالله بن أبي أمية، وأمرتهما أن يقاتلا مع علي من قاتله، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا أن نقر في حجالنا وبيوتنا لخرجت حتى أقف في صف علي[2].

---

(١) يونس رمضان، بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ٢٧١ وما بعدها.

(٢) يونس رمضان، بغية الطالب..، ص ٢٨٩. وقد روى هذا الحديث الخوارزمي في مناقبه، ص

وبعد عودة الإمام الحسن عليه السلام مع أخيه الحسين عليه السلام وعائلته إلى المدينة المنورة، بعد مقتل الإمام علي عليه السلام ووقع الصلح، بقيت السيدة أم سلمة قريبة من الإمام الحسن عليه السلام وأهل بيته وسلمته ودائع أبيه، فهو كان إمام زمانه الواجب الطاعة، وهي كانت لهم بمثابة الأم الحنون، وكان عليه السلام يستشيرها في كل صغيرة وكبيرة.

وأحسب أن أم سلمة كانت أول المبادرات للخروج في توديع الإمام الحسن عليه السلام، والسير خلف جنازته مع نسوة بني هاشم وأهل المدينة.

وتبقى أشهر وديعة أعطاها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لزوجه أم سلمة تراباً حمله له أمين الوحي من التربة التي سيراق فوقها دم الحسين عليه السلام وكيف صار هذا التراب دماً عند مقتله، فكانت أول من أذاع النبأ وبكى على قارورة الدم[1].

ولقد طال العمر بهذه الأم الرؤوم حتى توفيت بالمدينة المنورة عن عمر ناهز الأربع وثمانين سنة، ودفنت بالبقيع بجوار من أحبتهم ووالتهم، رضوان الله عليها وعليهم.

---

١٦٠ ط ١٩٦٥م، المطبعة الحيدرية – النجف.

(١) علي الفتلاوي، المرأة في حياة الحسين عليه السلام، ص ٦٩. نقلًا عن: الأسرار الحسينية في المقامات الملكوتية والمعاني الروحانية للإمام الحسين بن علي عليه السلام، ص ٢٦٢.

أم أيمن... الأم الطيبة

أم أيمن حاضنة النبي ﷺ وخادمة فاطمة عليها السلام امرأة مؤمنة كانت مثالاً للطيبة والتواضع والإيمان الفطري.

لقد عاش الإمام الحسن عليه السلام وهو يراها تدخل بيتهم كأنها واحدة منهم، عاشت حياتها في بيوت بني هاشم، حضنت النبي المختار في طفولته وخدمته في شبابه وكهولته وكانت تعتبر نفسها خادمة لآل بيت النبوة، بل خادمة لفاطمة وبنيها.

وكانت أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، سوداء حبشية ورثها النبي عن أمه وكان اسمها بركة، فأعتقها ﷺ وزوجها عبيد الخزرجي بمكة فولدت له أيمن. فمات زوجها فزوجها النبي ﷺ من زيد، فولدت له أسامة أسود يشبهها، فأسامة وأيمن أخوان لأم[1].

وجاء في التراجم أنها حاضنة رسول الله ﷺ وخادمة أم حبيبة وأم إبراهيم، حبشية اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان الحبشية المعروفة بأم أيمن غلبت عليها كنيتها، كنيت بابنها أيمن بن عبيد، وتعرف أيضاً بأم الظباء، وبأم أسامة[2].

وفي إمتاع الأسماع (٦ / ٣٤٠): تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد بن عمرو بن بلال.. بن عوف بن الخزرج فنقلها إلى يثرب، فولدت له أيمن بن عبيد، فكنيت به

---

(١) علي الكوراني، جواهر التاريخ، ج٣/ ص ٤٥٥. نقلًا عن: البحار ٢٢ / ٣٦٣.

(٢) الحائري، تراجم أعلام النساء، ج١/ ص ٢٣٨.

وغلبت عليها كنيتها[١]. وقيل كانت وصيفة لأخت خديجة بنت خويلد فوهبتها للنبي صلى الله عليه وآله، وقيل وصيفة لعبدالله بن عبدالمطلب أبيه، وقيل كانت وصيفة لأمه فصارت للنبي بعدهما ميراثاً فأعتقها النبي صلى الله عليه وآله حين تزوج خديجة، وكان زيد بن حارثة عبداً لخديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وآله فأعتقه ثم زوجه أم أيمن بعد النبوة فولدت له أسامة بن زيد[٢]. وكانت جارية سوداء نوبية، ورث صلى الله عليه وآله من أبيه أم أيمن فأعتقها وورث خمسة أجمال أوراك (سمان) وقطيعة غنم، وسيفاً مأثوراً (تاريخياً) وورقاً (نقداً)[٣].

وقال ابن شهاب: كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة النبي بعدما توفي أبوه حضنته أم أيمن حتى كبر، ثم أعتقها النبي ثم أنكحها زيد بن حارثة، ويقال: كانت من سبي الحبشة الذين قدموا زمن الفيل، فصارت لعبدالمطلب فوهبها لعبدالله والد النبي، وتزوجت قبل زيد عبيداً الحبشي فولدت له أيمن فكنيت به.

وجاء في الطبقات، في وفاة والدي النبي صلى الله عليه وآله أن أمه آمنة عليها السلام خرجت به إلى أخواله بني النجار بالمدينة فتوفيت في رجوعها، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما من مكة، وكانت تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت[٤].

وتعتبر أم أيمن أماً للنبي بقوله صلى الله عليه وآله: **أم أيمن أمي بعد أمي**. وكان يقول لها: **يا أمه**، ويزورها في بيتها[٥]. وكانت موضع ثقة النبي صلى الله عليه وآله، فقد وضع عندها أمانات الناس، فلما

(١) علي الكوراني، جواهر التاريخ، ج٣/ ص ٤٦٦.
(٢) الحائري، تراجم، ج١/ ص ٢٣٨.
(٣) علي الكوراني، جواهر التاريخ، ج٣/ ص ٤٥٥. نقلًا عن: مناقب آل أبي طالب: ١ / ١٤٧، والطبقات: ١ / ١٠٠، وأسد الغابة: ١ / ١٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٥٦. نقلًا عن الطبقات: ١ / ١١٦.
(٥) الحائري، تراجم، ج١/ ص ٢٣٨، الطبقات: ٨ / ٢٢٣.

أراد الهجرة سلمها إلى أم أيمن وأمر علياً عليه السلام أن يردها[١].

وكانت موضع ثقة جده عبدالمطلب من قبله، ولم يكن يأتمن عليه أحد غير عمه أبي طالب وأم أيمن في طفولته، فكان يقول لها: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبي هذه الأمة. وكان عبدالمطلب لا يأكل طعاماً إلا قال: عليّ بابني، فيؤتى به إليه، فلما حضرت عبدالمطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وحياطته، وبقيت أم أيمن حاضنته.

وقد روت أم أيمن عن طفولة النبي وشبابه ونبوته صلى الله عليه وآله، ومما قالت: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وآله شكى صغيراً ولا كبيراً جوعاً ولا عطشاً! كان يغدو فيشرب من زمزم، فأعرض عليه الغداء فيقول: **لا أريده أنا شبعان**». «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن ثمان سنين يبكي خلف سرير عبدالمطلب، حتى دفن بالحجون»[٢].

وكان النبي صلى الله عليه وآله يقابل أمومتها الحقة ورعاتها له بالاعتزاز والمحبة، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن**، فتزوجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد. ومن بساطة هذه المرأة المؤمنة أنها بقيت على حالها لم تغيرها السنون والبيئة العربية التي عاشت في كنفها، فبقيت إلى آخر عمرها تخطئ في العربية: «وقالت يوم حنين سبت الله أقدامكم فقال النبي صلى الله عليه وآله: **أسكتي يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان**»[٣].

وهذا الأمر لا يثلم شيئاً من حقيقتها التقية النقية وحسن إسلامها وإيمانها وولائها

---

(١) علي الكوراني، جواهر التاريخ، ج٣/ ص ٤٥٧. نقلًا عن: الحدائق الناضرة: ٢١ / ٤٣٣.

(٢) المصدر نفسه، نقلًا عن: الطبقات: ١ / ١٦٨ و١ / ١١٩ ؛ والسيرة الحلية: ١ / ١٤٨، وسبل الهدى: ٢ / ١٣٥ ؛ والبحار: ١٥ / ١٦٢.

(٣) المصدر نفسه، نقلًا عن: الطبقات: ٨ / ٢٢٤ و٨ / ٢٢٥.

لآل بيت النبوة. فلقد كانت من أوائل المسلمين والمهاجرين. يوم هاجرت أم أيمن مع ابنها أيمن وابنها الصغير أسامة، بعد أن واعدهم علي أن يتسللوا ويتخفوا إذا ملأ الليل بطن كل واد، إلى ذي طوى، فوافوه هناك، ومعهم عدد من مستضعفي المسلمين. فكانت مع ركب بني هاشم المهاجر إلى المدينة..، مع حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وابن عمه عبيدة بن الحارث وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه فاطمة بنت أسد عليها السلام وابنة النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وابنة حمزة فاطمة وتسمى ضباعة، وخادم النبي صلى الله عليه وآله أبي واقد وخادمه شقران، وحليف النبي صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة، وزوجته حاضنة النبي صلى الله عليه وآله أم أيمن وولديها أيمن وأسامة[1]. لذا نجد أن أم أيمن لم تفارق النبي صلى الله عليه وآله وكانت بالرغم من بساطتها وطيبتها من أهل الجنة كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله في حياتها، وكانت تعرف إمامة علي عليه السلام، فبقيت موالية له وللزهراء عليها السلام حتى آخر عمرها.

ومن بساطتها أن النبي صلى الله عليه وآله جاء في أيام عرس فاطمة عليها السلام إلى بيتها ففتحت الباب أم ايمن فقال: **أثم أخي؟** قالت: وكيف يكون أخوك وقد أنكحته ابنتك؟ قال: فإنه كذلك.

وفي مناقب ابن سلمان: ١ / ٣١٠: «قال: **نعم أماه والله لقد زوجتها كفؤاً شريفاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين**. وفي رواية: **إن ذلك يكون يا أم أيمن**»[2].

وهذه الرواية تشير إلى أن السيدة أم أيمن لم تتقاعس عن خدمة مولاتنا الزهراء عليها السلام بعد زواجها وانتقالها إلى بيتها الزوجي، على الرغم من أنها امرأة مسنة. ولقد حدثت أم أيمن بروايات عديدة عن زواج السيدة الطاهرة فاطمة عليها السلام، فعن عبدالرزاق بإسناده إلى أم أيمن في خبر طويل عن النبي صلى الله عليه وآله: **وعقد جبرئيل وميكائيل في السماء نكاح علي**

(١) أمالي الطوسي، ص ٤٦٩.

(٢) علي الكوراني، جواهر، ج٣/ ص ٤٦١. نقلًا عن: الطبقات: ٨ / ٢٣.

وفاطمة، فكان جبرئيل المتكلم عن علي وميكائيل الراد عليه[١].

وفي حديث آخر عن علي عليه السلام قال **دخلت أم أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وفي ملحفتها شيء فقال لها صلى الله عليه وآله ما معك يا أم أيمن فقالت: إن فلانة أملكوها فنثروا عليها فأخذت من نثارها ثم بكت أم أيمن وقالت: يا سول الله زوجت فاطمة ولم تنثر عليها شيئاً فقال صلى الله عليه وآله يا أم أيمن لم تكذبين فإن الله تبارك وتعالى لما زوجت فاطمة علياً أمر أشجار الجنة أن تنثر عليهم من حليها وحللها وياقوتها ودرها وزمردها وإستبرقها فأخذوا منها ما لا يعلمون – ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة فجعلها في منزل علي عليه السلام**[٢].

إن السيدة أم أيمن بموقفها الولائي الفطري هذا قد أبانت فيه طيب معدنها ورقة طبعها ومحبتها لفاطمة الزهراء عليها السلام ومشاعرها كأم في أن ينثر على ابنتها في يوم زفافها، وبكائها لحرمان فاطمة من مظاهر الزينة والفرح في يوم فرحها هو أقصى معاني الرقة والمحبة والتعاطف والولاء لبنت محمد وآل محمد عليهم صوات الله وسلامه.

ولسوف نعثر في أسطر الروايات التي وثقت لخطبة الزهراء وزفافها وخطوات تأثيث بيتها وتزيين فاطمة عليها السلام الكثير من المواقف المماثلة لأم أيمن ما يظهر عمق محبتها لعلي وفاطمة وبنيها عليهم السلام[٣].

وكانت أم أيمن تعيش في المدينة في بيتها مع زوجها زيد، وتساعد الزهراء عليها السلام في عمل البيت وتأتيهم بهدايا[٤]، فكان وجودها في بيت الرسول صلى الله عليه وآله وبيت علي وفاطمة عليها السلام أمراً اعتيادياً ومعتاداً عليه، فلقد شغفت حباً بهم، وفرحت لأفراحهم

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ٨٣. باب تزويجها صلوات الله عليها.
(٢) الحائري، تراجم، ج٢/ ص ٣١٢ – ٣١٣.
(٣) الطبسي، ص ٨٥ وما بعدها.
(٤) علي الكوراني، جواهر، ج٣/ ص ٤٥٨.

وخشيت عليهم من الحزن والألم حتى في الحلم..، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أقبل جيران أم ايمن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله إن أم أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تزل تبكي حتى أصبحت قال: فبعث رسول الله إلى أم أيمن فجاءته فقال لها: **يا أم أيمن لا أبكى الله عينك إن جيرانك أتوني وأخبروني إنك لم تزل الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينك ما الذي أبكاك؟** قالت: يا رسول الله رأيت رؤيا عظيمة شديدة فلم أزل أبكي الليل أجمع فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: **فقصيها على رسول الله فإن الله ورسوله أعلم** فقالت: تعظم علي أن أتكلم بها فقال لها: **إن الرؤيا ليست على ما ترى فقصيها على رسول الله** قالت: **رأيت في ليلتي هذه كأن بعض أعضائك ملقى في بيتي** فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: **نامت عينك يا أم أيمن! تلد فاطمة الحسين فتربينه وتلبينه فيكون بعض أعضائي في بيتك.**

فلما ولدت فاطمة الحسين عليه السلام فكان يوم السابع أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فحلق رأسه وتصدق بوزن شعره فضة، وعقّ عنه، ثم هيأته أم أيمن ولفته في برد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أقبلت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **مرحباً بالحامل والمحمول يا أم أيمن هذا تأويل رؤياك**[1].

وقد تواصلت أم أيمن في خدمتها ومحبتها لأولاد النبي صلى الله عليه وآله ورعايتها للإمامين الحسن والحسين وتفقدهما، عن الطبراني بإسناده عن سلمان قال: كنا حول النبي صلى الله عليه وآله فجاءت أم أيمن فقالت: يا رسول الله لقد ضلّ الحسن والحسين، وذلك عند ارتفاع النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **قوموا فاطلبوا ابنيّ**[2].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٧٥. نقلًا عن: أمالي الصدوق ص ١٤٢ مجلس ١٩، حديث ١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٢. نقلًا عن: مقتل الحسين للخوارزمي ج١/ ص ١٠٣ - ١٠٤.

وكان النبي صلى الله عليه وآله قد أمر أم أيمن أن تساعد الزهراء عليها السلام عندما تزوجت وأن لا تفارقها، وقد روت عنها عدة أحاديث في سيرتها وسيرة العترة الطاهرة عليها السلام. ومنها معجزة الرحى: فقد روت المصادر ومنها الصحاح، أن الزهراء عليها السلام شكت إلى أبيها صلى الله عليه وآله ما تلقى من الرحى وقالت أم أيمن: «مضيت ذات يوم إلى منزل سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء لأزورها في منزلها وكان يوماً حاراً من أيام الصيف فأتيت إلى باب دارها وإذا أنا بالباب مغلق فنظرت من شق الباب وإذا بفاطمة الزهراء نائمة عند الرحى، ورأيت الرحى تدور وتطحن البر وهي تدور من غير يد تديرها، والمهد أيضاً إلى جنبها والحسين نائم فيه والمهد يهتز ولم أر من يهزه! ورأيت كفاً تسبح لله قريباً من كف فاطمة الزهراء. قالت أم أيمن: فتعجبت من ذلك فتركتها ومضيت إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وقلت: يا رسول الله إني رأيت اليوم عجباً ما رأيت مثله أبداً. فقال لي: **ما رأيت يا أم أيمن؟...**، فقصت عليه الخبر.. فقال: **يا أم أيمن اعلمي أن فاطمة الزهراء صائمة، وهي متعبة والزمان قيض، فألقى الله عليها النعاس فنامت، فسبحان من لا ينام، فوكل الله ملكاً يطحن عنها قوت عيالها وأرسل ملكاً آخر، يهز مهد ولدها الحسين لئلا يزعجها من نومها، ووكل الله تعالى ملكاً آخر يسبح الله عز وجل قريباً من كف فاطمة ثواب تسبيحه لها، لأن فاطمة لم تفتر عن ذكر الله عز وجل، فإذا نامت جعل الله ثواب تسبيح ذلك الملك لفاطمة»**[1]**!**

وروي في المناقب، عن أم أيمن أنها رأت الزهراء مرة أخرى، وهي تقرأ القرآن والرحى تدور وتطحن وحدها! فنظم ذلك ابن حماد:

وقالت أم أيمن جئت يوماً إلى الزهراء في وقت الهجير[2]

(١) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٣/ ص ١١٦.
(٢) ابن شهرآشوب، المناقب، ج٣/ ص ١١٦.

وكذلك هناك حديث أم أيمن المعروف بحديث كربلاء، والذي ذكره ابن قولويه في حلقات كتاب (كامل الزيارات)[١]. وحديثها عن ولادة الحسين عليه السلام وفضل تربته وأنها من بطحاء الجنة وأنها أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة[٢].

وما يؤكد أن السيدة أم أيمن (رضوان الله تعالى عليها) لم تكن تفارق أحبتها أهل البيت، إن كان بيت رسول الله صلى الله عليه وآله أو بيت الزهراء عليها السلام في نهار أو ليل..، ما جاء في دعوات الراوندي عن سويد بن عقلة قال: أصابت علياً عليه السلام شدة فأتت فاطمة عليها السلام ليلاً رسول الله صلى الله عليه وآله فدقت الباب فقال: **أسمع حس حبيبتي بالباب يا أم أيمن قومي وانظري!** ففتحت لها الباب، فدخلت، فقال صلى الله عليه وآله: **لقد جئت في وقت ما كنت تأتينا في مثله**[٣]..

وهكذا ما كانت أم أيمن تنقطع عن التردد على بيت الزهراء والتودد إليها ومساعدتها في عمل البيت وإتحافها بالهدايا، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أهدت لنا أم أيمن لبناً وزبداً وتمراً...**[٤]

وفي رواية أخرى.. زار النبي صلى الله عليه وآله منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام فعملت له حريرة وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر. ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعسٍ فيه لبن وزبد[٥]..

وفي الكافي.. عن الإمام الباقر عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام **يا فاطمة قومي**

---

(١) القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٥٦٥ وما بعدها.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٩/ ص ١١٤.
(٣) المصدر نفسه، ج/ ١٨، ص ١١٢. نقلًا عن دعوات الراوندي ص ٤٧-٤٨ الرقم ١١٦.
(٤) علي الكوراني، جواهر، ج٣/ ص ٤٥٨.
(٥) القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، ص ٥٦٩. حديث أم أيمن.

فأخرجي تلك الصحفة[١] **فقامت فأخرجت صحفة فيها ثريد وعراق يفور، فأكل النبي صلى الله عليه وآله و علي وفاطمة والحسن والحسين ثلاثة عشر يوما، ثم إن ام أيمن رأت الحسين معه شيء فقالت له: من أين لك هذا؟ قال: إنا لنأكله منذ أيام، فأتت ام أيمن فاطمة فقالت: يا فاطمة إذا كان عند ام أيمن شيء فانما هو لفاطمة وولدها وإذا كان عند فاطمة شيء فليس لام أيمن منه شيء؟ فأخرجت لها منه فأكلت منه ام أيمن و نفدت الصحفة، فقال لها النبي**ﷺ: **أما لولا أنك أطعمتها لاكلت منها أنت و ذريتك إلى أن تقوم الساعة**، ثم قال أبوجعفر**عليه السلام** **والصحفة عندنا يخرج بها قائمنا**عليه السلام **في زمانه.**[٢].

إن هذه الرواية تدل على عمق رابطة الأمومة التي تكنها أم أيمن للزهراء عليها السلام حتى أنها لا تمنع عنها شيئاً بقولها «**إذا كان عند أم أيمن شيء فإنما هو لفاطمة وولدها..**»، والحق يقال أن هذه السيدة الجليلة، والموالية الحقة، لم تترك مولاتنا الزهراء لوحدها في كل مواقفها التي اضطرتها الظروف العاصفة ما بعد وفاة الرسولﷺ في أن تتخذها للمطالبة بحقوقها.

ونحن إذ استرسلنا في الحديث عن هذه الأم الطيبة وذلك للوصول إلى حقيقة جوهر هذه الإنسانة التي ما فتئت تناصر محمد وآل محمد..، وإذا كان الإمام الحسن عليه السلام قد هرول إلى المسجد النبوي متوجعاً لفقد جده ومخاطباً أبا بكر: **انزل عن منبر أبي...**، فلا نستبعد أن تكون أم أيمن معه في موقفه هذا، فلقد استنكرت هي الأخرى ركضهم إلى السقيفة وبيعتهم لأبي بكر فجاءت إليهم وقالت: «يا أبا بكر، ما أسرع ما أبديتم حسدكم لآل محمدﷺ فأمر بها عمر فأخرجت من المسجد»[٣].

---

(١) الصحفة: كالقصعة إناء مبسوطة، وهي اصغر من القصعة.

(٢) علي الكوراني، جواهر، ج٣/ ص ٤٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦٢. نقلًا عن: كتاب سليم، ١٥٧-٣٨٩.

وكانت مع الإمام الحسن عليه السلام وأمه الزهراء عليها السلام في موقف آخر يوم أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغها ذلك فلاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفيداتها ونساء قومها..، وألقت خطبتها الشهيرة احتجاجاً[٤].

وعندما طلب من السيدة الزهراء عليها السلام أن تأتي بشهود كانت أم أيمن من تقدم للشهادة معها، قالت فاطمة عليها السلام: «**علي وأم أيمن يشهدان بذلك..**». فقال عمر، لا تقبل شهادة امرأة أعجمية لا تفصح، وأما علي فيجر النار إلى قرصته[٥].

وفي رواية أخرى..، فإن علياً زوجها يجر إلى نفسه، وأم أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه! فخرجت فاطمة عليها السلام من عندهما باكية حزينة[٦].

وعلى الرغم من بساطة أم أيمن وطيبتها المعهودة، فإنها لم تقف مكتوفة الأيدي ممن عزلوا أهل البيت عليهم السلام وحرموهم من تركة النبي صلى الله عليه وآله وصادروا أموالهم ومنها مزرعة فدك، فها هي تحتج وتحاجج.. منتصرة لحق الزهراء عليها السلام وبنيها في إرث أبيهم..، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت يا أبا بكر منعتني عن ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله. فقال لها: هاتي على ذلك شهوداً فجاءت بأم أيمن فقالت: لا أشهد حتى أحتج يا أبا بكر عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: أنشدك الله ألست تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن أم أيمن من أهل الجنة؟ قال: بلى، قالت: فأشهد أن الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وآت ذا القربى حقه، فجعل فدك لفاطمة بأمر الله[٧]**»..

---

(٤) المصدر نفسه، جواهر، ج٣/ ص ١٤٧.
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٤٣.
(٦) الكوراني، جواهر، ج٣/ ص ٤٦٣.
(٧) المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

وفي رواية المفيد «**أن عمر كان حاضراً وأن أم أيمن استشهدته على قول النبي ﷺ «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة» فشهد! فقالت: «فمن كانت سيدة نساء أهل الجنة تدعي ما ليس لها؟ وأنا امرأة من أهل الجنة ما كنت لأشهد إلا بما سمعت من رسول الله ﷺ فقال عمر: دعينا يا أم أيمن من هذه القصص، بأي شيء تشهدان؟ فقالت... فقال عمر: أنت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأما علي فجر إلى نفسه، قال: فقامت مغضبة وقالت: اللهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها، فأشدد وطأتك عليهما**»[١]!

إن رواية المفيد تبين أن السيدة أم أيمن على شدة بساطتها وطيبتها المعهودة، لم تطق صبراً أن تنتفض لحبيبتها الزهراء عليها السلام، فغضبت غضبة للحق ودعت دعاءً شديد الوقع بقولها: اللهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها، فأشدد وطأتك عليهما!!

ويبدو من واقع الحال الذي ترسمه لنا الروايات التاريخية أن أم أيمن قد أحبطت واعتكفت كما الزهراء عليها السلام، وهذا ما تؤكده روايات مرض بضعة النبي ﷺ ومكثها أربعين ليلة معتلة، فلما قاربت الرحيل روحي لها الفداء، دعت إليها أم أيمن وأوصت، أن لا يشهد أحد جنازتها ممن ظلمها وأن لا يترك أن يصلي عليها أحد منهم[٢].

وفي رواية... مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت صلوات الله عليها، فلما نعت إليها نفسها دعت أم أيمن[٣].

جاء في علل الشرائع.. عن الإمام الصادق عليه السلام: **فلما نعي إلى فاطمة نفسها أرسلت إلى أم أيمن وكانت أوثق نسائها عندها وفي نفسها**[٤].

---

(١) الكوراني، الجواهر، ص ٤٦٤. نقلًا عن: المفيد (الاختصاص، ١٨٣).
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص ١٣٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨.
(٤) الكوراني، جواهر، ج٣/ ص ٤٦٥. نقلًا عن: علل الشرائع: ١ / ١٨٧.

وقال المجلسي: فلما نعي إلى فاطمة عليها السلام نفسها أرسلت إلى أم أيمن وكانت أوثق نسائها عندها وفي نفسها فقالت: **يا أم أيمن إن نفسي نعيت إلي فادعي لي علياً** فدعته لها فلما دخل عليها قالت له: **يا بن العم أريد أن أوصيك بأشياء فأحفظها علي**... إلى آخر الرواية[١].

وهكذا شاركت أم أيمن الإمام الحسن عليه السلام لحظات وداع أمه الأخيرة، بل إن الروايات المعتبرة أوردت أن أم أيمن قد تشرفت بتغسيل مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام[٢].

ومن شدة جزع أم أيمن على فقد حبيبتها الزهراء عليها السلام أنها حلفت أن لا تكون بالمدينة[٣]، فلم تعد تطيق أن تنظر إلى مواضع كانت بها الزهراء نوراً ورحمة وذكرى وجود طيف النبي محمد صلى الله عليه وآله، ولدها الأثير وربيبها وحبيب فؤادها..، ودعت أم أيمن مدينة الرسول، وودعت بيت الزهراء وبني الزهراء.. وخرجت إلى مكة لا تلوي على شيء..، وفي الطريق أكرمها الله عز وجل ببركة الزهراء عليها السلام التي أحبتها أيما حب، حباً صادقاً نابعاً من قلب أم طيبة، موالية.. جاء في المناقب: لما توفيت فاطمة عليها السلام قالت: لا أرى المدينة بعدها! فأصابها عطش شديد في الجحفة حتى خافت على نفسها، فكسرت عينيها نحو السماء ثم قالت: يا رب أتعطشني وأنا خادمة بنت نبيك؟ قال: فنزل إليها دلو من ماء الجنة فشربت ولم تجع ولم تطعم سنين[٤].

وروى ابن حجر في الإصابة (ج٤، ص ٤١٥)..، خرجت مهاجرة من مكة إلى

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ١٤٧. باب ما وقع عليها عليها السلام من الظلم وبكائها وحزنها.

(٢) الطبسي، ص ٢٧٧. نقلًا عن: بحار الأنوار، ج٤٣/ ص ١٨٠.

(٣) الحائري، تراجم، ج١/ ص ٢٣٩.

(٤) الكوران، جواهر، ج٣/ ص ٤٦٠. نقلًا عن: المناقب: ١ / ١١٦.

المدينة وهي ماشية ليس معها زاد – وقال فيه فلما غابت الشمس إذا أنا بإناء معلق عند رأسي– وقالت كنت بعد ذلك أصوم في اليوم ثم أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعد.

وذكر القمي (رحمه الله) الرواية ذاتها... إلى قوله: فرفعت يديها قالت يا رب أنا جارية فاطمة تقتلني عطشاً فأنزل الله تعالى عليها دلواً من السماء فشربت فلم تحتج إلى الطعام والشراب سبع سنين، وكان الناس يبعثونها في اليوم الشديد الحر فما يصيبها عطشاً[1].

وفي تلافيف الروايات نجد أن: السيدة أم أيمن قد خرجت إلى مكة دون أن تتدبر مؤونة السفر، وهذا وربي حال من يكتنفه الحزن الشديد فلا يعبأ بشيء وإن كان فيه هلاكه. ثم أنها ركنت في دعائها لله عزل وجل إلى شفاعة سيدة نساء العالمين فقالت: أنا خادمة فاطمة.. وأنا جارية فاطمة، ولم تقل على سبيل المثال: أنا عبدتك.. أنا أمتك أو أنا خادمة نبيك وحاضنته!! وهذا يؤكد إلى أي مدى عميق قد رست نفس أم أيمن في إيمانها واعتقادها وموالاتها للزهراء عليها السلام..، فجاءها الجزاء على قدر الاعتقاد، معجزة من السماء ببركة الزهراء.. وإن كانت بعض الأقلام تحاول طمس هذه الآثار الإلهية المباركة.

لقد عاشت السيدة أم أيمن (رضوان الله تعالى عليها) حياتها المديدة المباركة في كنف بني هاشم وعبدالمطلب والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ثم في كنف الزهراء وعلي عليهما السلام، ولقد كانت خير أم وأطيب أم قدمت ولدها أيمن بين يد النبي صلى الله عليه وآله فاستشهد وهو يدافع عن النبي صلى الله عليه وآله وكان أفضل أبنائه فقد كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حنين وثبت معه عندما هرب المسلمون! ولم يثبت معه إلا تسعة من بني هاشم، وكان عاشرهم أيمن رحمة الله عليه،

(١) الحائري، تراجم، ج١/ ص ٢٣٩. نقلًا عن القمي، السفينة، ج٢/ ص ٧٣٦.

قال المفيد في إرشاده ونحوه في الاستيعاب: «فلم يبق منهم مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عشرة أنفس، تسعة من بني هاشم خاصة وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، فقتل أيمن رحمه الله وثبت تسعة النفر الهاشميون حتى ثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان انهزم... وقال العباس بن عبدالمطلب في هذا المقام:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه على القوم أخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع

يعني به أيمن بن أم أيمن»[1].

وجاء في المناقب ما يوافق ذلك...، فقد جاء عوف بن مالك زعيم هوازن وقال: «أروني محمداً، فأروه إياه، فحمل عليه فلقيه أيمن بن عبيدة وهو ابن أم أيمن فالتقيا فقتله مالك» ولم يصل إلى النبي صلى الله عليه وآله[2].

أما أسامة بن زيد الابن الثاني لأم أيمن، فقد كان في السابعة أو الثامنة عندما هاجر مع والديه، وعاش معهم في كنف النبي وعترته صلى الله عليه وآله، وكان أسامة أسود قوي البنية، وقد أمره النبي صلى الله عليه وآله على سرية وهو في نحو السابعة عشرة من عمره، ثم أمره في مرض وفاته على جيش من ثلاثة آلاف مقاتل، وكان في الثامنة عشرة أو السابعة عشرة. وعاد أسامة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يبايع أبا بكر حتى بايع علياً عليه السلام. وعاش إلى زمن معاوية وتوفي

(١) الكوراني، جواهر، ج٣/ ص ٤٦٥. نقلًا عن المفيد، الإرشاد، ج١، ص ١٤٠، الاستيعاب: ٢ / ١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٦. نقلًا عن مناقب آل أبي طالب: ١ / ١٨١، وتاريخ دمشق: ٤ / ٢٥٧، وذكر ثبات أيمن في حنين ذخائر العقبى، ١٩٨، وكبير الطبراني: ١ / ٢٨٨.

سنة ٥٤ هجرية[١].

واختلف المؤرخون في تاريخ وفاة هذه السيدة الجليلة، فقد ذكر بعضهم أن تاريخ وفاة أم أيمن كان سنة ٣٦ من الهجرة، وقيل توفيت في أيام حكومة عثمان بن عفان، وصلى على جنازتها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودفنت في البقيع[٢].

وإن كانت أكثر الروايات المثبتة تذكر أن أم أيمن توفيت بعد النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر، وكانت في السبعينات من عمرها المبارك، لأنها عام ولادته صلى الله عليه وآله كانت جارية باعها أو تركها في مكة جيش أبرهة، فوصلت إلى عبدالمطلب. وقد رووا ذلك ومنهم البخاري في تاريخه الصغير: ١ / ٨٨، وتاريخ دمشق: ٤ / ٣٠٢، لكنهم أخروا وفاتها ليزعموا أنها رضيت على أبي بكر وعمر[٣].

وهكذا رحلت أم أيمن بعد رحيل حبيبتها الزهراء عليها السلام بقليل، وكانت أم أيمن – الأم الطيبة التي كان يقول عنها الرسول صلى الله عليه وآله: **أم أيمن أمي بعد أمي**، وكان يزورها وتلازمه[٤]... قد ضاقت عليها الدنيا وتبدلت أيامها..، فلحقت بمن أحبت وعاشت معهم ومن أجلهم. فإلى الجنان مستقرك، يا من بشرها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله بأنها من أهل الجنة في الحياة قبل الممات.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) القزويني، زينب من المهد...، ص ٥٦٤.

(٣) الكوراني، جواهر، ج٣/ ص ٤٦٥.

(٤) الحائري، تراجم، ج١/ ص ٢٣٨.

أم البنين عليها السلام... فاطمة أخرى

تأتي علاقة الإمام الحسن عليه السلام بهذه السيدة الجليلة، أم البنين (رضوان الله تعالى عليها) من كونها زوجة أبيه علي المرتضى عليه السلام، ولكنها تكاد تكون إنموذجاً فريداً من زوجات الأب لم ولن يتكرر ثانية.

فالسيدة أم البنين عليها السلام التي تمتد علاقتها بإمامنا الحسن عليه السلام منذ كان في الثامنة من عمره المبارك وحتى وفاته شهيداً مسموماً، أي ما يقارب الأربعين عاماً أو أكثر..، كانت إحدى أرقى العلاقات الإنسانية التي حباها الباري عز وجل للإمام السبط عليه السلام ولأم البنين معاً. حيث اتسمت بالود والمعاملة الحسنة والموالاة وعرفان المنزلة.

وقبل التعريف بأوجه هذه العلاقة السامية ما بين الإمام الحسن عليه السلام والسيدة التي حلت في حياته أماً ثانية باسم أمه الطاهرة.. فكانت فاطمة أخرى في حياته، علينا التعريف بهذه المرأة المؤمنة المضحية.

والحق أن هذه السيدة الجليلة لو لم تكن لها من المآثر إلا تضحيتها بأولادها الأربعة لكفاها فخراً وعزاً وذكراً مدى الدهر، فكيف وهي زوج الوصي علي المرتضى عليه السلام ووالدة بطل الشريعة أبا الفضل العباس عليه السلام؟

أما اقترانها بالإمام علي عليه السلام فحكاية ترويها الكتب ولكن باقتضاب، فعلي عليه السلام لم يتزوج في حياة فاطمة الزهراء عليها السلام كما ذكرنا من قبل حتى توفيت عنده[1].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: دار التوفيقية للطباعة، القاهرة – مصر، ج٣/ ص ٢٤٥.

ولقد تزوج الإمام علي عليه السلام بعد وفاة الزهراء بعدة زوجات منهن السيدة أم البنين وهي (فاطمة بنت حزام الكلابية)، تنفيذاً لوصية الزهراء عليها السلام له. ففي حديث مسند إلى الإمام الحسن عليه السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: **لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعتني فقالت: أمنفذ أنت وصيتي وعهدي؟ قال: قلت: بلى أنفذها فأوصت إليه**[١].

ومن بعض وصاياها قولها: **يا بن العم إني أجد الموت الذي لابد منه ولا محيص عنه وأنا أعلم أنك بعدي لا تصبر على قلة التزويج فإن أنت تزوجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة يا أبا الحسن**[٢].. بل إن وصيتها للإمام علي عليه السلام بالزواج بعدها كانت أول الوصايا..، فقالت عليها السلام: **جزاك الله عني خير الجزاء، يا بن عم أوصيك أولاً: أن تتزوج بعدي.. فإن الرجال لابد لهم من النساء**[٣].

وتنفيذاً لوصية الزهراء عليها السلام اقترن الإمام علي عليه السلام بعدة زوجات تتفاوت الروايات في عددهن، وإن كانت أولهن أمامة بنت أختها حسب اختيار السيدة فاطمة عليها السلام لها.

وقد اختلف المؤرخون في عدد النساء اللاتي تزوجهن الإمام علي عليه السلام اختلافاً كبيراً، فإن ابن أبي الحديد يذكر في كتابه (نهج البلاغة) أنه تزوج بعد الزهراء عليها السلام ست نسوة، ويذكر الشبلنجي في (نور الأبصار) أنهن سبع، أما المقريزي في (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) فهن ثمان، وهو ما ذهب إليه الطبري في (تاريخ الأمم والملوك)[٤]. ويزيد ابن شهرآشوب في عددهن إلى تسعةمع ذكر أسمائهن وأولادهن

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١١٦.

(٢) الحائري، تراجم، ج٢/ ص ٣٣٢.

(٣) أعلام الهداية، ج٣ فاطمة الزهراء عليها السلام/ ص ١٨٤. نقلًا عن: روضة الواعظين: ١ / ١٥١.

(٤) محمد بكر إسماعيل، فقيه الأمة ومرجع الأمة علي بن أبي طالب، الناشر شهاب الدين، قم – إيران، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٨١.

وأنسابهن[١].

ويذكر المؤرخون أن الإمام علي عليه السلام عندما أراد الزواج بعد وفاة أم الحسن عليه السلام سأل أخاه عقيل بن أبي طالب أن يختار له امرأة بعينها وصفاتها، وكان عقيل بن أبي طالب على شرف أصله وقداسة منبته ومجده الهاشمي الأثيل نسابة عصره[٢]. وكان يعد واحداً من أربعة من قريش عالماً بالأنساب والأخبار، وهو من الثقات في معرفة الأنساب لذا كان التجاء أخيه إليه[٣]. فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل:.. «**انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب..**»، فقال له: تزوج أم البنين الكلابية، واسمها فاطمة بنت حزام، وكانت عالمة[٤]..

وفي رواية أخرى مماثلة، روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل:... «**أنظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً**». فقال له: تزوج أم البنين الكلابية، واسمها فاطمة بنت حزام، وكانت عالمة... فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، فولدت له العباس وجعفر وعبدالله وعثمان... وكلهم قتلوا في نصرة أخيهم الحسين عليه السلام[٥]. وبعض المصادر تذكر اسم ابنها الأخير عثمان باسم آخر

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣/ ص ٣٤٩.

(٢) الكفيل، خلاصة مبسطة عن حياة أبي الفضل العباس عليه السلام، العتبة العباسية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الإعلام، كربلاء المقدسة – العراق، ط٢، ٢٠٠٩م، ص ٨.

(٣) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة المثنى، بغداد ومكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٦٠م، ص ٣٢٣.

(٤) علي الأحمدي الميانجي، عقيل بن أبي طالب، تحقيق ومراجعة مجتبى فرجي، دار الحديث للطباعة والنشر، ط١، إيران – قم، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ، ص ٣٣.

(٥) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني (٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، قم، انتشارات الشريف الرضي، ط١، ١٤٠٥هـ، ص ٩٠.

(عبدالرحمن)[١]، ولا بقية لهم غير العباس.

وأم البنين هي: فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأمها ليلى بنت السهيل بن مالك وهو ابن أبي برة عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب[٢]، المعروفة بأم البنين[٣].

وقد غلب لقبها (أم البنين) الأربعة على اسمها فاطمة، واصحاب السير يروون موقفاً مبكراً لإيثار هذه المرأة المسلمة العظيمة الشأن، حيث يذكرون أنها طلبت من الإمام علي بعد زواجه منها أن لا يناديها باسمها (فاطمة) مجرداً في البيت!؟ وعندما سألها أمير المؤمنين عن السبب وراء طلبها هذا، قالت له صادقة: إنها ترى الأسى والتوجع في عيون أولاد الزهراء عليها السلام لأن اسم والدتهم يطرق أسماعهم فيجدد أحزان فراقها لهم.

إيثار وأي إيثار من زوجة جديدة، محبة ورعاية تغدقها على أولاد (ضرتها)، ولقد بقيت خصلة الإيثار هذه ملازمة لفاطمة أم البنين عليها السلام طوال عمرها وحتى بعد وفاة الإمام علي عليه السلام، ومن لا يستذكر بفخر وتأثر موقفها الجميل – الجليل يوم رجوع ركب الحسين عليه السلام إلى المدينة المنورة بعد واقعة الطف الأليمة[٤].

إن النظرية الإسلامية ترى أن الأسرة تمثل وحدة رئيسة ومركزية في بناء المجتمع،

---

(١) محمد بكر إسماعيل، فقيه الأمة، ص ٨٣.

(٢) الحائري، التراجم: ج١/ ص ٢٤١ – ٢٤٢.

(٣) يذكر المفيد في الإرشاد، ص ١٨٦: (إن أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم).

(٤) محمد مهدي الحائري، معالم السبطين في أحوال الحسن والحسين، الناشر: صبح الصادق، ط١، ذي القعدة ١٤٢٥هـ، قم – إيران / نجف – عراق، ص ٣٩٦ وما بعدها.

ولا يمكن أن يبنى المجتمع الصالح ويتكامل دون بناء الأسرة الصالحة[١]. كما إن الحديث النبوي الشريف يؤكد أن «**جهاد المرأة حسن التبعل**»[٢].

وكانت مولاتنا الزهراء عليها السلام سيدة النساء بحسن تبعلها حتى أنها في ذروة غضبها لحقها، لم تخالف زوجها أمير المؤمنين فنراها تقول للإمام عليه السلام عندما استأذنها في دخول الخليفتين عليها وأنه ضمن لها ذلك: «**إن كنت قد ضمنت لها شيئاً فالبيت بيتك والنساء تتبع الرجال لا أخالف عليك بشيء فأذن لمن أحببت..**»[٣].

فكيف كان حال السيدة أم البنين مع الإمام عليه السلام؟

لقد اتسمت السيدة أم البنين بصفات إسلامية نبيلة جعلتها بعيدة كل البعد عن أمراض قلبية تصيب معظم النساء، وهي الغيرة المذمومة التي عبر عنها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الاطهار عليهم السلام بأنها من الكفر بالقول: «**غيرة الرجل إيمان، وغيرة المرأة كفر**»[٤]. فلم تظهر غيرتها من سالفتها سيدة نساء العالمين كما فعلت الكثير من النساء، ولم تعادِ أبناءها، بل على العكس من ذلك. فهي قد سمت وارتفعت عن هذا المرض الوبيل وعن هذا الكفر القاتل، فجعلت من نفسها خادمة لأولاد الزهراء عليها السلام وفضلتهم على أولادها.

ذكر أنها قالت للإمامين الحسن والحسين وللسيدة زينب عليها السلام عند دخولها بيت أمير المؤمنين عليه السلام لأول مرة «أنا هنا خادمة عندكم، جئت لخدمتكم فهل تقبلون بهذا

---

(١) محمد باقر الحكيم، الزهراء عليها السلام – أهداف – مواقف – نتائج، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، ط١، النجف الأشرف، ٢٠٠٦، ص ٣٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٤) علي الفتلاوي، المرأة في حياة الحسين عليه السلام، ص ٦١. نقلًا عن: جامع أحاديث الشيعة للبروجردي: ج٢٠/ ص ٢٧٤.

الشرط وإلا فإني راجعة إلى داري» فرحبوا بها وقالوا لها: «**أنت عزيزة كريمة وهذا بيتك**»[١].

وفي رواية أخرى، أنها عندما زفت إلى بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجدت الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام مريضين، فأخذت تمرضهما وتقوم على رعايتهما وأغدقت عليهما العطف والحنان وأسمعتهما أطيب الكلام حتى عوفيا من مرضهما[٢]. هذا الخلق الرفيع والعاطفة الجياشة ينم عن خلق فطري سليم أبعد هذه السيدة الكريمة وجردها من غيرة النساء وأظهر عمق التزامها بتكليفها الشرعي إزاء أولاد الصديقة الطاهرة عليها السلام، وهذا ما لم يغب عن ذاكرة الإمام الحسن عليه السلام فبادل أم البنين هو وأخوته المودة بالود العميق.

لقد أحبها الإمام الحسن عليه السلام حباً جماً واعتبرها كما أرادت أن تكون له أماً رحيمة عطوفة عليه، فكانت بحنوها وعطفها الصادقة ما عوضه عن الخسارة الكبيرة التي أصابته بفقد أمه سيدة النساء عليها السلام[٣].

إن بعض النسوة قد يوفقن لأن ينهضن بدور مهم في الجانب الأسري والجانب الجهادي والعقائدي، ولقد وفقت السيدة (أم البنين) في الرعاية المنزلية وفي ترتيب وضع الأسرة وفي كسب ود أهل البيت ومحبتهم لما تمتلكه من عقل راجع وإيمان وثيق وسمو آداب ومحاسن صفات، فأخلص لها الإمام علي عليه السلام كاعظم ما يكون الإخلاص، واعتز بها وبأولادها أيما اعتزاز، وأحبها الإمام الحسن عليه السلام وأخوته، فجعلت من أسرتها أسرة قوية صالحة متماسكة، فكانت أماً لبنيها الأربعة ومن قبلها أماً لأولاد فاطمة

(١) الكفيل، ص ٩.
(٢) علي الفتلاوي، المرأة في حياة الحسين عليه السلام، ص ٦٣.
(٣) الكفيل، ص ٩.

الزهراء عليها السلام، كيف لا تكون هكذا وقد اختارها الإمام علي عليه السلام بعد تفحص وتدبر لتلد له فرسان وأبطال هيئوا جميعاً لموقف عظيم في كربلاء.

ولا نغفل عن جانب آخر في شخصية هذه المرأة – الانموذج، فالسيدة أم البنين انفردت عن بقية النساء بإيمانها العميق ومعرفتها الحقة لمنزلة الإمام الحسن عليه السلام وأخيه الحسين عليه السلام عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله[1]، وإنهما إمامان إن قاما أو قعدا واجبا الطاعة منها ومن أولادها.

ولا نغفل عن واقع حال الظرف المعاشي الذي عاشته هذه المرأة المؤمنة تحت كنف أمير المؤمنين عليه السلام وقد شاركها بهذا الظرف الإمام الحسن عليه السلام، حيث كان الإمام عليه السلام يطبق العدالة الاجتماعية بسلوكه وبأعماله وفي معاملته لنفسه وللآخرين.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام «**كان أمير المؤمنين عليه السلام يجلس جلسة العبد ويأكل أكلة العبد، ويطعم الناس خبز البر واللحم، ويرجع إلى أهله فيأكل خبز الشعير بالزيت أو بالخل**»[2].

وقد لازمت أم البنين الإمام علي عليه السلام وابنه الإمام الحسن عليه السلام طوال حياتهما وفي أقسى الظروف الاجتماعية والسياسية التي حفلت بها أيامهما، يوماً بيوم، قال العقاد في كتابه عبقرية الإمام: «أما معيشة علي في بيته بين زوجاته وأبنائه فمعشية الزهد والكفاف، وأوجز ما يقال فيها: أنه كان يتفق له أن يطحن لنفسه، وأن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، وأن يلبس الرداء الذي يرعد فيه، وأن واحداً من رعاياه لم يمت عن

---

(١) زميزم: ص ٢٠.

(٢) يونس رمضان، بغية الطالب..، ص ٤٩١. نقلًا عن: القندوزي، ينابيع المودة: ج١/ ص ١٤٥.

نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه، وهو خليفة المسلمين»[١].

لقد سكنت أم البنين – زوج الإمام عليه السلام في بيته في المدينة مع زوجاته وأولاده وأحفاده، ولما بويع الإمام بالخلافة، وانتقل إلى الكوفة أبى أن ينزل القصر الأبيض المعروف بقصر الإمارة إيثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء، ولم يبن آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة[٢]. وكان أهل بيته معه تحكمهم فضائله وخصاله الإسلامية الرفيعة، فهم أولى الناس باتباعها وانتهاجها.

ومع كل هذا كانت العلاقات الودية بين الإمام أمير المؤمنين وبين زوجاته وأولاده وبناته على أطيب ما يمكن، وفي جو من الصفاء والوفاء، والعاطفة والمحبة[٣].

ها هي أم البنين تشهد إحدى طرق أمير المؤمنين في تربية أولاده وتعليمهم، وهو الإمام الحسن عليه السلام...، عن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **قال علي بن أبي طالب عليه السلام للحسن: قم اليوم خطيباً وقال لأمهات أولاده: قمن فاسمعن خطبة ابني، قال: فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: ما شاء الله أن يقول ثم قال: إن أمير المؤمنين في باب ومنزل من دخله كان آمناً، ومن خرج منه كان كافراً، أقول قولي وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ونزل فقام علي فقبل رأسه وقال: بأبي أنت وأمي ثم قرأ: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٤].

---

(١) محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي، ص ٤١. نقلًا عن: عبقرية الإمام للعقاد وأسد الغابة لابن الأثير.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بغدادي: ص ٧٣.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٢٥٠. نقلًا عن: فرات الكوفي: ص ٧٩، رقم ٥٤ والآية من سورة آل عمران: ٣٤.

وقد حضرت السيدة أم البنين هذه الواقعة ورأت ما يتحلى به ابنها الإمام الحسن عليه السلام من أدب جم، مجيباً أباه: **يا ابتاه كيف أخطب وأنا أنظر إلى وجهك أستحي منك**، قال الإمام الصادق عليه السلام: فجمع علي بن أبي طالب أمهات أولاده ثم توارى عنه، حيث سمع كلامه، فقام الحسن عليه السلام فقال: **الحمد لله الواحد بغير تشبيه الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية... أما بعد فإن علياً باب من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام وقبل بين عينيه ثم قال: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[1].

ولقد فرح علي وأهل بيته بخطبة الحسن، وفرحت معهم أم البنين، ولكنها شهدت الإمام الحسن عليه السلام في خطبة أخرى، فجثم الحزن على القلوب، والدموع جارية.. يوم رأت السبط عليه السلام ينعى أباه صبيحة الليلة التي قبض فيها...، روى أبو مخنف لوط بن يحيى قال...، وغيره قالوا خطب الحسن بن علي عليهما السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: **لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ولا يرجع حتى يفتح الله يديه ولقد توفي عليه السلام في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه**[2].

لقد ترك الإمام علي عليه السلام بعده عدة زوجات، فبعضهن توفاهن الله عز وجل أبان

---

(١) المصدر نفسه: ج ٤٣/ ص ٢٥١. الإمام الحسن في تاريخ دمشق لابن عساكر (وقد روي هذا الحديث بطرق كثيرة)، الاختصاص للشيخ المفيد والصدوق في الأمالي.

(٢) المفيد، الإرشاد، ص ١٨٨.

حياته، وكان تحته يوم قتل أربع زوجات وهن: أمامة وليلى بنت مسعود التيمية، وأسماء بنت عميس وأم البنين وأمهات أولاده عشر إماء[١].

ولما كانت أم البنين ممن تركهن الإمام بعده، فلم يتزوجن بعده[٢]، فكن بهذا الحال كحال زوجات النبي محمد صلى الله عليه وآله من أمهات المؤمنين، كما إن أم البنين عليها السلام كانت إحدى زوجات أمير المؤمنين عليه السلام الحافظات لنسله الكريم بحفظ الباري لذرية العباس عليه السلام بن الكلابية[٣].

عادت السيدة أم البنين لتلازم الإمام الحسن عليه السلام في رحلة عودته إلى مدينة جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وتكون طوع يمينه هي وأولادها الأربعة، ناذرة حياتها وولاءها لإمام عصرها، الإمام الحسن عليه السلام.. وعلى هذا الولاء المبدئي الذي لا يتغير.. واصلت تربية أولادها في كنف الإمام الحسن عليه السلام.

فقد لازم أبو الفضل العباس عليه السلام أخاه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في السنوات السبع الثالثة من عمره [وهو السن التي أمرتنا روايات أهل البيت عليهم السلام بملازمة الوالد لولده أو الأخ الأكبر أخيه الأصغر، لأنها الفترة الأخطر في عمر الإنسان] وضمه إلى نفسه – واصطحبه معه. ليكون من جهة راعياً له. ومن جهة أخرى شريكاً له في أموره، ووزيراً ومشاوراً له في قبضه وبسطه وحله وترحاله، حتى يترجم ما تعلمه من نظريات إلى واقع عملي[٤].

---

(١) الشبلنجي، نور الإبصار: ص ٤٠٢. للمزيد ينظر: البداية والنهاية: ٦ / ٣٩٠، الطبقات الكبرى: ٨ / ٢٣٣ ؛ الإصابة: ٧ / ٢٠٩، وغيرها.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣/ ص ٣٥١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٢٤٦.

(٤) الكفيل: ص ٣٠.

ولعل من أروع الدروس التي تعلمها أبو الفضل العباس عليه السلام من أخيه السبط الحسن المجتبى عليه السلام هي كيفية التعامل مع طغاة العصر أمثال معاوية عليه لعائن الله. وكذلك تعلم كيف يتعامل القائد مع الفتن والشدائد التي تؤدي بالمجتمع، وترد الناس على أعقابهم مدبرين مخالفين لأوامر إمامهم المعصوم عليه السلام بعد أن مَنَّ الله تعالى عليهم بطاعته وإتباعه في الشدة والرخاء. فلقد كان العباس عليه السلام قائداً في جيش أخيه الإمام الحسن عليه السلام الذي جهزه لقتال معاوية وجيشه المارقين. وحاضراً معه عندما خط الإمام عليه السلام بنود الاتفاقية مع معاوية، والتي بها حقن دماء المسلمين[1].

وظلت السيدة أم البنين وأولادها الميامين وأولهم الإمام العباس عليه السلام طيلة حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ملازمين له كظله، قائمين على خدمته ومواسيين لأهل بيته، بعد استشهاده عليه السلام مسموماً مظلوماً.

عشر سنين بقيت فيها السيدة أم البنين ملازمة للإمام الحسن عليه السلام، حافظة لكل ما يمت بصلة لزوجها وإمامها المرتضى عليه السلام ولإمامها الحسن المجتبى عليه السلام، فلم تذكر المصادر أنها قد حدثت بحديث واحد نقلاً عن النبي وآل البيت والإمام علي عليه السلام، وأغلب الظن أنها كانت من النساء المؤمنات المخدرات النادرات الوجود في امتثالهن لدورهن المرسوم في حفظ العيال وتنشئتهم على أسس إسلامية إيمانية حقيقية، لذا لم نجدها قد أخذت تحدّث وتحدّث عن أدق تفاصيل حياتها مع الإمام، على سبيل المثال!! بل أنها حفظت ذكراه وكانت خير أم ومعين للإمام الحسن عليه السلام في محنته، ومناصرة لأسرته الشريفة المطهرة، عند مرضه وبعد استشهاده عليه السلام.

فنكاد نجزم أنها شاركت السيدة زينب عليها السلام في رعايتها لأخيها الحسن عليه السلام،

(١) الكفيل: ص٣٠.

وحزنها على فراقه، وخروجها إلى وداعه مع نساء بني هاشم، وإعلانهن الحداد على رحيله عاماً كاملاً.. كيف لا، ولقد أخبرها ابنها العباس عليه السلام كيف رمت جنازة المجتبى بالسهام!؟ وله يومها من العمر أربع وعشرون سنة.

وقد ذكر أنه لما رأى جنازة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام ترمى بالسهام، عظم عليه الأمر، ولم يطق صبراً دون أن جرد سيفه واراد البطش بأصحاب (البغلة)... لولا كراهية السبط الشهيد عليه السلام الحرب عملاً بوصية أخيه: «**بالله اقسم عليك ان تهريق في أمري محجمة دم**»، فصبر أبو الفضل عليه السلام على أحر من جمر الغضا، ينتظر الفرصة ويترقب الوعد الآلهي، فأجهد النفس وبذل النفيس في مشهد (النواويس) بكربلاء... وحاز كلتا الحسنين[1].

وكذلك والدته أم البنين عليها السلام إن كانت لم تستطع مواساة الإمام الحسن عليه السلام وبذلها نفسها فداءً لريحانة الرسول صلى الله عليه وآله، فلقد جددت عهد ولائها مع أخيه الحسين عليه السلام.

إن كرامة هذه المرأة العظيمة، من كرامة اقترانها بسيد الأوصياء وحسن تبعلها له، ومن محبتها وولائها للإمام الحسن عليه السلام وحسن صنيعها معه صبياً وكهلاً، يضاف إلى ذلك موقفها المشهود الذي لا يغفل ولا يندثر، وسيبقى ماثلاً أمد الدهر في أذهان المؤمنين، إن أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية[2]، بإيثارها وتفانيها في سبيل المبدأ، حين جعلت من أولادها فلذات كبدها أضاحي تقدم واحداً تلو الآخر فداء لأخ الحسن الإمام الحسن عليه السلام، فضربت المثل الأعلى لكل امرأة مسلمة مؤمنة.

لقد كانت أم البنين وأولادها عنوان الامتثال والاتباع والطاعة للإمام الحسن عليه السلام

---

(١) الكفيل: ص ٣٠.

(٢) عبدالحسين الأميني، الغدير٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ، ص ٢٠٩.

في حياته وبعد مماته[١]، وإن كان الإمام الحسن عليه السلام قد افتخر بأن أمه فاطمة وإليها ينتسب[٢]، فإن فاطمة أخرى في حياته كانت موضع فخره واعتزازه، إنها فاطمة أم البنين.

وقد حظيت السيدة أم البنين باحترام واعتزاز كبير من وجوه بني هاشم قاطبة، وكان في مقدمة هؤلاء الإمام زين العابدين عليه السلام فقد جاء في العديد من الروايات بأنه عليه السلام كان يقف إجلالاً وإكراماً لها عندما كانت تدخل إلى بيته المبارك، وظلت موضع احترام الإمام عليه السلام وبقية آل أبي طالب إلى أن توفت في ١٣ / جمادي الثانية عام ٦٣هـ[٣].

وكيف لا تصبح كذلك، وقد كانت أم البنين بعد وقعة الطف تخرج إلى البقيع وتندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع إليها الناس ويسمعون منها ويبكون رقة لها حتى كان مروان بن الحكم عدو آل أبي طالب، يجيء فيمن يجيء ويسمع ويبكي لبكائها وهي ترثي بنيها وتقول[٤]:

لا تدعوني ويك أم البنين ... تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم ... واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نور الربى ... قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم ... فكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا ... بأن عباساً قطيع اليمين

(١) محمد مهدي الحائري، معالي السبطين، ص ٤٠٧.
(٢) حسن الشيرازي، كلمة الإمام الحسن، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط٢، ١٣٨٦هـ، بيروت-لبنان، ص ١١٥.
(٣) زميزم، ص ٢١ - ٢٢.
(٤) محمد مهدي الحائري، معالي السبطين، ص ٣٩٧.

وإذا كان الإمام الحسن عليه السلام لم يكتب له القدر أن يواري أمه أم البنين الثرى، فإن قوافل بني هاشم قد توجهت إلى دارها حال انتشار خبر وفاتها عليها السلام للمشاركة في تشييعها وكان الإمام زين العابدين عليه السلام من أوائل الذين ذهبوا إلى دارها وكانت آثار الحزن والألم بادية على وجهه المبارك.

وبعد حضور معظم وجوه بني هاشم والمئات من الصحابة الأجلاء جرى تشييعها في موكب مهيب، جرى بعدها دفنها في مقبرة البقيع بعد أن صلى على جنازتها الإمام زين العابدين عليه السلام[1].

لقد أصاب أبو الحسن عليه السلام يوم تخير بين النساء فاختار أم البنين فاطمة عليها السلام، فكانت أماً أخرى وفاطمة أخرى في حياة الإمام الحسن عليه السلام.. التي ما فارقته في حياته.. وجاورته في مثواه الأخير.

(١) زميزم: ص ٢٢.

أسماء بنت عميس... أم أخرى

أسماء بنت عميس... اسم طيب ذو أثر، يوافق ذكر اسم الزهراء عليها السلام أينما ذكر...، في رحلة إيمان.. وهجرة.

أسماء كانت هناك عند الزهراء عليها السلام في ليلة زفافها، ما فارقتها تحقيقاً لوصية الأم خديجة الكبرى عليها السلام..

وأسماء كانت هناك عند الزهراء عليها السلام في ولادتها للإمام الحسن عليه السلام ثم لأخيه الحسين عليه السلام فكانت القابلة والمهنئة والمناولة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وليده البكر.

وأسماء أعانت الزهراء عليها السلام في البيت، وحدثت خير حديث عن البضعة الطاهرة وأبيها المصطفى صلى الله عليه وآله.. سيد البشر.

وأسماء غسلت الجسد الموجوع وسترته بجريدة نخل في نعش حديث الابتكار، فحظيت بدعاء الستر من فم أم الحسن عليه السلام.

وأسماء صرخت وناحت ليتم الحسن، وفي قول شقت الجيب فرقاً على فراق أم الحسن عليه السلام.

وأسماء كانت حليلة لسيد الأوصياء، فغدت أماً أخرى ليتامى الزهراء وأولهم المجتبى الحسن.

فطوبى لأسماء هذه السيرة الذهبية، وهي (النجيبة) من أهل الجنة، تتقدم أخواتها

المؤمنات إليها في قول الإمام الصادق عليه السلام.

إنها أسماء بنت عميس بن معد وقيل هي بنت عميس بن النعمان وهي من قبيلة الخثعم[١].

وقيل هي أم عبدالله أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث الخثعمية، صحابية من أجل الصحابيات، أسلمت قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وآله دار الأرقم، وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، فولدت له هناك: عبدالله (وهو زوج السيدة زينب الكبرى عليها السلام) ومحمداً وعوناً. وبعد ذلك هاجرت مع زوجها إلى المدينة سنة ٧هـ، فاستشهد جعفر في يوم مؤتة سنة ٨ هـ، فتزوجها أبو بكر، فولدت له محمداً، وبعد وفاة أبي بكر تزوج منها علي عليه السلام فولدت له: يحيى وعوناً. وحدث عنها: ابنها عبدالله بن جعفر وابنها محمد بن أبي بكر وحفيدها القاسم بن محمد وابن أختها سلمى عبدالله بن شداد وسعيد بن المسيب وعروة والشعبي وآخرون[٢].

وبعض المصادر تذكر أنها ولدت لجعفر بن أبي طالب ثمانية من الولد منهم عبدالله ومحمد وعون، وكذلك جاء في عمدة الطالب (ط نجف ص ٢٠) قال: أولاد جعفر ثمانية بنين، ويذكر المفيد أن أولادها من الإمام علي عليه السلام هو يحيى فقط، أي إن عون هو ابنها من جعفر[٣].

وأمها هند بنت عوف بن زهير كانت أكرم الناس أصهاراً وأبناءً، وأخواتها سلمى

---

(١) محمد حسين الأعلمي الحائري، تراجم: ج١/ ص ٢٢٢.

(٢) الطبقات الكبرى ابن سعد: ٨/ ٢٨٠ – ٢٨٥، الاستيعاب ٤: ٣٤٧ – ٣٤٨، سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٨٢ – ٢٨٧، تهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٢٧ – ٤٢٨.

(٣) المفيد، الإرشاد: ص ١٨٦. في باب ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وعددهم وأسمائهم ومختصر عن أخبارهم.

زوج حمزة سيد الشهداء، وسلامة زوج عبدالله بن كعب، ولبابة وعصماء وهزيلة[١].

ولقد كانت أسماء بنت عميس من المؤمنات السابقات في الإيمان والهجرة، قال لها يوماً عمر بن الخطاب: «نعم القوم أنتم لولا أن سبقناكم إلى الهجرة»، فذكرت ذلك إلى النبيﷺ فقال لها: «**بل لكم هجرتان: إلى أرض الحبشة وإلى المدينة**»[٢].

وأم عبدالله أسماء نجيبة أنجبت النجباء، بتعريف الإمام الصادقعليه السلام لها بـ «**النجيبة**» وترحمه عليها بقوله: «**رحم الله الأخوات من أهل الجنة**» وعد أسماء في مقدمتهن. وهي أخيراً زوجة الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام وولدت قبله من أبي بكر محمداً تلميذ علي وربيبه[٣].

وترحمَّ الإمام الصادقعليه السلام، **ليس بالقول الحسن الأول بحق هذه المؤمنة، فالسير تذكر كثرة دعاء النبيﷺ لها في دنياها وآخرتها ولطالما قال لها: جزاك الله خيراً.. ولقد ودَّعت السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام الدنيا وهي تدعو لها بالستر.**

ومن هذه الأحاديث يتضح أن السيدة أسماء بنت عميس كانت شديدة القرب من بيت الزهراءعليها السلام، فكان أن حضرت زفافها إلى الإمام عليعليه السلام وباتت عندها أسماء أسبوعاً بوصية خديجة إليها فدعا لها النبيﷺ في دنياها وآخرتها[٤].

وأسماء من فتحت الباب للرسول الكريمﷺ، حين أتاهما في صبيحتهما وقال: **السلام عليكم أدخل رحمكم الله؟** ففتحت أسماء الباب وكانا نائمين تحت كساء[٥].

---

(١) الأعلمي الحائري، تراجم: ج١/ ص ٢٢٣.
(٢) محمد بحر العلوم، ص ١١٧. نقلًا عن ابن الأثير، اسد الغابة: ٥/ ٣٩٦.
(٣) المصدر نفسه: ص ١١٨. نقلًا عن الصدوق، الخصال: ٣٦٣.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٨٩.
(٥) المصدر نفسه.

وروى الأربيلي عن الحافظ محمد بن محمود النجار عن رجال ذكرهم قال: سمعت أسماء بنت عميس تقول: سمعت سيدتي فاطمة صلى الله عليه وآله تقول: «**ليلة دخل بي علي بن أبي طالب عليه السلام أفزعني في فراشي**»، فقلت: أفزعت يا سيدة النساء؟ قالت: «**سمعت الأرض تحدثه ويحدثها فأصبحت وأنا فزعة فأخبرت والدي صلى الله عليه وآله فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه وقال: يا فاطمة أبشري بطيب النسل فإن الله فضّل بعلك على سائر خلقه، وأمر الأرض أن تحدثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرق الأرض إلى غربها**»[١].

وفي حديث آخر... إن أسماء بنت عميس بعد أن زفت الزهراء عليها السلام للإمام علي عليه السلام ودعا النبي الكريم صلى الله عليه وآله لهما وخرج، باتت عندها أسبوعاً بوصية خديجة إليها (ثم) أتاهما في صبيحتهما فقال: **السلام عليهم أأدخل رحمكم الله** ففتحت أسماء الباب وقال لعلي عليه السلام **كيف وجدت أهلك** قال عليه السلام: **نعْمَ العون على طاعة الله**، ثم قال لفاطمة خير بعل فدعا لهما ثم أمر بخروج أسماء وقال: **جزاك الله خيراً**[٢].

ولقد أكد المجلسي هذا الحديث بأن أسماء بنت عميس باتت عند السيدة الزهراء عليها السلام أسبوعاً بوصية خديجة إليها فدعا لها النبي صلى الله عليه وآله في دنياها وآخرتها، وأرسل الحديث في محبته في صبيحتهما والدعاء لهما ثم أمره بخروج أسماء وقال: **جزاك الله خيراً**[٣].

ولكن المجلسي يعود ليذكر تبيان لهذه الروايات عن أسماء بنت عميس بالقول: روى مثل تلك الرواية من كتاب كفاية الطالب تأليف محمد بن يوسف الكنجي

---

(١) الطبسي، ص ١١٩. نقلًا عن: بحار الأنوار: ج٤٣/ ص ١١٨ ؛ كشف الغمة: ج١، ص ٢٨٩، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٨٩.

(٢) الأعلمي الحائري، تراجم / ج٢، ص ٣١٣.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٨٩.

الشافعي بإسناده عن ابن عباس باختصار...: وذِكَرُ أسماء بنت عميس في هذا الحدث غير صحيح، لأن أسماء هذه امرأة جعفر بن أبي طالب تزوجها بعده أبو بكر فولدت له محمداً، فلما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام وإن أسماء التي حضرت في عرس فاطمة عليها السلام إنما هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بالحبشة، وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع للهجرة، وكان زواج فاطمة عليها السلام بعد وقعة بدر بأيام يسيرة فصح بهذا أن أسماء المذكورة في هذا الحديث إنما هي بنت يزيد ولها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله[١].

يقول القزويني: إن مشكلة حضور أسماء بنت عميس.. أم غيرها، له جواب معقول: أن أسماء بنت عمس الخثعمية هي التي حضرت زواج سيدتنا الزهراء عليها السلام، وأنها هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة، ولكنها رجعت إلى مكة وهاجرت إلى المدينة، ولعلها كررت سفرها إلى الحبشة لأن المسافة من جدة إلى الحبشة هي مسافة عرض البحر الأحمر، وليس قطع هذه المسافة بالصعب المستصعب ذهاباً وإياباً، وإن كان التاريخ لم يذكر ذلك لأسماء، فإن التاريخ أيضاً لن يذكرعودتها إلى بلاد الحبشة... روى ذلك الشيخ المجلسي عن كتاب: (علل الشرائع) للصدوق. وقد ظفرت برواية رواها المجلسي في العاشر من البحار في باب تزويج السيدة فاطمة عليها السلام عن كتاب (مولد فاطمة) عن ابن بابويه: أمر النبي بنات عبدالمطلب... إلى أن يقول: والنبي صلى الله عليه وآله وحمزة وعقيل و(جعفر) وأهل البيت يمشون خلفها.... فالتصريح بوجود جعفر يحل هذه المشكلة[٢].

وما يؤكد أن التي حضرت عرس الزهراء عليها السلام هو تصريح هذه الأحاديث باسم

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٢) القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٥٠.

أسماء واسم أبيها ولقبها وهو: (أسماء بنت عميس الخثعمية)، وقد روى جملة من الرواة الثقات حضور أسماء بنت عميس الخثعمية في زواج فاطمة عليها السلام، منهم صاحب كشف الغمة والحضرمي في (رشفة الصادي ص ١٠) وأحمد بن حنبل في (المناقب) والهيثمي في (مجمع الزوائد) والنسائي في (الخصائص ص ٣١) ومحي الدين الطبري في (ذخائر العقبى) عن ابن عباس، وعن الخوارزمي عن الحسين بن علي عليه السلام وعن السيد جلال الدين عبدالحميد بن فخار الموسوي، وعن الدولابي وعن الإمام الباقر عن آبائه عليهم السلام[١].

وإن كان هناك التباس في حضور أسماء لزفاف البضعة الطاهرة عليها السلام فإن جميع الروايات تؤكد حضورها وأشرافها على ولادة الإمام الحسن عليه السلام بأمر من النبي صلى الله عليه وآله وقول الإمام علي عليه السلام.

أنار مَقْدَمُ الإمام المجتبى عليه السلام بيت الإمامة والوصاية وأسماء بنت عميس كانت هناك تترقب إطلالته مع أم سلمة و في رواية أخرى أم أيمن[٢]، فقد روي مرفوعاً إلى علي عليه السلام قال: لما حضرت ولادة فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء بنت عميس وأم سلمة: **أحضراها فإذا وقع ولدها واستهل فأذنا في أذنه اليمنى وأقيما في أذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما**. فلما ولدت فعلتا ذلك فأتاه النبي صلى الله عليه وآله فسره ولبأه بريقه وقال: **اللهم إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم**[٣].

(١) القزويني، فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١١٦.

(٢) باقر القريشي، الإمام الحسن: ج١/ هامش ص ٥٤. وأما كيفية ولادة الصديقة بالإمام عليه السلام، فقد جاء في تاريخ الخميس: ١/ ٤٧: «أنه لما حان وقت ولادتها بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وآله أسماء بنت عميس وأم أيمن، فقرأتا عليها آية الكرسي والمعوذتين».

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٨٤.

وجاء بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه، عن علي بن الحسين عليه السلام عن أسماء بنت عميس أنها قالت: قبلت[١] جدتك فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام فلما ولد الحسن عليه السلام جاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: **يا أسماء هاتي ابني** فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبي صلى الله عليه وآله وقال: **يا أسماء ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء**، فلففته في خرقة بيضاء ودفعته إليه، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى ثم قال لعلي عليه السلام: **بأي شيء سميت ابني؟** قال: **ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله**،.... فقال النبي صلى الله عليه وآله: **ولا أسبق أنا باسمه ربي**.

ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: **يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول: علي منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبي بعدك سم ابنك هذا باسم ابن هارون** قال النبي صلى الله عليه وآله: **وما اسم ابن هارون؟** قال: **شبّر**، قال النبي صلى الله عليه وآله **لساني عربي** قال جبرئيل عليه السلام: **سمه الحسن**.

قالت أسماء: فسماه الحسن فلما كان يوم سابعه عقّ النبي صلى الله عليه وآله عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً ودیناراً وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقاً وطلى رأسه بالخلوق ثم قال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية[٢].

لقد نهى النبي المصطفى صلى الله عليه وآله أسماء بنت عميس أن لا تفعل أشياء عند ولادة الإمام الحسن عليه السلام يبدو أنها كانت عادات أو تقاليد اجتماعية جاهلية ومنها لفه بخرقة صفراء،

---

(١) قبلت القابلة المرأة تقبلها قبالة إذا قبلت الولد أن تلقته عند الولادة، الصحاح: ج٣/ ص ١٧٩٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٧٢. نقلًا عن علل الشرائع ص ١٣٧ باب ١١٦، حديث ٥، أمالي الصدوق ص ١٩٧ مجلس ٢٨، حديث ٣. وينظر: صحيح الترمذي: ١ / ٢٨٦، تاريخ الخلفاء: ٧٢.

حيث استبدلها النبي صلى الله عليه وآله بالخرقة البيضاء، وكذلك طلي رأس المولود المبارك بالخلوق وهو طيب مركب من زعفران وغيره، والعادة في الجاهلية أن يطلى رأس الصبي بالدم فقال صلى الله عليه وآله: **الدم من فعل الجاهلية** ونهى أسماء عن فعل ذلك[١].

ولقد أسس صلى الله عليه وآله لمراسيم الولادة وسننها الإسلامية وجعل منها الإمام الحسن عليه السلام الانموذج الأول لتطبيقها، من تسمية بالاسم الحسن المبارك البهي، والأذان والإقامة والعق والحلق والتصدق والطلي والختان... وما إلى ذلك.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: أن رسول الله عق عن الحسن عليه السلام بكبش وقال: **اللهم عظمها بعظمه ودمها بدمه ولحمها بلحمه وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وقاء لمحمد وآل محمد**[٢]. وتأتي هذه الرواية مسندة إلى أسماء بنت عميس مع تفصيل أكثر[٣].

كما إن كثرة ما أسند إلى أسماء بنت عميس من روايات حدثت فيها عن النبي صلى الله عليه وآله وبضعته الطاهرة، يعني أمراً مؤكداً أنها كانت ملازمة لبيت الإمام علي عليه السلام ومرحباً بها فيه وكانت يدَ عونٍ ومواساةٍ للزهراء وأبنائها..، فقد أخبرها النبي صلى الله عليه وآله بخبر الحسين عليه السلام ومقتله عند ولادته ولكنه حذرها من نقل كلامه إلى فاطمة قائلاً: **يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته**[٤].

ولقد عد المؤرخون أسماء بنت عميس أحد الرواة والمحدثين عن الزهراء عليها السلام، لقربها منها طوال حياتها المباركة واطلاعها على شؤونها وأفعالها وأقوالها[٥].

---

(١) باقر القريشي، ص ٥٩.
(٢) الزبيدي، ص ١٢. نقلًا عن سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسيني/ ص ٤٦٢.
(٣) الحائري، معالي السبطين، ص ١٠. نقلًا عن المجلسي، البحار: ج٤٣/ ص ٢٣٨.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٧٢.
(٥) الطبسي: ص ١٠٥.

فعن نهارات فاطمة عليها السلام تحدثنا أسماء... بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه، عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: **حدثتني أسماء بنت عميس قالت: كنت عند فاطمة عليها السلام إذ دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها علي بن أبي طالب عليه السلام من فيء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة لا يقول الناس إن فاطمة بنت محمد تلبس لباس الجبابرة، فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فأعتقتها، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.**

وقد تغيب أسماء بنت عميس عن سيدة النساء عليها السلام لشأن من شؤونها فإذا ما حضرت عندها حدثتها وأخبرتها ما كان من زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله لها وحديثه معها، فعن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: **إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاها يوماً فقال: أين ابناي – يعني حسناً وحسيناً؟ قالت: قلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، وإنا لنحمد الله تعالى، فقال علي: اذهب بهما فإني أتخوف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء**[1]...

هذا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن أسماء بنت عميس كانت امرأة ذات عيال كثر وتتحمل مسؤولية بيتها وأولادها...، ولكنها ما تركت الزهراء عليها السلام طوال فترة مرضها الأخير ولا عند وفاتها.

لقد عاشت أسماء بنت عميس الأيام الأخيرة من عمر الزهراء عليها السلام لحظة بلحظة، فهنيئاً لها هذه الرفقة، وطوبى لها هذه الخطوة من لدن سيدة نساء العالمين وهي تطلعها على مكان حنوك رسول الله صلى الله عليه وآله، وتشتكي لها أدق هواجسها من أن يُرى جسدها النحيل المسجى بعد الموت فتصنع لها أول نعش في الإسلام..، وأسماء غسلت جسد الطاهرة مع

(١) الطبسي: ص ١٤١. نقلًا عن ذخائر العقبى، ص ٤٩، أعلام الهداية، فاطمة الزهراء عليها السلام، ص ١٩٨.

أمير المؤمنين وهي تسكب الدمع مدراراً على المظلومة المهضومة حقها.. وأسماء أخذت بجسدي الإمامين الحسن والحسين وهما يرتميان على جسد أمهما نحيباً وتوجعاً لفراقها،

روى ابن بابويه مرفوعاً إلى الحسن بن علي عليه السلام أن علياً غسل فاطمة عليها السلام، وروي أن الزهراء عليها السلام أوصت علياً عليه السلام وأسماء بنت عميس أن يغسلاها[١].

وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصتني فاطمة عليها السلام أن لا يغسلها إذا ماتت إلا أنا وعلي فغسلتها أنا وعلي عليه السلام[٢].

وفي روايةأخرى..، وقالت أسماء بنت عميس: أوصت إلي فاطمة أن لا يغسلها إذا ماتت إلا أنا وعلي فأعنت علياً على غسلها.

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في الأمالي بإسناده عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عليه السلام قال: **لما مرضت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصت إلى علي بن أبي طالب أن يكتم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها، ففعل ذلك وكان يمرضها بنفسه ويعينه على ذلك أسماء على استسرار بذلك، كما وصت به فلما حضرتها الوفاة وصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرها ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها**[٣].

وقال محمد بن همام في وفاتها:... فغسلها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يحضرها غيره والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس، وأخرجها إلى البقيع في الليل، ومعه الحسن والحسين وصلى عليها، ولم يعلم بها، ولا حضر وفاتها، ولا صلى عليها أحد من سائر الناس غيرهم، ودفنها بالروضة وعمى موضع قبرها[٤].

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٤.
(٣) البهبهاني، ص ٣٣٧.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٢٥.

ومن البيّن أن أسماء قد التزمت بسرية الأمر، وعدم اطلاع أحد على لحظات الزهراء عليها السلام الأخيرة غيرها مع أمير المؤمنين تنفيذاً لوصية بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، فها هي تناقش مع حبيبة المصطفى صلى الله عليه وآله أمر النعش قبل أن يكون، ويتفاجأ برؤيته من يراه!! عن سلمة بن الخطاب، عن...، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن أول من جعل له النعش، **فقال: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله**[1].

وعن ابي عبدالرحمن الحذاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **أول نعش أحدث في الإسلام نعش فاطمة إنها اشتكت شكوتها التي قبضت فيها وقالت لأسماء: إني نحلت وذهب لحمي ألا تجعلين شيئاً يسترني؟** قالت أسماء: إني إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لك فإن أعجبك صنعت لك، قالت عليها السلام: **نعم**، فدعت بسرير، فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد – نخل – فشددته على قوائمه، ثم جللته ثوباً فقالت أسماء: هكذا رأيتهم يصنعون فقالت: **اصنعي لي مثله استريني سترك الله من النار**[2].

وروي كذلك عن أسماء بنت عميس أن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت لأسماء: **إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى**، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجريدة رطبة فحسنتها، ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة عليها السلام: «**ما أحسن هذا وأجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل**»[3].

وهناك قول آخر..، إن النعش قد اتخذته السيدة الزهراء عليها السلام لأنها رأت الملائكة

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢. نقلًا عن تهذيب الأحكام: ج٢١/ ص ٤٦٩، حديث ١٥٣٩.

(٢) أعلام الهداية: ج٣/ ص ١٨٥.

(٣) أعلام الهداية، نقلًا عن كشف الغمة: ١ / ٥٠٣ ، وبحار الأنوار: ٤٣ / ٢١٣، وتهذيب الأحكام: ١ / ٤٦٩.

صوروا صورته ووصفته للإمام علي عليه السلام[١]. وقيل: إن من جملة وصاياها أوصت للإمام عليه السلام فقالت: **أوصيك يا بن عم أن تتخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته**، فقال لها: **صفيه لي** فوصفته فاتخذه لها، فأول نعش عمل على وجه الأرض ذاك، وما رأى أحد قبله ولا عمل أحد[٢].

ومن هنا نعلم، أن أسماء بنت عميس قد صنعت للزهراء عليها السلام نعشاً وجهزته لها قبل أن تغمض عينيها للمرة الأخيرة..، وهذا يعني أن النعش كان في البيت رآه الإمام الحسن عليه السلام وربما استغرب منظره واستعلم أمره، فبأي جواب أجابت أسماء الإمام الحسن عليه السلام عن النعش الذي سيحمل أمه بعيداً عنه؟!

عن ابن عباس قال: مرضت فاطمة مرضاً شديداً فقالت لأسماء بنت عميس: **ألا ترين إلى ما بلغت فلا تحمليني على سرير ظاهر** فقالت: لا لعمري، ولكن اصنع نعشاً كما رأيت يصنع بالحبشة. قالت: **فأرينيه** فأرسلت إلى جرائد رطبة فقطعت من الأسواق ثم جعلت على السرير نعشاً وهو أول ما كان النعش فتبسمت وما رؤيت مبتسمة إلا يومئذ ثم حملناها فدفناها ليلاً وصلى عليها العباس بن عبدالمطلب ونزل في حفرتها هو وعلي والفضل بن عباس.

وفي رواية مشابهة عن أسماء أيضاً تذكر فيها التفاصيل السابقة وتضيف ما يؤكد أن النعش كان في البيت قد صنع وشاهده آخرون... قال ابن عباس: عن أسماء بنت عميس... قال: قالت فاطمة: **فإذا مت فاغسليني أنت ولا يدخلن علي أحد** فلما توفيت فاطمة عليها السلام جاءت عائشة تدخل عليها فقالت أسماء: لا تدخلي فكلمت عائشة أبا بكر فقالت: إن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جعلت لها مثل

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٢.
(٢) البهبهاني، ص ٣٣٤.

هودج العروس[١]، فقالت أسماء لأبي بكر: أمرتني أن لا يدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع لها ذلك، فقال أبو بكر: اصنعي ما أمرتك فانصرف، وغسلها علي عليه السلام وأسماء[٢].

وهذه الروايات تؤيد صنع أسماء بنت عميس للنعش وتبين استغراب من شاهده من رؤيته للمرة الأولى، فوصفوه بهودج العروس!

وحتى لحظات عمر الزهراء عليها السلام الأخيرة، ما فارقتها أسماء، فبعد أن فارق علي والحسن والحسين عليهم السلام الدار، انتقلت سيدة النساء عليها السلام إلى فراشها المفروش وسط البيت واضطجعت مستقبلة القبلة... ثم أسرت أسماء قائلة: «**إن جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله لما حضرته الوفاة بكافور من الجنة فقسمه أثلاثاً ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلي، وثلثاً لي، وكان أربعين درهماً فقالت: يا أسماء ائتيني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا فضعيه عند رأسي** فوضعته، ثم تسجت بثوبها وقالت: **انتظريني هنيهة وادعيني فإن أجبتك وإلا فاعلمي أني قد قدمت على أبي صلى الله عليه وآله**»[٣].

وحين حانت ساعة الاحتضار وانكشف الغطاء نظرت السيدة فاطمة عليها السلام نظرة حادة ثم قالت: «**السلام على جبرئيل، السلام على رسول الله، اللهم مع رسولك، اللهم في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام**. ثم قالت: **هذه مواكب أهل السموات وهذا جبرئيل وهذا رسول الله يقول: يا بنية أقدمي فما أمامك خير لك**»[٤].

---

(١) في المصدر إضافة: « فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء ما حالك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وجعلت لها مثل هودج العروس؟ ».

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٤) أعلام الهداية ، فاطمة الزهراء ع: ص ١٨٦.

وكأن أسماء قد علمت بمقدم الزهراء عليها السلام على أبيها المصطفى فأخذت تنادي: يا بنت محمد المصطفى! يا بنت أكرم من حملته النسا! يا بنت خير من وطئ الحصا! يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى! فلما لم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا فوضعت أسماء عليها تقبلها وهي تقول: فاطمة! إذا قدمت على أبيك رسول الله فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام[١].

وإذا كانت البضعة الطاهرة عليها السلام قد أبعدت أهل بيتها الكرام عن حضور هذه اللحظات الأليمة، فإن الإمام الحسن عليه السلام وأخيه الحسين عليه السلام سرعان ما عادا إلى البيت ليواجهوا أسماء بسؤال لم يكن هناك أصعب من الإجابة عليه.

فالوقت وقت صلاة، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله لا تتهاون عن أدائها وإن كانت طريحة الفراش لذا كان استغراب الإمامين من نوم أمهما إلى هذه الساعة فقالا، يا أسماء **ما ينيم أمنا في هذه الساعة؟**

ولم تستطع أسماء مدارات تفجعها وألمها ودمعها فقالت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا فوقع عليها الحسن يقبلها ويقول: **يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني**[٢].

وحتى في هذه اللحظات تصرفت السيدة أسماء كأم محبة ولهة على أولاد الزهراء، فأرادت عن تبعدهم ولو للحظات عن جسد المأساة وتلهيهم بأمر آخر.. فقالت للإمام الحسن عليه السلام وأخيه: يا ابني رسول الله انطلقا إلى أبيكما علي فأخبراه بموت أمكما[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المجلسي، بحار الانوار: ج١٨/ ص١٣٥.

فامتثلا لكلامها وذهبا إلى المسجد النبوي الشريف باكيين صارخين مفجوعين لموت أمهما الزكية الطاهرة. أما أسماء فما رؤيت بعدها إلا باكية عند رأس الزهراء عليها السلام نادبة فقدها المبكر الأليم صارخة بواقع الحال: وايتامى محمد كنا نتعزى بفاطمة بعد موت جدكما، ففيمن نتعزى بعدك[١].

عن ابن عباس قال: لما توفيت عليها السلام شقت أسماء جيبها[٢]. حزناً على سيدتها وحبيبتها ورفيقتها أم الحسن عليه السلام.

لقد واست أسماء بنت عميس مولاتنا الزهراء عليها السلام خير مواساة وبقيت ملازمة لبنيها بعد وفاتها كما كانت رفيقة لها في حياتها..، فحضرت غسلها وتكفينها ووداعها ولم تفارق الإمام الحسن عليه السلام في تلك اللحظات وما بعدها.

وعلى الرغم من وفرة الأحاديث عن أسماء بنت عميس ودورها في حياة الزهراء عليها السلام، إلا أن هذه الوفرة تصبح شحيحة إن لم نقل مفقودة، لما بعد وفاة الزهراء، فلا تذكر لنا المصادر شيئاً عن أسماء بنت عميس إلا أنها قد تزوجت من أبي بكر ومن ثم الإمام علي عليه السلام.

نعم، لقد عادت أسماء إلى بيت الإمام الحسن عليه السلام لتكون له أماً أخرى مع من تزوج الإمام علي عليه السلام من زوجات، وأظنها كانت نِعْمَ الأم لهم، فهي الأقرب إليه، ألم تتلقفه يداها حين ولد؟ ألم تكفكف دمعه حين بكى توجعاً على فقد الحبيبة؟

وقد منحت أسماء الإمام الحسن عليه السلام أخاً كذلك بولادتها ليحيى بن علي بن أبي طالب، ومن قبله جاءت بأولادها ومنهم محمد بن أبي بكر ليكون في كنفهم فاصبح خير

(١) البهبهاني، ص ٣٤٠.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار / ج١٨، ص ١٥٤.

ربيب وتلميذ ذكر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وبقيت أسماء بنت عميس زوجة للإمام المرتضى عليه السلام حتى استشهد وكانت إحدى زوجاته الأربع اللواتي كنَّ تحته يوم وفاته، وهن: أمامة، وليلى بنت مسعود التميمية وأم البنين، وأسماء، وأمهات أولاده عشر إماء[1].

ومع أن المصادر التاريخية لا تذكر لنا تاريخ وفاة السيدة أسماء بنت عميس، إلا أنها عاشت حتى عاصرت الإمام السجاد عليه السلام وتوفيت في حياته، حسب الروايات المسندة إلى حديث أسماء للإمام علي بن الحسين عليه السلام.

ولا نجد الأمر يختلف مع أسماء بنت عميس مثل بقية زوجات الوصي عليه السلام من محبتهن للإمام الحسن عليه السلام واتباعهن لإمامته وامتثالهن، لذا نرجح خروجها في جنازته ومواكبتها لكل حوادث الدهر التي أصيب بها الإمام الحسن عليه السلام من تأمر ومرض واستشهاد فطوبى لأسماء بنت عميس، مرافقتها للحسن وأمه في الدنيا والآخرة.

---

(١) الشبلنجي، ص ٤٠٢. نقلًا عن البداية والنهاية: ٦ / ٣٩٠، الطبقات الكبرى: ٨ / ٢٣٣، الإصابة: ٧ / ٢٠٩، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي: ٢ / ١٢٢.

أمامة... وصية الزهراء عليها السلام

أمامة بنت زينب بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، هي إحدى النساء اللواتي مررن في حياة الأمام الحسن عليه السلام وهي من العائلة المباركة، حفيدة المصطفى صلى الله عليه وآله وقرينة المرتضى عليه السلام، وهي من بعد ذلك وصية الزهراء البتول عليها السلام[1].

إن هذه الإنسانة المؤمنة لا تظهر سيرتها المقتضبة على سطح الروايات التاريخية إلا لماماً، ولولا وصية فاطمة عليها السلام الشهيرة في أن يتخذها الإمام علي عليه السلام زوجة من بعد وفاتها، كونها الأقرب إلى أولادها، ما وجدنا ما يروى عنها.

ولقد علمنا أن سيد الأوصياء عليه السلام لم يتخذ زوجة أخرى في حياة سيدة النساء عليها السلام، ولكنه عملاً بوصية أم الحسن عليه السلام تزوج من بعدها بعدة زوجات، حيث أوصته قائلة: **أن تتزوج من بعدي... فإن الرجال لابد لهم من النساء**. وفي قول آخر: **يا بن العم أنا أعلم انك لا تقدر على عدم التزويج من بعدي**[2]...

وهكذا دخلت إلى ثنايا حياة الإمام الحسن عليه السلام العديد من زوجات أبيه، ونعتقد أن أمامة كانت الزوجة الأولى بعد الزهراء عليها السلام. حيث ذكر أن الزهراء عليها السلام قالت للإمام علي عليه السلام: **يا بن عم رسول الله أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة فإنها تكون لولدي مثلي فإن الرجال لابد لهم من النساء**[3].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٨. نقلًا عن كشف الغمة ج١/ ص ٥٠٢.
(٢) أعلام الهداية: ٣/ ص ١٨٤. نقلًا عن روضة الواعظين: ١ / ١٥١.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٨.

وقد ذكرت المصادر أسماء أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وعددهم وأخبارهم، فلم يكن لأمامة ولداً من الإمام علي عليه السلام، بل أن له ابنة بهذا الاسم لأمهات شتى[١]. وأن أمامة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام هذه هي زوج الصلت بن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب[٢].

وقد وقع بعض المؤرخين في لبس الاسم هذا، فبعضهم يذكر أن أمامة هي بنت أبي العاص وهي أخت فاطمة الزهراء التي أوصت أمير المؤمنين أن يتزوجها بعد وفاتها[٣]. والبعض لا يستقر عند قول محدد، هل الإمام علي عليه السلام تزوج أمامة أم بنت أمامة.. وهكذا.

ولكن القول المعتبر أن أمامة التي تزوجها أمير المؤمنين حسب وصية الزهراء عليها السلام، هي أمامة بنت أبي العاص بن الربيع العبشمية وهي بنت أخت الزهراء عليها السلام أي أن أمها زينب بنت محمد صلى الله عليه وآله.

وبالرغم من قلة ذكر هذه السيدة المؤمنة في المصادر التاريخية، حيث لم يوثق لحياتها قبل زواجها من الإمام عليه السلام وبعده، بقيت وصية الزهراء عليها السلام بضرورة زواج علي عليه السلام منها هي القول الأشهر عن وجودها في حياة الإمام الحسن عليه السلام. إلا أن ابن حجر في الإصابة يذكرها، عن عائشة قالت: إن النجاشي أهدى إلى النبي صلى الله عليه وآله حلية فيها خاتم من ذهب فصه حبشي فأعطاه أمامة[٤].

ويظهر من وصية الزهراء عليها السلام بها، أنها كانت الأقرب إلى قلوب أولادها، وهناك

(١) المفيد، الإرشاد، ص ٨٦.
(٢) الأعلمي الحائري، تراجم:ج١/ ص ٢٣٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.
(٤) ابن حجر، الإصابة: ج٤/ ص ٢٣١.

قولان أو روايتان يذكرهما المجلسي عن هذا الأمر، ففي رواية أن الزهراء عليها السلام أوصت إلى علي بثلاث: أن يتزوج بابنة [أختها] أمامة لحبها أولادها. وفي قول آخر، قولها: **أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة [أختي] أمامة فإنها تكون لولدي مثلي**[١]. ومن فحوى القولين نستشف مدى اعتزاز السيدة فاطمة عليها السلام بها وكيف أن أمامة ستكون للإمام الحسن عليه السلام وأخوته كما هي، رؤوفة رحومة لأنها تحبهم.

ومن الوصية كذلك نستدل على أن أمامة كانت للإمام الحسن عليه السلام وأخيه قريبة ومقربة، وكثيرة التواجد في بيتهم وحياتهم كشقيقة لأنها ابنة خالتهم، ثم أضحت بتنفيذ وصية الزهراء عليها السلام زوجة لأبيهم، ولكن زوجة أب بمواصفات خاصة حددتها الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين..، في أن يكون لها ليلة وللإمام الحسن عليه السلام وأخيه عليه السلام ليلة أخرى[٢].

ولقد امتد اعتزاز الزهراء عليها السلام بأمامة إلى الإمام علي عليه السلام، الذي اشتهر عنه القول: **أربع ليس لي إلى فراقه سبيل، بنت [أبي العاص] أمامة أوصتني بها فاطمة بنت محمد** صلى الله عليه وآله[٣]. ولم تحدثنا الروايات بحديث واحد ينتهي سنده إلى السيدة أمامة مع أنها حفيدة النبي صلى الله عليه وآله وربيبة الزهراء عليها السلام وزوجة الوصي عليه السلام.

حتى أننا نعثر على حديث يتيم لأم عثمان وهي أم ولد وإحدى زوجات الإمام علي عليه السلام في كشف الغمة، ولا نعثر على حديث للسيدة أمامة.

من كتاب معالم العترة الطاهرة للجنابذي، عن أم عثمان أم ولد علي بن أبي طالب عليه السلام قالت: كان لآل رسول الله صلى الله عليه وآله قطيفة يجلس عليها جبرئيل ولا يجلس عليها غيره، وإذا

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٢-١٣٨.
(٢) الأعلمي الحائري، تراجم: ج٢/ ص ٣٣٢.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٨.

عرج طويت، وكان إذا عرج انتفض فيسقط من زغب ريشه فيقوم فيتبعه فيجعله في تمائم الحسن والحسين عليهما السلام[١].

ومع ذلك فإن أمامة كانت كما أوصت الزهراء عليها السلام للإمام الحسن عليه السلام ولقد غادرت بيت الإمام علي عليه السلام بعد استشهاده، حيث قال لها أمير المؤمنين: **فإن كان لك في الرجال من بعدي فتزوجي المغيرة بن نوفل بن الحارث بعد وفاتي**، وقيل أوصى بهذا لأنه خاف أن يتزوجها معاوية فزوجها المغيرة بعد استشهاده فولدت له يحيى وتوفيت عنده، وقيل تزوجها بعده أبو الهياج بن سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب فماتت سنة ٥٠هـ.

وقد روى ابن حجر في الأصابة، أن علياً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لأمامة: **إني لا آمن أن يخطبك هذا الطاغية بعد موتي -يعني معاوية- فإن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً** - فلما انقضت عدتها - قالت للمغيرة بن نوفل: إن معاوية خطبني فقال لها: أتتزوجين ابن آكلة الأكباد فلو جعلت ذلك إلي، قالت: نعم قال قد زوجتك[٢].

لقد تقاسمت أمامة والإمام الحسن عليه السلام ليالي الإمام علي عليه السلام نزولاً عند وصية الزهراء عليها السلام وتحقيقاً لوصيتها، ولكنها في قلب فاطمة عليها السلام كانت كما الحسن وأخيه وأخواته.. لأنها بنت أختها الأثيرة لديها.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩١. نقلًا عن كشف الغمة: ج١/ ص ٥٤٩.

(٢) الأعلمي الحائري، تراجم / ج١/ ص ٢٢٧.

فضة... امرأة من ذهب

فضة النوبية هي جارية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، دخلت إلى بيت الإمام علي عليه السلام خادمة فأضحت واحدة منهم، أخلاقها أخلاقهم وأدبها آدابهم واحاديثها أحاديثهم.

لقد استعانت بها الزهراء عليها السلام بعد أن طلبتها من والدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأضحت الزهراء أماً لعدد من الأطفال وهي في مقتبل العمر...، روي عن الصادق عن آبائه عن علي عليهم السلام **قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخدم فاطمة ابنته جارية اسمها فضة النوبية وكانت تشاطرها الخدمة، فعلّمها رسول الله صلى الله عليه وآله دعاء تدعو به، فقالت لها فاطمة عليها السلام أتعجنين أو تخبزين، فقالت: بل أعجن يا سيدتي وأحتطب فذهبت وبيدها حزمة وأرادت حملها فعجزت فدعت بدعاء علمها إياه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو**[1]: **«يا واحد ليس كمثله أحد تميت كل أحد وتفني كل أحد وأنت على عرشك واحد ولا تأخذه سنة ولا نوم» فجاء أعرابي كأنه من أزد شنوءة فحمل الحزمة إلى باب فاطمة عليها السلام.**

ولقد كانت السيدة فضة موالية لآل البيت شديدة الولاء ومحبة لهم، أبدت افتخارها في الانتساب إليهم كلما سُئِلت: من أنت؟ قالت: أنا فضة أمة فاطمة الزهراء ابنة محمد المصطفى صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها[2].

فكانت فضة تشاطر الإمام الحسن عليه السلام وأهله أيامهم في الشدة والرخاء، حتى ذكرت معهم حين نزلت الآيات، عن ابن عباس (رضوان الله تعالى عليه): إن الحسن والحسين

(١) الأعلمي الحائري، تراجم: ج٢/ ص ٣٦٥.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٢٧.

مرضا، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا (الحسن والحسين) مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا، وما معهم شيء (طعام) فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهود ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء،... إلى أخر الرواية. حيث تصدقوا بإفطارهم جميعاً لثلاثة أيام على المسكين واليتيم والأسير.. حتى نزل جبرائل عليه السلام وقال: **خذها يا محمد، هنأك الله في أهل بيتك** فاقرأه سورة هل أتى[١].

ولو لم تكن فضة قد أصبحت واحدة من أهل بيت محمد لما ألزمت نفسها بفعل آل محمد، محبة وتقرباً إلى الله لشفاء الإمام الحسن عليه السلام وأخيه الحسين عليه السلام.

ومن هنا يمكننا القول أن الإمام علي عليه السلام قد اعتبرها من أهل بيته يوم ناداها للتزود من فاطمة عليها السلام وهي سجية قد فارقت الحياة مع أولاده وكأنها واحدة منهم..، قال علي:... وكفنتها وأدرجتها في أكفانها فلما هممت أن أعقد الرداء ناديت يا أم كلثوم! **يا زينب! يا سكينة! يا فضة! يا حسن! يا حسين! هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة**[٢].

ولقد كانت الزهراء عليها السلام أماً لكل من عاشرها وتشرف بالتقرب منها، فلقد كانت أم أبيها الرسول صلى الله عليه وآله أفلا تكون أماً قدوة لجاريتها؟

---

(١) القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ص ١٤٢ وما بعدها.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٣٠.

إن بيت فاطمة عليها السلام مدرسة إسلامية متكاملة، سعيد من انتسب إليها وعاش في كنفها أياماً، وفضة كانت تلميذة نجيبة في هذه المدرسة الرسالية ولقد تخرجت منها فقيهة بعد أن دخلتها خادمة..، فنجدها تحدّث عن الزهراء عليها السلام وأحوالها روايات معتبرة تتناقلها الأقلام، وتعطي رأياً فقيهاً يعجز عن إدراكه خليفة المسلمين، وتبقى عشرين سنة لا تتكلم إلا بالقرآن.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **كان لفاطمة جارية يقال لها فضة فصارت من بعدها لعلي عليه السلام فزوجها من أبي ثعلبة الحبشي فأولدها ابناً (ثم) مات منها أبو ثعلبة وتزوجها من بعده أبو مليك العطفاني (ثم) توفي ابنها من أبي ثعلبة فامتنعت من أبي مليك أن يقربها فاشتكاها إلى عمر وذلك في أيامه، فقال لها عمر: ما يشتكي منك أبو مليك يا فضة، فقالت: أنت تحكم في ذلك وما يخفى عليك، قال عمر: ما أجد لك رخصة قالت: يا أبا حفص ذهب بك المذاهب، إن ابني من غيره مات فأردت أن استبرئ نفسي بحيضة فإذا أنا حضت علمت أن ابني مات ولا أخ له، وان كنت حاملا كان الولد في بطني اخوه فقال عمر شعرة من آل أبي طالب أفقه من عدي**[1].

أما حديثها الطويل عن أحوال سيدة النساء عليها السلام بعد وفاتها فقد رواه ورقة بن عبدالله الأزدي عنها، حيث فصلت فيه وأفاضت في ذكر وقائع أيامها الأخيرة عليها السلام، روى ورقة بن عبدالله الأزدي قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام راجياً لثواب الله رب العالمين، فبينما أنا أطوف وإذا أنا بجارية سمراء، ومليحة الوجه عذبة الكلام، وهي تنادي بفصاحة منطقها، وهي تقول: اللهم رب الكعبة الحرام، والحفظة الكرام، وزمزم والمقام، والمشاعر العظام ورب محمد خير الأنام صلى الله عليه وآله البررة الكرام أسألك أن تحشرني مع ساداتي الطاهرين، وأبنائهم الغر المحجلين الميامين. ألا فاشهدوا يا جماعة الحجاج

(١) الأعلمي الحائري، تراجم: ج٢/ ص ٣٦٣.

والمعتمرين أن موالي خيرة الأخيار، وصفوة الأبرار، والذين علا قدرهم على الأقدار، وارتفع ذكرهم في سائر الأمصار المرتدين بالفخار[١]... إلى نهاية الحديث.

إن التمعن في رواية فضة للحديث السالف ذي المضامين العالية يشهد لها أنها خير موالية لبيبة، لخيرة الأخيار حقاً، ولقد قيل عنها أنها ختمت حياتها الكريمة لسنين عديدة لا تنطق إلا بآيات القرآن المجيد..، وقد أورد أبو القاسم القشيري في كتابه، ما يشهد على هذه البادرة الفريدة، قال بعضهم: انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة فقلت لها: من أنت؟ فقالت: ﴿**وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[٢]...، فلما سأل أولادها عنها فقالوا: هذه أمنا فضة جارية الزهراء عليها السلام ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن[٣].

وليس هذا ببعيد عمن حلق طويلاً حول شعاع ضوء النبوة وضياء الإمامة، ففضة كانت جليسة الزهراء عليها السلام في نهارها وليلها تعينها على قضاء حوائج بيتها وتربية أشبالها، ولقد وقفت فضة مع الإمام الحسن عليه السلام خلف فاطمة يتلقون بصبر وجلد هجمات الرعاع على الدار حتى إذا ما ضغطوها بين الجدار والمسمار، صاحت واستنجدت فاطمة عليها السلام بفضة: **هلمي إلي سنديني لقد أسقطوا جنيني!**

ولا أحسبها تقاعست فضة عن خدمة الزهراء عليها السلام في مرضها الأخير تعين أبا الحسن عليه السلام وأسماء في رعاية الإمام الحسن عليه السلام وأخوته لتخفف من ثقل المأساة التي حلت على هذا البيت الطاهر الممتحن.

وفي رواية.. إن الزهراء عليها السلام عندما حان الأجل المحتوم، اغتسلت أحسن ما يكون الغسل قبل موتها ثم لبست أثوابها الجديدة ثم قالت لخادمتها فضة: **افرشي فراشي**

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٢٧ وما بعدها.
(٢) سورة الزخرف، آية: ٨٩.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار / ج١٨/ ص ٦٧. نقلًا عن مناقب آل أبي طالب: ج٣/ ص ٣٤٣.

وسط البيت، ثم استقبلت القبلة ونامت وقالت: **أنا مقبوضة** ثم وضعت خدها على يدها وماتت[١].

وفي رواية محمد بن همام، أن فضة كانت واحدة من بضع أشخاص مقربين حضروا وفاة الزهراء عليها السلام وغسلها وإخراجها ليلاً إلى البقيع لدفنها[٢].

وقد رافقت السيدة المؤمنة فضة سيدها الإمام الحسن عليه السلام عندما انتقل مع أبيه إلى الكوفة وعاشت حياتها في خدمتهم، كما كانت تفعل في حياة الزهراء عليها السلام.

عن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي بن أبي طالب القصر... قال: فقلت لفضة وهي بقرب منه قائمة: ويحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلين هذا الطعام من النخالة التي فيه؟ قالت: قد تقدم إلينا ألا ننخل له طعاماً. قال: ما قلت لها؟ فأخبرته، فقال عليه السلام: **بأبي وأمي من لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله تعالى** (المقصود به الرسول صلى الله عليه وآله).

وكانت فضة هي التي بشرت بولادة الإمام العباس عليه السلام في رواية قنبر... فقالت فضة: لقد ولد الساعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام غلام أزهر كأنه فلقة قمر[٣].

ويبدو أنها بعد أن تزوجت غادرت بيت الإمام علي عليه السلام وانشغلت بحياتها الخاصة، وإن كانت لم تنسَ أيامها التي عاشتها في كنف أم الحسن عليه السلام وبقيت أعينها بالدمع مدرارة كلما ذكرتها.

---

(١) الأعلمي الحائري، تراجم: ج٢/ ص ٣٣٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ١٢٥.

(٣) يونس رمضان، بغية الطالب: ص ٤٩٠. نقلًا عن:إرشاد القلوب للديلمي، والغدير وشرح النهج.

وها قد انتهينا من استعراض بضع نسوة مؤمنات مواليات عايشن فاطمة الزهراء وابنها الإمام الحسن عليهما السلام وخدمنه وكان لهن نعم الوليد المبارك والفتى المناصر والإمام الناصح الأمين... فكان ثمراً هاشمياً في سماء النبوة، حاولت يد الغدر الآثمة أن تحجب ضياءُ...

وهذا ما سنتناوله في الفصل القادم.

الفصل الرابع

الزوجة القاتلة

... أشقى النساء

- للحسن... زوجات وبنات
- جعدة بنت الأشعث... أشقى الزوجات

المبحث الأول

للحسن عليه السلام... زوجات وبنات

بعد الأم والأخت.. جاء دور الزوجة والبنت في حياة الإمام الحسن عليه السلام، وهذه المساحة من البحث ربما تكون الأبرز والأشهر في سيرة الإمام السبط عليه السلام لكثرة ما أثير حولها من لغط وبهتان في أعدادهن وتسمياتهن، ونقصد هنا بالطبع الزوجات.

وقبل الورود في هذا البحث لابد من تبيان أن مظلومية الإمام الحسن عليه السلام وما رمي به من تفسيرات جاهلة مردها إلى نقطتين هما: صلح الحسن وزوجات الحسن. ولما كان بحثنا ينير الحيز الخاص بدور المرأة في حياة الإمام، فإننا سنركز في كلامنا على النقطة الثانية، فنوضح كم عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام؟ وكم عدد بناته في مختلف الروايات؟ ولماذا ألصقت فرية أن (الحسن مزواج مطلاق) بالإمام الحسن عليه السلام دون غيره؟ لِمَ لَمْ تلصق هذه الفرية بالإمام الحسين عليه السلام على سبيل المثال؟ ثم سنحاول الإجابة على سؤال القائل: كيف كانت معاملة الإمام الحسن عليه السلام لزوجاته؟ وكم كان عمر الإمام الحسن عليه السلام؟ وكيف عاشه ليتزوج العشرات من النساء، حسب إدعاء بعض الروايات؟

نستطيع القول أن الافتراء على النجوم الزاهرة من آل بيت النبوة، هو صنعة قريشية – أموية بحق، فلقد حاولت الدعاة الأموية وأقلامها المأجورة أن تنال من عظمة سيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام وانسانيته، وأن تحاول ثلم نقاء صورته في أذهان الأجيال الإسلامية بالإدعاء أنه كان عدواً للمرأة، ولقد بحثنا هذا الأمر بتفصيل وبرهنة في

كتابنا الموسوم (علي والنساء).

وجاء الدور على الإمام الحسن عليه السلام لينال نصيبه من الخطة الأموية الجاهزة، في تعكير صفو ذكره الطيب المحمود على لسان النبي المصطفى صلى الله عليه وآله.

ولما كان الإمام الحسن عليه السلام إمام الزمان الذي عاش فيه معاوية وأعوانه، فإنهم جندوا كتبة التاريخ من الوضّاعين للصق هذه التهمة به، بعد أن أعيتهم الحيلة في إيجاد مثلبة واحدة ينفذون منها للإساءة إلى شخصية الإمام الحسن عليه السلام المتكاملة الأركان.

وهنا نقتبس من قول الهمداني في الإمام المجتبى عليه السلام مهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله... جاء فيه: «إن الإمام المجتبى من أفضل مصاديق آية التطهير، وإن الله سبحانه شهد في هذه الآية بالعصمة والطهارة له عليه السلام حتى من أدنى شيء لا يريده الله، بما لا مزيد عليه، لأنه تعالى أذهب عنه عليه السلام جميع أنواع الرجس مما يكره سبحانه عز وجل، فهو عليه السلام بنص هذه الآية مصون عن كل عيب ونقص على الإطلاق، إذ كل ما يفرض شيئاً غير مطلوب لله عز وجل ورسوله ولو مثقال رأس إبرة فهو داخل في الرجس الذي أذهبه الله عنه عليه السلام، فبناءً على هذا فله أعلى مراتب العصمة والطهارة»[١].

إن آل أبي سفيان قد شحذوا ضب عداوتهم لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، منذ أن كان النبي صلى الله عليه وآله في مكة ينشر دعوة التوحيد ويصدح بشريعة الإسلام، كان أبو سفيان وأولاده وباقي بني أمية ومن هو على شاكلته يتربصون به وبأهل بيته الدوائر ويتمنون لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله أو أحد من أهل بيته يرتكب من الأخطاء أصغرها ليطبلوا لها ويزمرون، فيعظموا هذا الخطأ ويشنعوا عليه وعلى أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين[٢].

(١) أحمد الرحماني الهمداني، الإمام المجتبى عليه السلام مهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله، المنير للطباعة والنشر، ط١، ١٣٨٤هـ.ش / ١٤٢٦هـ.ق، إيران، ص ٧١١.

(٢) وسام برهان البلداوي، القول الحسن: ص ٢٠٢.

إن حالة التربص وتصيد الأخطاء والزلات على النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، بقيت كحالة مرضية مستعصية لازمت آل أبي سفيان ومن هم على شاكلتهم من جبابرة قريش حتى بعد أن رحل النبي صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا الفانية ولحق بالرفيق الأعلى[١]، حيث توجهت سهام حقدهم وافتراءاتهم نحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبنائه الأئمة الحجج الميامين عليهم السلام.

وقد نبه الإمام علي عليه السلام في خطبته إلى هذا الخطر ووضح أسبابه وكشف مراميه ومدلولاته، ففي كتاب لأمير المؤمنين أرسله إلى معاوية رداً على أحد مفترياته، نجده عليه السلام قائلاً: «**وقلت: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه**»[٢].

فلا غرابة أن نجد إصرار معاوية وأصحابه على التربص بالإمام الحسن عليه السلام ومحاولة النيل منه، فكان معاوية وحزبه الرجيم يراقب كل حركة تصدر عن السبط عليه السلام علهم يقعون على ما يشين أو يريب في أمره، ولكن هيهات إنهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وملح أهل الأرض قاطبة وموضع فخرهم وافتخارهم إلى يوم الدين.

ولو كان الإمام الحسن عليه السلام كما افتري عليه بأنه مزواجٌ ومطلاقٌ، لتلقف معاوية هذه الصفة وأشبعها تشهيراً وتنكيلاً ولذاعت واشتهرت على لسانه وأقوال أصحابه، وما تردد آل أمية وحزبهم حزب الشيطان في اتخاذ هذه المثلبة سبباً في الحرب النفسية والدعائية ضد الإمام الحسن عليه السلام وآل بيت النبي الأطهار عليهم السلام. لذا نقول: إن هذه

---

(١) وسام برهان البلداوي، القول الحسن: ص ٢٠٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، ج١٥، ص ١٨٣.

المرويات وضعت بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، وإلا لم يتركه معاوية ولا ابن العاص في نشرها وبثها على المنبر قبل الصلح وبعده[١]. ولوجدنا لها رداً في أقوال الإمام الحسن عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

كما إن هذه الروايات نقلت على أيدٍ معدودة وهم المدائني والشبلنجي وأبو طالب المكي، والثلاثة متّهمين بوضع الرواية وقد ثبتت التهمة بهم، وعنهم أخذ المؤرخون والكتّاب من السنة والشيعة والمستشرقين[٢].

وقد كُتِبَتْ العديد من الكتب في الرد على هذه الروايات المفتريات وفندتها بالبحث والتحليل..، وقد وقف بعض الرواة مدافعاً عن الإمام الحسن عليه السلام في الوقت الذي لا يحتاج الأمر إلى دفاع، فالإمام الحسن عليه السلام سبط النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة وريحانة النبوة ووريث الإمامة ومثال الرسول الأعظم خلقاً وخُلقاً كما أوردنا في المباحث السالفة.

كما وقف بعض الرواة من الإمام الحسن عليه السلام موقفاً يتسم بالاعتدال والتجرد، فقال: إن تعدد الزوجات كان شائعاً ومألوفاً بين المسلمين ولم يكن الإمام عليه السلام أكثر زواجاً من غيره، وقل من مات من أعيان المسلمين عن أقل من أربع زوجات، وقد مات الزبير وعبدالرحمن بن عوف وطلحة عن أربع زوجات عدا مطلقاتهم كما نص على ذلك أكثر المؤرخين، فكم عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام؟!!

إن أرباب السير والتاريخ وعلماء فن الخبر أوردوا أقوالاً كثيرة، واختلفوا اختلافاً بيناً في عدد زوجاته حتى أنهم اتهموه بتهم ليست من شأنه عليه السلام.

---

(١) ماجد ناصر الزبيدي، ص ٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

فذهب بعض المؤرخين من العامة والخاصة إلى أن له عليه السلام: خمسين زوجة وأربعاً وستين وسبعين وتسعين ومائتين وخمسين وثلثمائة وسبعمائة[١].

إن نظرة موضوعية إلى تلك الروايات والأعداد التي اعتمدتها وتضاربها، هو في حد ذاته سبباً ودليلاً على انتفاء مصداقيتها. فلو كانت الروايات صحيحة في معظمها لتقاربت الأعداد وتجانست المسميات، أما أن تكون الأعداد متراوحة ما بين (١٥) زوجة وسبعمائة زوجة فهذا ما يخرج المعلومة عن مألوفيتها ومصداقيتها لدى المؤرخ والباحث.

إن القول بأن عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام خمسون زوجة، جاء عند يحيى بن أبي العلاء[٢]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إن الحسن بن علي عليه السلام طلق خمسين امرأة، فقام علي عليه السلام بالكوفة فقال: يا معاشر أهل الكوفة، لا تنكحوا الحسن، فإنه رجل مطلاق فقام إليه رجل فقال: بلى والله لننكحنه فإنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن فاطمة عليها السلام فإن أعجبته أمسك. وإن كره طلق.**

وهذا القول لا يساعده العقل وآية التطهير، ولا يناسب عصمة الإمام عليه السلام، وقد قال العلامة المجلسي رحمه الله: هذا الحديث مجهول. ونحن نوافق المجلسي الرأي هنا، ولا نوافقه في تأويله، بالقول: «ولعل غرضه عليه السلام (يقصد الإمام علي عليه السلام) كان استعلام حالهم ومراتب إيمانهم لا الإنكار على ولده المعصوم المؤيد من الحي القيوم»[٣].

فأمير المؤمنين عليه السلام كان لديه وسائل اختبارية أخرى أنجع في استنكاه مراتب إيمانهم من أن يعرّض بولده الحسن عليه السلام على الملأ هكذا.

(١) أحمد الرحماني الهمداني، ص ٧١٢.
(٢) المصدر نفسه، نقلًا عن فروع الكافي: ٦ / ٥٦ كتاب الطلاق. باب تطليق المرأة غير الموافقة.
(٣) المصدر نفسه.

والتفاتة أخرى لا تخفى على اللبيب، فإن هذه الرواية كأنها تظهر جهل الإمام علي عليه السلام و(العياذ بالله) بمقام الإمام الحسن ومرتبته ورجل أهل الكوفة ذاك أعلم وأكثر محبة للإمام السبط كونه ابن رسول الله وابن فاطمة!

لقد ذكرت النصوص التاريخية المعتمدة والتي سنوردها لاحقاً، أن الإمام الحسن عليه السلام قد حظي بزيجات طويلة الأمد، وكان متمسكاً بزوجاته وحافظاً لحرمتهن حتى بعد استشهاده، فقد روي أنه صلوات الله وسلامه عليه من شدة تمسكه بزوجاته وأمهات أولاده أن أوصى إلى الإمام الحسين عليه السلام بأن لا يخرج زوجته أم إسحاق من دور أهل البيت، فتزوجها الإمام الحسين عليه السلام من بعده[١].

ولنعود إلى أشهر الأقوال والروايات في زيجات الإمام الحسن عليه السلام رواية أبي طالب المكي في قوت القلوب: أنه عليه السلام تزوج مائتين وخمسين امرأة، وقد قيل ثلاث مائة وكان علي عليه السلام يضجر من ذلك، فكان يقول في خطبته: **إن الحسن مطلاق فلا تنكحوه**[٢].

وعن أبي عبد الله المحدّث في رالمش أفزاي: إن هذه النساء كلهن خرجن خلف جنازته حافيات[٣].

أما المدائني، فهناك روايتان، الأولى جاءت في بحار الأنوار للمجلسي..، ومفادها.. قال أبو الحسن المدائني: «كان الحسن عليه السلام كثير التزويج، تزوج خولة بنت منظور بن زياد الفزارية، فولدت له الحسن بن الحسن وأم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله فولدت له ابناً سماه طلحة، وأم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري فولدت له زيداً، وجعدة بنت الأشعث وهي التي سمته، وهنداً بنت سهيل بن عمرو، وحفصة بنت عبد الرحمن بن

(١) وسام البلداوي، ص ١١٠. نقلاً عن تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٧٠/ ص ١٦ – ١٧.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٦٣.
(٣) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص ٢٩ و٤٢ و٤٤.

أبي بكر، وامرأة من كلب، وامرأة من بنات عمرو بن الأهيم المنقري، وامرأة من ثقيف فولدت له عمر، وامرأة من بنات علقمة بن زرارة، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة فقيل له: إنها ترى رأي الخوارج فطلقها، وقال: إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم)[١].

والرواية الثانية، قال المدائني: أُحصيت زوجات الحسن عليه السلام فكن سبعين امرأة. وقيل تزوج عليه السلام سبعين حرة، وملك مائة وستين أمة في سائر عمره، وكان أولاده خمسة عشر[٢].

أما ابن سعد في طبقاته فقال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا عبدالله بن جعفر، عن عبدالله بن حسن، قال: كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء، وكن قلما يحظين عنده، وكان كل امرأة تزوجها إلا أحبته وصبت به[٣].

أما القول بأن له أربعاً وستين زوجة، فهو ما قاله الكفعمي في المصباح، والكفعمي هو الذي تفرد به، وقد أرسله ولم يذكر له سنداً.

وكذلك القول بأن له تسعين زوجة وهو ما قاله الشبلنجي، وقد تفرد به، وليس قوله بحجة.

ونأتي إلى رواية أبي طالب المكي في قوت القلوب فنجد أكثر من طعن في راويها وسندها، بل إن الرواية لا سند لها يذكر مما اضطر ابن شهرآشوب أن يرمي بعهدتها على أبي طالب المكي وكتابه[٤].

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٦٥.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٦/ ص ٢١ – ٢٢.
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ص ٨٢.
(٤) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣/ ص ١٩٢ – ١٩٣.

وقد قال فيه المؤرخون قولهم الفصل من أنه قد خلط في كلامه وهجره الناس لذلك، فقال ابن الأثير: «وصنف كتاباً سماه قوت القلوب، وذكر فيه أحاديث لا أصل لها..»[١].

وقال الذهبي: «قال الخطيب: ذكر في القوت أشياء منكرة في الصفات وكان من أهل الجبل ونشأ بمكة. قال لي أبو طاهر العلاف: إن أبا طالب وعظ ببغداد، وخلط في كلامه وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضرّ من الخالق! فبدّعوه وهجروه، فبطل الوعظ»[٢].

وكذلك قال عنه ابن حجر في ميزانه «من أنه خلط في كلامه وذكر في القوت أشياء منكرة في الصفات»[٣].

وقال المحدث القمي رحمه الله: «حكى أنه كان يستعمل الرياضة كثيراً حتى قيل: إنه هجر الطعام كثيراً واقتصر على أكل الحشائش، فكان طعامه لما صنف قوت القلوب عروق البردي، قيل فاخضر جلده من كثرة تناولها. قدم بغداد، فوعظ الناس، فخلط في كلامه فتركوه وهجروه، وامتنع عن الكلام بعد ذلك، وحفظ عليه من خلطه قوله – العياذ بالله – ليس على المخلوقين أضرّ من الخالق»[٤].

وبعد كل هذا كيف يقبل منه قول أو كلام في المخلوقين بعد أن رمى الخالق –

---

(١) ابن كثير، البداة والنهاية، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، بيروت – لبنان: ج١١/ ص ٣٦٦.

(٢) أحمد الرحماني الهمداني: ص ٧١٤.

(٣) للمزيد ينظر: لسان الميزان ابن حجر ج٥ ص ٣٠٠ وميزان الاعتدال للذهبي: ج٣/ ص ٦٥٥.

(٤) أحمد الرحماني الهمداني: ص ٧١٥، نقلًا عن الكنى والألقاب: ١ / ١١١.

والعياذ بالله – بالضرر، والغرابة أن ينقل عنه ويعوّل على رواياته بعد أن حكم عليه الناقلون بالخلط والبدعة.

ويكفينا استدلالاً على نكران الرواية أنها قد زوجت الإمام الحسن عليه السلام بهذا الكم الكبير من الزيجات دون تفصيل أو إيضاح لأسمائهن وألقابهن أو أنسابهن، ولم يكلف المكي نفسه في إيضاح سبب تصاعد هذا الرقم القياسي في الزيجات حتى أوصله إلى الرقم ثلاثمائة. ولكننا نجده قد كشف زيف سنده وادعائه بقوله (وقد قيل) أي أنه لم يتحقق من الأمر وقد نقل ما قيل أو أشيع أو وصل إلى سمعه فأورده مورد الخبر الصحيح.

ولو أن المكي اكتفى بذكر هذا الرقم المبالغ فيه من عدد الزوجات لكان أسلم له ولروايته الموضوعة ولكنه زادها مبالغة وافتضاحاً عندما ادعى «إن هذه النساء كلهن خرجن في خلف جنازته حافيات»[١].

وهذا (الجمع المريب) لا يمكن تقبله بأي شكل من الأشكال، اجتماعياً أو سياسياً أو نفسياً[٢].

فهذه المقولة إذن ظهرت إلى الوجود لأول مرة عند أبي طالب المكي (المتوفى سنة ٣٨٦هـ) والمعروف عنه أنه ضعيف الرواية، وليس بثبت ولا ثقة. والفترة بين وفاة الإمام الحسن عليه السلام (سنة ٥٠هـ) وظهور الرواية فترة تزيد على ثلاثة قرون[٣].

ولا يختلف المدائني عن المكي في شيء فهو من الضعفاء الذين لا يعول على

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص ٢٩-٤٢-٤٤.
(٢) للمزيد ينظر: البلداوي: ص ١٦٣ وما بعدها.
(٣) الهمداني، ص ٧١٥.

أحاديثهم. كما قال الذهبي: «وقد تركه إبراهيم الحربي، وذلك لميله إلى أحمد بن أبي داود، فقد كان محسناً إليه، وكذا امتنع مسلم من الرواية عنه في صحيحه لهذا المعنى، كما امتنع أبو زرعة وأبو حاتم من الرواية عن تلميذه محمد لأجل مسألة اللفظ». وقال ابن حجر العسقلاني: «ذكره ابن عدي في الكامل فقال: علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف المدائني مولى عبدالرحمن بن سمرة وليس بالقوي في الحديث وهو صاحب الأخبار. قل ما له من الروايات المسندة». وقيل عنه كذلك أنه كان يضع الأخبار لبني أمية[١].

وهناك تناقض كبير في أخبار المدائني عن عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام، روي عن ابن أبي الحديد المعتزلي عن المدائني قوله: «أحصيت زوجات الحسن عليه السلام فكن سبعين امرأة»[٢]. دون ذكر لأسمائهن وفي رواية أخرى نجدها في بعض المصادر أن المدائني قد ذكر أسماء بعض زوجاته عليهن السلام، لا يتجاوز عددهن اثنتي عشر زوجة فأين أسماء بقية الزوجات إن كن سبعين أو تسعين حسب روايات المدائني؟

وقد عُرف عن المدائني أنه ذو حفظ واسع وذاكرة كبيرة حتى عد من الحفاظ كما وصفه الذهبي، وعد له ابن النديم في فهرسه أكثر من مئتين وخمسين كتاباً في مختلف الموضوعات[٣]، وبناء على حافظة المدائني القوية وسعة باعه في علم معرفة الأنساب وأخبار العرب، والذي كان عجباً في معرفتها كما وصفه الذهبي، كان يجب عليه ذكر تفصيلات أكثر عن زوجات الإمام الحسن عليه السلام من أسماء وألقاب وأنساب هذه النسوة اللاتي جعلهن زوجات للإمام عليه السلام، والذي صرح بأن عددهن قد وصل إلى التسعين زوجة!!، فالمدائني لم يخبرنا بأسمائهن ومن أي بيوتات العرب هن؟ وما أسباب زواج

(١) الهمداني، ص ٧١٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٦/ ص ٢٢.

(٣) ذكر كتبه هذه مفصلة ابن النديم في الفهرست: ص ١١٦.

الإمام الحسن عليه السلام بهن؟ وما أسباب طلاقهن هكذا بالجملة؟ فإجماع الصحابة وسيرة العلماء ومنهج المحققين جارٍ على رفض كل رواية مجهولة الراوي، وعليه فالرواية التي رواها المدائني لاشك في شمولها بهذا الرفض[١].

وبعد كل هذا، ومع يقيننا أن الإمام الحسن عليه السلام لما يمتلكه من صفات ومؤهلات تجعله مطمعاً للآباء بتزويجه من بناتهن، وأن يرغب كل الناس في التقرب من آل بيت الرسول بصلة، وإن افترضنا أن الإمام الحسن عليه السلام قد تزوج بعدد من الزوجات أكثر من أخيه أو أبيه، فإنه لم يجاوز الأعراف المرعية في دينه وزمانه ولم يكن فعله بالصورة القاتمة والسلبية التي تظهره بها الروايات الأموية.

فالإمام السبط عليه السلام لم يترك وراءه من الذرية مع كل هذا الكم العددي من الزوجات إلا عدداً محدوداً جداً من الأولاد يمكن أن يمنحه الرجل من زوجة واحدة. حتى أنه لم يكن لديه من البنات حسب معظم الروايات ما يتجاوز عددهن أصابع اليد الواحدة.

وهذا مما يؤيد عدم صحة تلك الروايات، فقد ذكر أبا جعفر محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥) في كتابه (المحبَّر – ص ٥٧) ثلاثة أصهار للإمام، وهم: الإمام علي ابن الحسين عليه السلام وعنده أم عبدالله، وعبدالله بن الزبير وعنده أم الحسن، وعمرو بن المنذر وعنده أم سلمة، ولم يزد على ذلك[٢].

ولو كان الإمام الحسن عليه السلام كثير الأزواج لكان له من الأصهار ما يتناسب مع تلك الكثرة. ومضافاً لذلك فإن أبا جعفر من المعنيين بأمثال هذه البحوث، فقد ذكر في المحبّر كثيراً من نوادر الأزواج، ولو كان للإمام تلك الكثرة من الأزواج لألمح لها في محبّره[٣].

(١) البلداوي، ص ١٢١.
(٢) الهمداني، ص ٧٢٠.
(٣) المصدر نفسه.

هذا إذا ما علمنا أن العرب لم تكن تقف موقف السلب والاستهجان من كثرة الزيجات بل تتفاخر بها، قال عمر بن الخطاب: إني أتزوج المرأة وما لي فيها من أرب، وأطأها، وما لي فيها شهوة فقيل له: فلماذا تتزوجها؟ فقال: حتى يخرج مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وآله وقد تزوج المغيرة بن شعبة بألف امرأة[١].

ويذهب المؤرخون الثقات إلى أن هذه الأباطيل قد افتعلها المنصور الدوانيقي، وأخذها عنه المؤرخون كما ذكر صاحب المروج (٣ / ٢٢٦)، وصبح الأعشى (١ / ٢٣٣)، وجمهرة رسائل العرب (٣ / ٩٢)[٢]. ثم جاءت لجان التبشير كلامنس وغيره في دائرة معارفه من ترويج الأكاذيب على الإمام الحسن عليه السلام والمسلم والمقطوع به هو تزوجه عليه السلام بباكر واحدة وتسع زوجات ثيبات.

وخلاصة القول: إن هذه المسألة التي أخذت لها حيزاً كبيراً من القول والرد والتشهير والتبرير، تكاد تختصر وتجزم في موقفين موقف المحب والموالي والثابت على ولاية أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، وموقف المعادي والناصب لهم العداوة والبغضاء. وعلى كثرة ما تثيره من تساؤلات وتبريرات، فإن ذا العقل الرشيد يركن إلى حسن القول فيتبعه ولم أجد ما يتطابق مع ما ذهبت إليه وعثرت عليه من ضالة أفضل من قول العلامة محمد جواد فضل الله[٣].

«الذي ذكره المؤرخون من أسماء زوجات الإمام الحسن لا يتجاوز التسع، وهن اللاتي ذكرهن المدائني في روايته الأولى، ويبقى لنا في ذمة التاريخ إحدى وستون زوجة مجهولة الاسم والنسب إذا أخذنا بالاعتبار روايته الثالثة. من أنه أحصيت زوجات

(١) الشبلنجي، ص ٣٧٥. نقلاً عن ا الاستيعاب: ٤ / ٣٧٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الهمداني: ص ٧٢٠.

الإمام الحسن بن علي فكنّ سبعين امرأة. ومن البديهي أن الإمام الحسن ليس بذلك الإنسان المغمور شرفاً ونسباً عنواناً ومركزاً، حتى لا يعرف الناس من حياته إلا النزر القليل. وهل يتصور أن الإمام يتزوج في حياته سبعين امرأة دون أن يكون لهن أو لأكثرهن ذكر أو خبر في كتب التاريخ؟ لاسيما أن زواج الإمام من بيت أو قبيلة يُعد من المفاخر التي تتناقلها الألسن، وتشمخ بها النفوس، وأي صهر أشرف وأعظم من ابن بنت رسول الله، وسلالة علي؟ ولا نفهم أي مغزى من كتمان أسماء من لم يُعرف من زوجاته المزعومة مع توفر الدواعي لذكرها، لاسيما أن بني أمية كانوا يعدون غلبة أنفاسه، ويترصدون خطاه، فلو كان شيء من ذلك، لكان وسيلتهم الفريدة للعيب عليه، والتنقيص من مقامه.

والذي يؤكد كذب هذه الروايات المفتراة أن معاوية في مراسلاته للإمام قبل الصلح لم يعب عليه بشيء من ذلك، بل ولم يشر إليه من قريب أو بعيد، ولو كان شيء من ذلك لعابه به وشنّع عليه من خلاله[1].

كما لم يسمع من أحد ممن خاصم الإمام ونصب له العداوة، وتهجم عليه كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وأضرابهم، شيء من ذلك، مع أنهم كانوا من أشد الناس عليه، وأسبقهم للنيل منه، لما لاقوه من تنقصه لهم، ومصارحته لهم بمثالبهم ومخازيهم، وأي عيب يعاب به المرء أشنع من أن يكون عشير النساء، وصريع الشهوة؟!! وربما يكون هذا دليلاً قوياً على كذب تلك الروايات واختلاقها».

وبناءً على ما تقدم فإن لدينا ملاحظتين قد تخطئ وقد تصيب: الأولى.. إن امرأة يتزوج بها الإمام الحسن عليه السلام بن الزهراء البتول عليها السلام وسبط المصطفى صلى الله عليه وآله ولو لساعة

(١) صلح الإمام الحسن، أسبابه، نتائجه: ص ٣١٨.

زمنية، يكن لها الفخر مدى الزمان هي وقبيلتها ولن تخفيه أو يتجاهله الموثقون ما أرادوا...

إن السيدة الجليلة فضة خادمة مولاتنا الزهراء عليها السلام بقيت عمراً بعد وفاة مولاتها تحدث عنها، فهل تسكت زوجة للإمام أو حتى طليقة، عن التحدث عنه في حياته أو بعد مماته؟؟!

والثانية: إن مضاعفة عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام ومحاولة إعطاء صورة مبالغة لعدد زيجاته، تعطي انطباعاً إيجابياً عن الإمام الحسن عليه السلام كزوج ورفيق حياة وربما كانت نتيجة لتهافت نساء زمانه على الاقتران به، لو أمكنهن ذلك..، مما أظهر له في المقابل حسّاد وشامتين ومبغضين، لم يتجرعوا كل هذا الانجذاب والود الذي أظهرته النساء إزاء ابن النبي! وهذه من طبائع البشر على مرور العصور، انظر إلى حسد الرجال في كل زمان لنبي الله يوسف عليه السلام وما حباه الباري من جمال جعل النساء يقطعن أيديهن شغفاً به!؟

ومن الواضح أن أعداء آل محمد لم يجدوا ما يرمون به الإمام الحسن من مثلبة أو منقصة (حاشاه الله)، فتفتقت ذهنيتهم المريضة والمتآمرة على هذه الفرية، وهي أن (الحسن مزواج مطلاق)، بعد أن وجدوا أن هذه الكذبة يمكن أن تنطلي على سامعيها وناقليها إذا ما علمنا رغبة الناس في التقرب إليه، وكذلك العشائر والبيوتات الكريمة في الاقتران بابن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله والذي كان يقطع الطريق إذا ما جلس فيه حضوراً وهيبة.

لقد أُحصيت زوجات الإمام الحسن عليه السلام من مختلف الروايات، ومن سائر ما روي في الكتب وغيرها، فلم تتجاوز عن اثنتي عشرة زوجة، واحدة منها باكر والبقية بين أم

ولد وثيب. فالمسلّم المقطوع به: هو تزوجه عليه السلام باكر واحدة، وخمس زوجات ثيبات أو سبعاً، وتملّكه خمس أمها أولاد، وأما الزائدة عليها فلا سند لها في كتب الحديث والتاريخ والأنساب. والله أعلم بحقيقتها[1].

أما عدد ما أُحصي من زوجاته وذكرن بالأسماء والألقاب فهن:-

١. خولة بنت منظور الفزارية.

٢. أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي.

٣. أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري.

٤. جعدة بنت الأشعث.

٥. هند بنت سهيل بن عمرو.

٦. حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر.

٧. عائشة بنت عثمان الخثعمية.

٨. أم كلثوم بنت سبيع.

٩. أم كلثوم بنت الفضل بن العباس.

١٠. سلمى بنت امرئ القيس.

١١. مروارید بنت يزدجرد بن شهريار بنت برويز.

١٢. رملة أم القاسم بن الحسن عليه السلام - أم ولد.

(١) العلامة المصطفوي، الإمام المجتبى أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام. حياته. مقامه. خلافته. حلمه. جريان صلحه. كلماته. خطبه. رد الاعتراضات...، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، مطبعة اعتماد، ط١، طهران، ٢٠٠٣م، ص ٢٥٢.

١٣. ابنة عمرو بن أهتم المنقري.

١٤. امرأة من بنات علقمة بن زرارة[١].

١٥. أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي[٢].

١٦. أم عبدالله، وهي بنت الشليل بن عبدالله أخي جرير البجلي.

أما عدد أولاده ومنهن البنات، فحسب رأي ابن شهرآشوب أن أولاده ثلاثة عشر ذكراً وابنة واحدة، ثم يعود ليذكر أكثر من هذا العدد.

وذكر المفيد في إرشاده خمسة عشر ولداً ذكراً وأنثى، ثمانية ذكور وسبع إناث[٣].

والبنات هن: أم الحسن وأم الحسين وفاطمة وأم سلمة ورقية وأم عبدالله وفاطمة[٤].

فحسب قول ابن شهرآشوب فإن أم الحسن وأم الحسين أمهن أم بشير الخزاعية. وفاطمة أمها أم إسحاق بنت طلحة، وأم عبدالله وفاطمة وأم سلمة ورقية لأمهات أولاد شتى[٥].

وكذلك ذكر محمد بن طلحة الشافعي أنهم كانوا خمسة عشر وقال ابن عتبة: وولد أبو محمد الحسن في رواية شيخ الشرف العبيدلي – ستة عشر ولداً. منهم خمس إناث وأحد عشر ذكراً، وذكرهم.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٥٩. نقلًا عن المفيد، ج٢/ ص ٢٠، وطبقات ابن سعد: ج٦/ ص ٢٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٣/ ص ٣٦.

(٣) المفيد، الإرشاد: ص ١٩٤.

(٤) راضي آل ياسين: ص ٣٠.

(٥) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣/ ص ١٩٢.

وزاد الموضح في روايته بأنهن ست بنات.

وهناك روايات أُخَر تزيد إلى إثنين وعشرين ولداً كما في الحدائق الوردية.

وجاء في عمدة الطالب، أن للإمام الحسن عليه السلام ستة عشر ولداً منهم خمس بنات، هن: أم الحسين رملة وأم الحسن وفاطمة وأم سلمة وأم عبدالله. وقال أبو نصر البخاري: أولد الحسن بن علي ثلاثة عشر ذكراً وست بنات.

وذكر في إعلام الورى أن أولاده ستة عشر، وزاد فيهم أبا بكر وقال: قتل عبدالله مع الحسن عليه السلام[١].

وأما ابن الخشاب فقال: إن للإمام الحسن عليه السلام أحد عشر ابناً وبنتاً واحدة، وهم عبدالله، والقاسم، والحسن، وزيد، وعمر، وعبدالله، وعبدالرحمن، وأحمد، وإسماعيل، والحسين، وعقيل،والبنت اسمها فاطمة وكنيتها أم الحسن، وهي أم محمد الباقر بن علي[٢].

وذكر مصدر واحد ابنة أخرى بتسمية لم تذكرها المصادر الأُخَر، فقد ذكر الطبراني في أخبار الحسن بن علي عليه السلام قال: حدثنا العباس بن حمدان الأصفهاني حدثنا شعيب بن عبدالحميد الطحان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شيبان عن الحكم بن عبدالله بن خطاف عن أم أنيس بنت الحسن بن علي رضي الله عنهما عن أبيها قال: **قالوا: يا رسول الله، أرأيت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾**[٣].

---

(١) المجلسي، البحار: ج١٨، ص ٣٥٩. نقلًا عن إعلام الورى ج١/ ص ٤١٦.

(٢) الشبلنجي، ص ٤٧٩. نقلًا عن تاريخ مواليد الأئمة لابن الخشاب البغدادي: ٧٦، الحدائق الوردية: ١٠٧، تاريخ اليعقوب: ٢ / ٣٢٠، مروج الذهب: ٣/ ٧٧، تاريخ الطبري: ٥ / ٤٦١، ابن الأثير: ٢ / ٥٧٨، المعارف: ٢١٢.

(٣) الطبراني، أخبار الحسن بن علي، ص ١٥٠.

أما أم أنيس فلم يجد لها الباحثون ذكراً في نسب الإمام الحسن عليه السلام[١]، وأما ما أورده ابن الخشاب بأن الإمام عليه السلام لديه ابنة واحدة اسمها فاطمة، فنقول: إن المصادر الأُخَر قد أكدت وجود أكثر من بنت وبأسماء وكنى مختلفة وإن كان رأينا أن الأمر اختلط على ابن الخشاب، لأن أكثر من بنت للإمام الحسن عليه السلام قد حملت اسم فاطمة وإن كانت تكنى بأم الحسن أو أم الحسين.. وهكذا، وذلك لعظم محبتهم لوالدتهم مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، حتى أن الإمام الحسين عليه السلام وقد سار على نهج أخيه قد نقل عنه قوله: **والله لو كان لي ألف جارية – يقصد ابنة – لسميتها فاطمة.**

أما زوجاته المعرفات فأشهرهن: خولة بنت منظور بن زياد (زبان) الفزارية، وهي من سيدات النساء في وفور عقلها وكمالها. وهي أم الحسن بن الحسن عليه السلام[٢]. وروى محمد بن سيرين أن الإمام الحسن عليه السلام خطب إلى منظور بن زبان ابنته خولة فقال: والله إني لأنكحك وإني لأعلم أنك غلق طلق ملق، غير أنك أكرم العرب بيتاً، وأكرمهم نفساً فولد منها الحسن بن الحسن[٣]. وكذلك جاء ذكرها في الإرشاد للمفيد، الحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية[٤].

ويبدو أنها لم تلد غيره من الإمام الحسن عليه السلام، وقد اشتهر ابنها(بالحسن بن الحسن المثنى)، حسب رواية الشيخ المفيد، وإن كان رأي ابن شهرآشوب أن أضاف لها من الأولاد (الحسين الأثرم بن الحسن)[٥].

---

(١) هامش المحقق، في ص ١٥٠ من كتاب أخبار الطبراني.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٦٤.

(٣) ابن شهرآشوب، المناقب: ج٤/ ص ٤٣.

(٤) المفيد، الإرشاد، ص ١٩٤. باب في ذكر ولد الحسن عليه السلام.

(٥) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣/ ص ١٩٢. الحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة بنت الحسن أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي.

وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة أن الإمام الحسن عليه السلام، تزوج خولة بنت منظور بن زبان الفزارية، وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان، فولدت له الحسن بن الحسن.

وفي رواية أخرى أن محمد بن طلحة تزوج خولة بنت منظور، فولدت له إبراهيم ابن محمد، ثم قتل عنها يوم الجمل، فتزوجها الحسن بن علي، فولدت له الحسن بن الحسن[١].

وذكرت السيدة زينب بنت علي العاملية في ترجمة خولة ما حاصله: إنها لما بلغت مبالغ النساء خطبها جملة من وجهاء قريش وأشرافهم، فامتنع أبوها من إجابتهم، لأنهم ليسوا بأكفاء لها، ثم أنه طلق أمها (مليكة بنت خارجة) فتزوجها من بعده طلحة بن عبيد الله، وتزوج ابنه محمد خولة فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم، وقتل زوجها محمد في واقعة الجمل، فخطبها جماعة من الناس، فجعلت أمرها بيد الحسن فتزوجها[٢].

وتذكر الروايات التاريخية أنها كانت من خيرة نساء الحسن وأكثرهن ولعاً به وقد بقيت عنده إلى أن استشهد. وإن كان ابن عساكر يذهب إلى غير ذلك، بقوله: «كان الحسن بن علي قل ما يفارقه أربع ضرائر، وكان صاحب ضرائر، فكانت عنده ابنة منظور بن سيّار الفزاري وعنده امرأة من بني أسد من آل خزيم فطلقهما، وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف درهم وزقاق – جلد يُجز ولا يُنتف ويستعمل لحمل الماء – من عسل متعة، وقال لرسوله يسار بن سعيد بن يسار – مولاه –: **احفظ ما يقولان لك**.

فقالت الفزارية: بارك الله فيه وجزاه خيراً، وقالت الأسدية: متاع قليل من حبيب

ينظر: الحائري، ص ٥٩.

(١) مصطفوي: ص ٢٤٨.

(٢) الهمداني: ص ٧٢٣.

مفارق فرجّع الأسدية وترك الفزارية»[١].

وعن الحسن بن سعد عن أبيه قال: متع الحسن عليه السلام امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفاً، وزقين من عسل، فقالت إحداهما وأراها الحنفية متاع قليل من حبيب مفارق[٢]. وقد ذكر المجلسي الرواية ذاتها بصورة أخرى..، عن الحسن بن سعيد عن أبيه قال: كان تحت الحسن بن علي عليه السلام امرأتان تميمية وجعفية فطلقهما جميعاً وبعثني إليهما، وقال: **أخبرهما فليعتدا وأخبرني بما يقولان، ومتعهما العشرة الآلاف وكل واحدة منهما بكذا وكذا من العسل والسمن**، فأتيت الجعفية فقلت: اعتدي، فتنفست الصعداء ثم قالت: متاع قليل من حبيب مفارق، وأما التميمية فلم تدر ما (اعتدي) حتى قال لها النساء، فسكتت، فأخبرته عليه السلام بقول الجعفية فنكت في الأرض ثم قال: لو كنت مراجعاً لامرأة لراجعتها[٣].

ولكن الثابت من القول أن الإمام الحسن عليه السلام لم يوقع الطلاق إلا في طلق اثنتين، لداعٍ اقتضى ذلك، إحداهما: حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، التي كان يهواها المنذر، فوشى بها للإمام بشيء لم يذكره التاريخ، والظاهر أنه أمر لا يناسب مع الإمام أن يبقيها في عصمته، بل ويكفي من ذلك الوشاية نفسها، التي قد تصبح بعد ذلك وسيلة للتشهير.

والثانية: امرأة من شيبان من آل همام بن مرة وكان طلاقه لها بعد أن قيل له بأنها ترى رأي الخوارج، وقد اعتذر الإمام عن طلاقها بأنه يكره أن يضم إلى نحره جمرة من

---

(١) الزبيدي، ص ٢٥٥. نقلًا عن تاريخ دمشق: ص ١٥٢.

(٢) الشبلنجي، ص ٤٧٤.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٢٤٥.

جمر جهنم[١].

وقول (متاع قليل من حبيب مفارق) ذكر أن قائلته هي عائشة الخثعمية، وقد تزوجها الإمام الحسن عليه السلام في حياة والده، ولما قتل الإمام علي عليه السلام أقبلت إلى الإمام الحسن فأظهرت الشماتة بوفاة أبيه فقالت له: «لتهنئك الخلافة» ولما علم عليه السلام شماتتها قال لها (**ألقتلِ عليّ تظهرين الشماتة؟ إذهبي فأنت طالق**). فتلفعت بثيابها وقعدت حتى انقضت عدتها، فبعث لها بقية صداقها وعشرة آلاف درهم صدقة لتستعين بها على أمورها. فلما وصلت إليها، قالت: « متاع قليل من حبيب مفارق»، ولم يذكر التاريخ أن الإمام طلق زوجة سوى هذه، وأم كلثوم وامرأة من بني شيبان[٢].

أما أم كلثوم بنت الفضل بن العباس، فإنها كانت زوجة الحسن بن علي فولدت له محمداً وجعفراً، ثم فارقها، فتزوجها أبو موسى الأشعري فولدت له موسى ثم مات عنها.

وعوداً لسيرة السيدة خولة الفزارية زوجة الإمام الحسن عليه السلام نرجح أنها لم تفارقه وكانت عنده من الأثيرات، حيث قيل: إنه ليلة اقترانه بها بات معها على سطح الدار، فشدت خمارها برجله، وشدت الطرف الآخر بخلخالها، فلما استيقظ وجد ذلك، فسألها عنه، فقالت له معربة عن إخلاصها وحرصها على حياته: «خشيت أن تقوم من وسن النوم فتسقط، فأكون أسأم سخلة على العرب» فلما رأى منها ذلك أحبها وأقام عندها سبعة أيام[٣]. وقد بقت عنده حولا لم تتزين ولم تكتحل حتى رزقت منه السيد (الحسن) فتزينت فدخل عليها الإمام الحسن عليه السلام فرآها متزينة. فقال لها: «**ما هذا؟**» فقالت له:

(١) الهمداني: ص ٧٢١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٧٢٥.
(٣) المصدر نفسه: ص ٧٢٣.

«خفت أن أتزين وأتصنع فتقول النساء تجملت فلم تر عنده شيئاً! فأما وقد رزقت ولداً فلا أبالي»..، وقد جزعت على الإمام جزعاً شديداً، فقال لها أبوها مواسياً:

نبئت خولة أمس قد جزعت ... من أن تنوب نوائب الدهر
لا تجزعي يا خول واصطبري ... إن الكرام نبوا على الصبر

وفي الحدائق الوردية أن ابنها الحسن بن الحسن كان وصي أبية ووالي صدقته، وقال محمد بن طلحة الشافعي كان العقب للإمام الحسن من ولده الحسن المثنى وأخاه زيد، ولم يكن لغيرهما منهم عقب. وكان الحسن بن الحسن حضر مع عمه الحسين عليه السلام يوم الطف، فلما قتل الحسين عليه السلام وأسر الباقون من أهله جاءه أسماء بن خارجة فانتزعه من بين الأسارى، وقال: والله لا يوصل إلى ابن خولة أبداً[1]. فقال عمر بن سعد: دعوا لأبي حسان ابن أخته، ويقال إنه أسر وكان به جراح قد أشفي منها.

وروي أن الحسن بن الحسن عليه السلام خطب إلى عمه الحسين عليه السلام إحدى ابنتيه فقال له الحسين عليه السلام: **اختر يا بني أحبهما إليك** فاستحيى الحسن ولم يحر جواباً فقال له الحسين عليه السلام: **فإني قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبهاً بفاطمة أمي بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله.

وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة رحمه الله، ولما مات ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام على قبره فسطاطاً حولاً كاملاً...، ومضى الحسن المثنى ولم يدّعِ الإمامة ولا ادعاها له مدعٍ[2].

إن سيرة السيدة خولة زوج الإمام الحسن عليه السلام تظهر مدى الحب الذي كانت تكنه للإمام وفي المقابل يعطينا دليلاً على حسن خلقه ومحبته لأزواجه ورفقه بهن وطيب

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٦٢.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٦٢. نقلًا عن الإرشاد للمفيد: ج٢/ ص ٢٣.

معاشرته، والذي كان أحد أسباب الجذب والاستقطاب للبيوتات الأصيلة الراغبة في تزويجه، مما يعطي انطباعاً إيجابياً عن الإمام الحسن عليه السلام، كزوج ورفيق حياة جعل الكثيرات يتألمن لفراقه أو مفارقة الإمام لهن.

قال عبدالله بن الحسن بن الحسن:... وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه[١]. ومدعاة المفارقة هنا حسب ما جاء في الروايات أنه عليه السلام كان أرخى ستره على مائتي حرة[٢]. فتدل هذه الروايات على أن تزوجه كان بعنوان التأمين والحفظ والرحمة والضبط وإرخاء الستر عليهن ورفع حوائجهن والتربية والتأديب وسوقهن إلى الله وإلى رسوله ودينه، وبهذا النظر ترى ما ذكر من أن كل زوجة تفارقه إلا وهي تحبه.

وقد كان ابن الزبير يقول: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي[٣].

وجاء في طبقات ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا عبدالله بن جعفر، عن عبدالله بن حسن، قال:... وكان قلّ امرأة تزوجها إلا أحبته وصبت به[٤].

فأي من النساء ترضى إيقاع الطلاق بها، وتحب من يطلقها إن لم يكن في الأمر إصلاح أو مصلحة تصب في خانتها.

ويبقى الدليل الواضح، والبرهان الناصع على حسن معاشرة ابن الزهراء عليها السلام لزوجاته، أنه كان أشبه الخلق بالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله كما أسلفنا في مباحث الفصل الأول من هذا الكتاب.

---

(١) مصطفوي، ص ٢٥١. نقلًا عن تهذيب التهذيب: ج٢/ ص ٢٩٨.
(٢) المصدر نفسه. نقلًا عن البدء والتاريخ: ج٥/ ص ٧٤.
(٣) البداية والنهاية: ج٨/ ص ٣٧.
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ص ٨٢.

ولقد ذكرت لنا الروايات العديد من الحوادث الداعمة لهذا الاعتقاد..، جاء في تفسير الثعلبي وحلية أبي نعيم قال محمد بن سيرين: إن الحسن بن علي عليه السلام تزوج امرأة فبعث إليها مائة جارية مع كل جارية ألف درهم.

وقال أنس: حيّت جارية للحسن بن علي عليه السلام بطاقة ريحان فقال لها: **أنت حرة لوجه الله**، فقلت له في ذلك فقال: **أدبنا الله تعالى** فقال: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا**﴾[1] – الآية – **وكان أحسن منها إعتاقها**[2].

ولم تذكر لنا الروايات التاريخية أن الإمام الحسن عليه السلام قد أساء لزوجة حتى وإن كانت أسوأ النساء، بل إن الإمام يقابل سوء خلقها معه بالإحسان إليها في حياته وبعد مماته..، فيذكر أن زوجته أم إسحاق كانت من أجمل النساء بقريش وأسوأهن خلقاً[3]. وهي أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وولدت له ابناً سماه طلحة وبنتاً أسماها فاطمة، وأبا بكر (في رواية الشيخ الطبرسي فقط)، ولم يذكر لنا المؤرخون شيئاً عن سوء خلقها أو معاملتها لزوجها، ولكن ذكر لنا حسن صنيع الإمام الحسن عليه السلام معها، عندما حضرته الوفاة دعا بالحسين، فقال: **يا أخي، إني أرضى هذه المرأة لك، فلا تخرجن من بيوتكم، فإذا انقضت عدتها فتزوجها**، فلما توفي تزوجها الحسين.

وهنا لابد من ملاحظة..، إن كانت أم إسحاق حقاً سيئة الخلق فلِمَ أراد الإمام الحسن عليه السلام أن يحفظها ويضعها تحت جناح أخيه الحسين عليه السلام بعد وفاته؟ إلا رحمة منه ورأفة بها من أن يساء إليها إذا ما اقترنت بزوج لا يملك حلم الإمام الحسن عليه السلام، ولا يتحمل سوء خلقها عند معاشرتها!؟

---

(١) سورة النساء، آية ٨٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٢٤٥. باب مكارم أخلاقه وعلمه وعمله وفضله عليه السلام.

(٣) مصطفوي: ص ٢٤٨. نقلًا عن الأغاني: ج١٨/ ص ٢٠٣.

ولقد أظهرت لنا الروايات الواردة في طريقة عقد زيجات الإمام الحسن ومفارقته لبعضهن، أن الإمام عليه السلام كان يمسك بالمعروف أو يسرح بالإحسان، وعلى أي حال فأزواجه كنّ راضيات في الحالين، وهو كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، **﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾**،و **﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾**[١].

قال ابن أبي الحديد، قال أبو جعفر محمد بن حبيب: كان الحسن عليه السلام إذا أراد أن يطلق امرأة جلس إليها فقال: **أيسرك أن أهب لك كذا وكذا**، فتقول له: ما شئت أو نعم، فيقول: **هو لك**، فإذا قام أرسل إليها بالطلاق وبما سمى لها[٢].

وهكذا نجد أن الإمام الحسن عليه السلام كان سخياً شديد السخاء مع زوجاته في الإقبال والإدبار معاً، جاء في تفسير الثعلبي وحلية أبي نعيم قال محمد بن سيرين: إن الحسن بن علي تزوج امرأة فبعث إليها مائة جارية مع كل جارية ألف درهم[٣]..، وليس هذا بكثير على ابن الأنبياء وأحد رافدي الكوثر، حيث نسبت إليه هذه الأبيات:

إن السخاء على العباد فريضة ... لله يقرأ في كتاب محكم
وعد العباد الأسخياء جنانه ... وأعد للبخلاء نار جهنم
من كان لا تندى يداه بنائل ... للراغبين فلس ذاك بمسلم[٤]

(١) مصطفوي، ص ٢٥٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨،/ ص ٣٦٤. نقلًا عن شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٦، ص ١٢.

(٣) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ص ١٥٢. نقلًا عن تفسير الثعلبي: ٣ / ٢٧٨، حلة الأولياء: ٢ / ٣٨؛ المبسوط للطوسي: ٤ / ٢٧٢.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٥٤.

ولم ترفدنا المصادر التاريخية بكثير من أحوال الإمام السبط عليه السلام مع بناته واللواتي كن بين واحدة وثمان[١]، حسب مختلف الروايات، وهذا أمر متوقع من بيوت مباركة يتناثر من جدرانها زغب ريش جبرائيل عليه السلام، حيث تغلق مصاراعها بمفاتيح الرحمة والتعاطف والستر والعفاف والصون الشديد لحرائرها..، وهناك رواية يتيمة تناقلتها الكتب، وذُكِرت في البحار مفادها أن إحدى بنات الإمام الحسن عليه السلام قد ماتت، فكتب قوم من أصحابه كتاباً إليه يعزّونه عن ابنته المتوفاة، فانظر إلى جميل قول الإمام في رده عليهم يكاتبهم: «**أما بعد فقد بلغتي كتابكم تعزونني بفلانة فعند الله أحتسبها تسليماً لقضائه وصبراً على بلائه فإن أوجعتنا المصائب وفجعتنا النوائب بالأحبة المألوفة التي كانت بنا حفية والأخوان المحبين الذين كان يسر بهم الناظرون وتقر بهم العيون أضحوا قد اخترمتهم الأيام ونزل بهم الحمام فخلفوا الخلوف وأودت بهم الحتوف فهم صرعى في عساكر الموتى متجاورون في غير محلة التجاور ولا صلات بينهم ولا تزاور ولا يتلاقون عن قرب جوارهم أجسامهم نائية من أهلها خالية من أربابها قد أجشعها إخوانها فلم أر مثل دارها داراً ولا مثل قرارها قراراً في بيوت موحشة وطلول مضجعة قد صارت في تلك الديار الموحشة وخرجت من الديار المؤنسة ففارقتها من غير قلى فاستودعتها للبلى وكانت أمة مملوكة سلكت سبيلاً مسلوكة صار إليها الأولون وسيصير إليها الآخرون والسلام**»[٢].

وقد ذكرت بعض المصادر من تزوج من بنات الإمام الحسن عليه السلام، وهن: أم الحسن وأم عبدالله، وأم سلمة ورقية، أما زوج أم الحسن فكان عبدالله بن الزبير بن العوام،

---

(١) في الحدائق الوردية: البنات ثمان: فاطمة وأم عبدالله وزينب وأم الحسن وأم الحسين وأم سلمة ورقية وفاطمة الصغرى.. وكذلك قال الواقدي وهشام، وفي الصفوة: كان للحسن ثماني بنات.

(٢) الحائري، ص ٥٩. نقلًا عن البحار: ج٤٣/ ص ٣٣٦.

وبعد مقتل عبدالله أخذها أخوها زيد معه إلى المدينة[١].

وتزوجت رقية من عمر بن الزبير بن العوام، وأما أم سلمة فتزوجت من عمر بن زين العابدين عليه السلام على قول بعض النسابة.

ولقد امتازت أم عبدالله بين بنات الإمام الحسن عليه السلام بالجلالة وعظمة الشأن، وكانت زوج الإمام زين العابدين عليه السلام ورزق منها بأربعة أبناء هم: الإمام محمد الباقر عليه السلام والحسن والحسين وعبدالله الباهر، فهي بنت إمام وزوج إمام وأم إمام.

وهكذا كانت إحدى بنات الإمام الحسن عليه السلام سبباً في حفظ نسل النبوة وسلالة الأوصياء، وكانت نِعْمَ الخلف لخير سلف، أينعت في طرفها أفرع شجرة النبوة الوارفة وحافظت على سيرتها العطرة.

إن زوجات الإمام الحسن عليه السلام وبناته، كن خير رفيق حياة له، وتواصل أثرهن الطيب في حياته المباركة، مكملاً لأثر الأم فاطمة عليها السلام والأخت زينب عليها السلام في أيامه القصيرة التي عاشها بين الأنام، ولم تعكر صفو هذه الصورة النقية المتألقة من حسن المعايشة والمعشر، إلا امرأة واحدة، هي الزوجة القاتلة جعدة بنت الآشعث، فكانت أشقى الزوجات في سيرة الإمام عليه السلام وعلى مدى التاريخ. وهذا ما سنتناوله في المبحث التالي.

---

(١) الزبيدي، ص ٢٧٩.

المبحث الثاني

جعدة بنت الأشعث... أشقى الزوجات

لقد منحت الإمام الحسن عليه السلام الحياة، امرأة..

ولقد سقته حمام الموت وسمه الزعاف، امرأة أيضاً...

وشتان ما بين الموقفين، وما بين المرأتين...

أقبل السبط الشهيد عليه السلام على الدنيا طفلاً تفتحت أزاهير محبته في أحضان أطهر أم في الوجود، زهراء النبوة وبضعة المصطفى، فاطمة.

وغادر الدنيا مقطع الكبد من سقيا السم على يد أشقى النساء، الزوجة القاتلة بنت الأشعث المنافق، عرف النار.

قدمنا في بحثنا السالف، أن الروايات التاريخية لم تذكر أن الإمام الحسن عليه السلام قد أساء لزوجة من أزواجه، أو أن إحداهن قد أساءت له، سواء كن بالعدد المحصي بالاسم والكنية واللقب المعرّف الصريح النسب، أو كن بالعدد المبهم المبالغ فيه والغامض الذي ذكر، بل على العكس من ذلك، فلقد شغفت به حباً وتقرباً كل نسائه، إن لم يكن جميع من عاصره. كيف لا؟ وهو الحسن ريحانة محمد وباكورة النبع الكوثري وسيد شباب أهل الجنة. وأشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله[1]. والذي قال فيه ابن الزبير: والله ما قامت

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٤٣.

النساء عن مثل الحسن بن علي[١].

وقال محمد بن إسحق: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ما بلغ الحسن ابن علي. كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمر أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمر الناس.

ونزل عن راحلته في طريق مكة فمشى، فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى حتى سعد بن أبي وقاص، فقد نزل ومشى إلى جنبه[٢].

وكان إذا حج وطاف بالبيت، يكاد الناس يحطمونه مما يزدحمون للسلام عليه عليه السلام[٣].

أما إذا تكلم الإمام الحسن عليه السلام، ويجتمع حوله الناس، فيتكلم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين[٤].

ولا يكاد يكتفي أحد من رحيق حديثه ومنطقه، قال ابن سعد في طبقاته الكبرى، أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي، عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق، قال: ما تكلم عندي أحد كان أحب إلي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه بين حسين بن علي وعمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض فعرض حسين أمراً لم يرضه عمرو، فقال الحسن: **فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه**. قال: فهذا أشد كلمة فحش سمعتها منه قط[٥].

إن رجلاً كان يحيى بطاقة ريحان فيعتق رقبة لوجه الله، ويدخل الماء فلا ينزع عنه

(١) راضي آل ياسين، ص ٣٢. نقلًا عن ابن كثير: ج٨/ ص ٣٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٦.
(٤) ابن الصباغ، الفصول المهمة: ص ١٥٩.
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ص ٥٩.

ثوباً حياءً هل يجازى من زوجه سقياً بالسم مراراً؟!

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: دخل الحسن بن علي الفرات في بردة كانت عليه قال: فقلت له: لو نزعت ثوبك، فقال لي: **يا ابا عبدالرحمن إن للماء سكاناً**[١].

لقد كان الإمام الحسن عليه السلام شبيه النبي يوسف عليه السلام تدخل عليه المرأة الجميلة وهو في صلاته، فتقول له: قم فأصب مني... فيقول لها: **إليك عني لا تحرقيني بالنار ونفسك**[٢].

نقول إن رجلاً هذه طبائعه وخصاله لِمَ تقدم زوجته على قتله؟

إن أي زوجة من أزواج الإمام الحسن عليه السلام ما كانت لتقدم على ما أقدمت عليه بنت الأشعث لعنها الله، لقد تقلدت هذه الزوجة القاتلة بنت القتلة عار جريمتها مدى الدهر وكانت أشقى الزوجات. فقد اقترفت جريمتها وتحملت وزرها في الحياة الدنيا والآخرة، بعد أن شرك أخوها بدم الحسين وأبوها بدم أمير المؤمنين.

فمن هي هذه الزوجة الشقية؟ وكيف تزوج بها الإمام عليه السلام؟ ولم ارتكبت جريمتها مع سبق الإصرار والترصد؟

اختلف المؤرخون في اسمها، فقيل: سكينة، وقيل: شعثاء، وقيل: عائشة، والأصح أنها جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، وكما جاء في الاستيعاب (ج١، ص ١٣٣) الأشعث هو ابن قيس بن معد يكرب الكندي، قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله سنة عشر في وفد كندة وكان رئيسهم، وكان في الجاهلية رئيسٌ مطاعٌ في كندة، وكان في الإسلام وجهٌ في قومه، ارتد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رجع في خلافة أبي بكر، وزوج أبو بكر أخته أم فروة منه، وهي أم محمد بن الأشعث. مات سنة اثنتين وأربعين، وصلى عليه الحسن بن

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص ١٩. في مكارم أخلاقه عليه السلام.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٨.

علي عليه السلام. ونزل الأشعث بن قيس الكوفة وابتنى داراً في كندة ومات بها، والحسن بن علي بن أبي طالب يومئذ بالكوفة حين صالح معاوية وهو صلّى عليه[١].

ولما مات الأشعث وكانت ابنته تحت الحسن بن علي، قال الحسن: **إذا غسلتموه فلا تهيجوه حتى تؤذنوني، فآذنوه فجاء فوضأه بالحنوط وضوءاً**[٢].

وكان الأشعث قد احتال في تزويج ابنته من الإمام الحسن عليه السلام، فقد خطب الإمام علي عليه السلام ابنة أم عمران بنت سعيد لابنه الحسن، فاجتمع والدها بالأشعث فأخبره الخبر، فقال له: غررت بنفسك غداً يفخر على ابنتك ويقول لها: أنا ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها! فقال: ومن ذاك؟ قال: محمد بن الأشعث. قال: قد زوجته.

وبعد أن مكر الأشعث بصاحبه، توجه إلى أمير المؤمنين ودخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين! خطبت بنت سعيد للحسن؟ قال: **نعم**، فقال: هل لك في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتم جمالاً وأكثر مالاً؟ قال: **ومَن هي**؟ قال: جعدة بنت الأشعث. فقال: **إنا قد قاولنا رجلاً فليس إلى رد ما قاولنا به من سبيل**. فقال له: إنه قد زوجها من محمد بن الأشعث. قال: **متى**؟ قال: الساعة بالباب، فتزوج الحسن جعدة. فلما لقي سعيد الأشعث قال له: يا أعور! خدعتني. قال: أنت يا أعور جئت تستشير في ابن رسول الله ألست أحمق.

ثم جاء الأشعث إلى الحسن: فقال له: يا أبا محمد ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك، قال له: لا تمشي والله إلا على أردية قومي، فقامت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ج٦/ ص ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣.

بسطاً من بابه إلى باب الأشعث[١].

وقد اتفق أكثر المؤرخين على أن هذا الزواج قد كان من احتيال الأشعث بن قيس – لعنه الله – كما ذكره ابن الجوزي في الأذكياء: «ومن المنقول عن الأشعث بن قيس، عن الهيثم بن عدي قال: أخبرنا ابن عباس قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الحسن ابنة أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني، فقال: فوقي أمير ذو إمرة، يعني أمها، فقال: قم فوامرها. فأخبره الخبر، فقال: ما تريد إلى الحسن يفخر عليها، ولا ينصفها، ويسيء إليها، فيقول: ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين؟!...»[٢]. وأورد بقية الخبر كما في الرواية السابقة.

من نص الروايات المتطابقة نجد أن هذا الزواج قد تم بالمكر والاحتيال من قبل والد الزوجة الأشعث بن قيس، وأنه أخذ في تعداد مزايا ابنته للترغيب في تزويجها من الإمام الحسن عليه السلام بقوله للإمام علي عليه السلام: هل لك في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتم منها جمالاً وأكثر مالاً..، وكأن الإمامين يحفلان بهذه المزايا أو أنهما جاهلان بها (حاشا الله)..، ويبدو أن الإمام الحسن عليه السلام لم يسارع للاقتران ببنت الأشعث حال الاتفاق على ذلك، حتى أن الأشعث قد ألح على الإمام عليه السلام بالقول: يا أبا محمد! ألا تزور أهلك؟!!

وقد بلغ من الأشعث شدة ابتهاجه بزواج ابنته من الإمام الحسن ونجاح خطته أنه فرش الأرض تحت قدمي الإمام من بابه إلى باب العروس..، وبأي شيء فرشها بأردية قومه!!

---

(١) مصطفوي، ص ٢٤٦. نقلًا عن تهذيب ابن عساكر: ج٣/ ص ٧٣.

(٢) الهمداني، ص ٧٢٤.

وهذا الفعل ليس بكثير على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنه أظهر مدى نفاق الأشعث وتزلفه وهو طبعه الذي عرف به طوال حياته من نفاق وغدر وحيلة ومكر، حتى أطلق عليه أبناء قومه لقب عرف النار. حيث كان الأكثر شؤماً وأذىً عليهم. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: **إن الأشعث بن قيس لعنه الله شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمت الحسن عليه السلام وابنه محمداً شرك في دم الحسين عليه السلام**[1].

وإن كان البيت الذي خرجت منه هذه المرأة القاتلة هذه أحواله وأفعاله، فلا عجب أن أقدمت على سم سيد الشهداء عليه السلام مراراً لتتخلص منه طمعاً في مال وفير وزوج جديد!؟

ويبدو أن لفعلها الإجرامي هذا أسباب أُخَر ذهب إليها الباحثون، فقيل أن جعدة التي تزوجها الإمام الحسن عليه السلام في عهد أبيه أمير المؤمنين، أنها كانت الزوجة الأولى للإمام عليه السلام، وأنها كانت عنده إلى أن توفي، ولم يُذكر لها ولد، ويحتمل أن يكون هذا هو الباعث لتزوج الإمام الحسن عليه السلام نساءً أُخَر، كما أن هذا المعنى (بأنها لم تلد وتزوج الإمام بعدها) هو الموجب لحدوث البغضاء وانتفاء المحبة والوفاء منها[2].

ويذهب الباحث في رأيه متبنياً أن زوجة الإمام الوحيدة التي تزوجها باكر بعقد نكاح دائمي رسمي هي: جعدة، وأما غيرها فهي إما أم ولد أو ثيب، وإنما تزوجها إما للإجابة، أو للتأمين، أو لإظهار المحبة والعطف، أو للولد، أو لأغراض إلهية أُخَر[3].

والحقيقة أن زواج الإمام الحسن عليه السلام بزوجات أخريات وإنجابه منهن، وعدم إنجاب زوجته جعدة ليس بسبب أو مبرر لفعلتها الشنعاء تلك، بل أن كونها الزوجة

(١) المجلسي، البحار: ج٤٢/ ص ٢٢٨.
(٢) مصطفوي: ص ٢٤٩.
(٣) المصدر نفسه.

الأولى والباكر الوحيدة بين زوجاته والزوجة الرسمية التي عاشرها منذ بدء حياته وحتى نهاية حياته، وعدم تطليقه لها أو مفارقتها، وهو (كثير الزيجات حسب ادعائهم) ما يجعلها تحفظ له هذا الجميل وتزداد وداً وتعلقاً به لا أن تعمد إلى قتله بالسم مع سبق الإصرار والترصد.

والقول عندنا، إن الزوجة جعدة كانت امرأة سوء ابتلي بها الإمام عليه السلام، وهذا ما سيتضح من أقواله فيها عند احتضاره عليه السلام. والثابت أن أشقى الزوجات جعدة بنت الأشعث – لعنها الله – قد أظهرت عمق عداوتها وأهل بيتها ونفاقهم وبغضهم لآل بيت الرسول وبيت الإمامة، وفعلت فعلتها عامدة ليفضح الباري زيف إسلامهم ودينهم وليدلل الله عز وجل أن قرب المرء من الأنبياء وأبناء الأنبياء أو الاقتران بهم ليس بحاجز عن ارتكاب الموبقات والكبائر، وما تاريخ الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه ببعيد عن أذهان المتفكرين للعثور على هكذا نماذج بشرية غادرت إنسانيتها وركنت إلى فعل الشياطين.

ويبقى الثابت في الروايات أن جعدة بنت الأشعث هي التي سمّت الإمام الحسن عليه السلام وقضت على حياته الشريفة[1]. وليس كما يحاول البعض إبعاد التهمة عنها وعن معاوية اللعين الذي أغواها.

عن أبي بكر الحضرمي، قال: إن جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سمّت الحسن بن علي عليه السلام وسمّت مولاة له، فأما مولاته فقاءت السم وأما الحسن فاستمسك في بطنه ثم انتفط به فمات[2].

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨/ ص ٣٤٧.

(٢) الكافي: ج١/ ص ٤٦٢، باب مولد الحسن بن علي عليه السلام حديث ٣.

وعن يحى بن حماد قال: أخبرنا أبو عوانة عن المغيرة، عن أم موسى، أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه شكاة. قال: فكان يوضع تحته طست وترفع أخرى نحواً من أربعين يوماً[١].

وقال الحافظ الجنابذي:... وكان قد سُقِيَ السم مراراً وكان مرضه أربعين يوماً[٢].

وفي روضة الواعظين في حديث عمير بن إسحاق أن الحسن قال: **لقد سقيت السم مراراً ما سقيته مثل هذه المرة، لقد تقطعت قطعة قطعة من كبدي أقلبها بعود معي.** وفي كتاب بحار الأنوار أنه قال عليه السلام: **سقيت السم مرتين وهذه الثالثة** وقيل إنه سقي برادة الذهب[٣]. وقال ابن أبي الحديد: روى أبو الحسن المدائني، قال: سقي الحسن عليه السلام السم أربع مرات، فقال: **لقد سقيته مراراً فما شق علي مثل مشقة هذه المرة**[٤].

وعن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، في حديث طويل قال: وهو يكلمني (يقصد الإمام الحسن عليه السلام) إذا تنخع الدم فدعا بطست فحمل من بين يديه ملآن مما خرج من جوفه من الدم، فقلت له: ما هذا يا بن رسول الله إني لأراك وجعاً قال: **أجل دسّ إلي هذا الطاغية من سقاني سماً فقد وقع عليّ كبدي، فهو يخرج قطعاً كما ترى،** قلت: أفلا تتداوى؟ قال: **قد سقاني مرتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء**[٥].ولقد رقي إلي أنه كتب (قصد معاوية) إلى ملك الروم يسأله أن وجه إليه من السم القاتل شربة، فكتب إليه ملك الروم: أنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا، فكتب إليه: إن هذا

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٨٤.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٥٨. نقلًا عن كشف الغمة: ج١/ ص ٥٨٤ باب ١١ في عمره عليه السلام.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٦. نقلًا عن المناقب.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح النهج: ج١٦/ ص ١٠.

(٥) المجلسي، البحار: ج١٨/ ص ٣٤٩.

ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة قد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا أريد أن أدس إليه من يسقيه ذلك، فأريح العباد والبلاد منه، ووجه إليه بهدايا وألطاف، فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس بها فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً[١].

وروي أن معاوية دفع السم إلى امرأة الحسن بن علي عليه السلام جعدة بنت الأشعث وقال لها: اسقيه، فإذا مات هو زوجتك ابني يزيد، فلما سقته السم ومات صلوات الله عليه، جاءت الملعونة إلى معاوية الملعون فقالت: زوجني يزيد، فقال: اذهبي فإن امرأة لا تصلح للحسن بن علي عليه السلام لا تصلح لابني يزيد[٢].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليه السلام **قال: دخل الحسين على عمي الحسن لما سقي السم، فقام لحاجة الإنسان ثم رجع فقال: سقيت السم عدة مرات، وما سقيت مثل هذه، لقد لفظت طائفة من كبدي ورأيتني أقلبه بعود في يدي، فقال له الحسين عليه السلام: يا أخي ومن سقاك؟ قال: وما تريد بذلك؟ فإن كان الذي أظنه فالله حسيبه، وإن كان غيره فما أحب أن يؤخذ بي بريء، فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثاً حتى توفي رضي الله عنه**[٣].

وذكر أن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم، وقد كان معاوية دس إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم، وزوجتك من يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمه، فلما مات وفى لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه. وذكر أن الحسن قال عند موته: **لقد**

---

(١) المجلسي، البحار ، نقلًا عن الاحتجاج: ج٢/ ص ٧١، رقم ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه. نقلًا عن الاحتجاج: ج٢/ ص ٧٣ رقم ١٦٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج١/ ص٤٢٧، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

حاقت شربته، وبلغ أمنيته، والله لا وفى لها بما وعد ولا صدق فيما قال[١].

هذا وقد روي كذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام أن الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: **إني أموت بالسم كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: ومن يفعل ذلك، قال امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإن معاوية يدس إليها ويأمرها بذلك، قالوا: أخرجها من منزلك، وباعدها عن نفسك، قال: كيف أخرجها ولم تفعل شيئاً ولو أخرجتها ما قتلني غيرها، وكان لها عذر عند الناس.**

فما ذهبت الأيام حتى بعث إليها معاوية مالاً جسيماً، وجعل يمنيها بأن يعطيها مائة ألف درهم أيضاً ويزوجها من يزيد وحمل إليها شربة سم لتسقيها الحسن عليه السلام فانصرف إلى منزله وهو صائم فأخرجت له وقت الإفطار، وكان يوماً حاراً شربة لبن وقد ألقت فيها ذلك السم فشربها وقال: **عدوة الله! قتلتيني قتلك الله والله لا تصيبن مني خلفاً، ولقد غرك وسخر منك، والله يخزيك ويخزيه**، فمكث عليه السلام يومين ثم مضى، فغدر بها معاوية ولم يفِ لها بما عاهد عليه[٢].

ولقد أجمعت المصادر التاريخية على أن زوجة الإمام الحسن عليه السلام جعدة بنت الأشعث (لعنها الله)، هي قاتلته، فها هو قول ابن تيمية شيخ السلفية: «إن بني أمية ليسوا بأعظم جرماً من بني إسرائيل، فمعاوية حين أمر بسم الحسن فهو من باب قتال بعضهم بعضاً». ويظهر من كلام ابن تيمية اعترافه بقيام معاوية بقتل الحسن بن علي عليه السلام، وقد ذكر هذه الحادثة الأليمة الكثير من الأعلام من أهل السنة مثل ابن سعد

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج١/ ص٤٢٧، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م..

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٥٣. نقلًا عن الخرائج والجرائح: ج١/ ص ٢٤١ في معجزات الإمام الحسن بن علي عليه السلام رقم ٧.

والواقدي وابن عبدالبر والشعبي وابن عساكر والزمخشري وابن الجوزي الذي قال في تاريخه المنتظم: والصحيح أن الذي سمه هي جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت تحت الحسن فدس إليها معاوية أن سمي الحسن وأزوجك يزيد[١]. وكذلك ذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ أن الحسن بن علي توفي بعد أن سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي[٢].

وجاء في بعض المصادر أن معاوية سمه سبعين مرة، فلم يعمل فيه السم، فأرسل إلى امرأته جعدة بنت محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وبذل لها عشرين ألف دينار وإقطاع عشر ضياع من شعب سواد وسواد الكوفة، وضمن لها أن يزوجها يزيد ابنه، فسقت الحسن السم في برادة من الذهب في السويق المقند فلما استحكم فيه السم قاء كبده[٣].

وعن أم بكر بنت المسور قالت: كان الحسن بن علي سقي مراراً، كل ذلك يفلت منه حتى كان المرة الآخرة التي مات فيها. فإنه كان يختلف كبده. فلما استشهد أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً[٤].

وما كان تصرف معاوية هذا بغريب عن أفعاله، فإنه كان يقول في بعض خطبه: «إن لله جنوداً من عسل» ولقد صدق، فإنه قبل أن يقتل الحسن بن علي بالعسل قد قتل به مالك الأشتر وسعد بن أبي وقاص. فلما استشهد الإمام الحسن عليه السلام ورد البريد على

(١) الهمداني، ص ٦٣٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣/ ص٢٢٨، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٢٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٣٥.

(٤) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن: ص ٢٠٩.

معاوية فقال: يا عجباً من الحسن! شرب شربة من عسل بماء رومة فقضى نحبه.

ولكن الغريب محاولة البعض تبرئة الزوجة القاتلة جعدة بنت الأشعث من جريمتها الشنعاء، بأقوال غريبة من باب أنه قد مات بالسل أو بالعصا المسمومة، أو سمه في الطواف أو مات حتف أنفه[١].

ومما يظهر من الروايات أن الإمام الحسن عليه السلام قد سقته زوجته الشقية جعدة السم مراراً مما يدل على نهاية مظلوميته، فما أحب أن يقتل به بريء، مع تيقنه من قاتلته، وهذا هو الفارق بين الحاكم الإلهي والحاكم الدنيوي، فعند الحاكم الإلهي، القصاص لا يجوز قبل الجناية، ثم يعفو عن كثير إن كان فيه صلاح ديني، فهو ناظر دائماً إلى المصلحة الدينية، ولا يراعي إلا رضا الخالق[٢].

وهكذا كان تصرف الإمام مع المرأة التي سقته السم وحرمته الحياة، لقد تركها مجللة بعارها الدنيوي وتنوء بذنبها في الآخرة..، وهنا تختلف الرواية في قراءة خاتمة الزوجة الشقية، ففي قول أن معاوية قد أمر بقتلها.

قال أبو مخنف: بعد أن قبض الحسن عليه السلام رحلت جعدة إلى أبيها الأشعث بالشام[٣]، وسألت معاوية بأن يزوجها بابنه يزيد فسألها معاوية عن صفات الحسن عليه السلام وإذا هي عكس صفات يزيد، فقال لها إذا كنت قتلت الحسن عليه السلام وهو جامع لهذه الصفات الحسنة فكيف لا تقتلين يزيد وهو بعكس صفات الحسن عليه السلام ثم أنه أمر بقتلها في الحال فقتلت

---

(١) للمزيد ينظر: باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن: ج٢، ص / ٤٧١ وما بعدها.

(٢) مصطفوي: ص ٢٢٩.

(٣) وهذه الرواية لا تتسق مع ما روي من أن الأشعث مات في حياة الإمام الحسن عليه السلام وقد قام بدفنه والصلاة عليه!

وخلد الله بروحها في النار[١].

ولكن معظم الروايات الأُخَر تؤكد أنها قد بقيت على قيد الحياة وتزوجت ثانية، ولكنها خلدت بعار قتلها لسيد شباب أهل الجنة وأصبح اسم (مسمة الأزواج) لصيق بها وبذريتها.

جاء في المناقب، أن نبوءة الإمام الحسن عليه السلام قد صدقت فلم يفِ بوعده معاوية إليها، ولم يزوجها من يزيد، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها، وكان إذا جرى كلام عيروهم وقالوا يا بني مُسِمّة الأزواج[٢].

وهذا ما ذهب إليه المفيد في إرشاده، بالقول: (ولم يزوجها من يزيد فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها وكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا يا بني مسمة الأزواج[٣]. وهذا ما نقله عنه المجلسي بالنص في البحار[٤].

ومن هذه الخاتمة التي انتهت إليها هذه المرأة القاتلة، نجد أن الإمام الحسن عليه السلام لم يقتص منها في حياته وحتى بعد مماته، فقد رفض أن يطلق يد أخيه ووارثه الإمام الحسين عليه السلام في القصاص منها جزاء جريمتها النكراء، تاركاً إياها لمصير أسوأ وسمعة سوداء تلاحقها ونسلها في الحياة الدنيا، فكان أن تزوجت لتلد من يحمل عارها وشنارها بين القبائل[٥].

(١) الحائري، ص ٤٧.

(٢) ابن شهرآشوب، المناقب: ج٤/ ص ٤٨ في وفاته وزيارته عليه السلام.

(٣) المفيد، الإرشاد: ص ١٩٢. في سبب وفاة الحسن عليه السلام.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٥٥. باب جمل تواريخه وأحواله عليه السلام.

(٥) ابن سعد، الطبقات – ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ٨٤. عن قتادة، قال: قال الحسن للحسين: **إني قد سقيت السم غير مرة وإني لم أُسق مثل هذه، إني لأضع كبدي، قال: فقال: من فعل ذلك بك؟ قال: لِمَ؟ لتقتله؟ ما كنت لأخبرك.** رواه ابن عساكر في تاريخه برقم ٣٣٧ بإسناده عن ابن سعد.

وهذا التصرف السامي من الإمام الحسن عليه السلام يثبت حقيقة أن الإمام السبط لو كان يدفعه للزواج شهوته للنساء (معاذ الله) لكان فارق زوجته جعدة وطلقها بالسهولة التي رمي بها الإمام كذباً، أنه كان مطلاقاً كثير التزويج، ولما احتفظ بها وهي العاقر العقيم المتربصة به شراً، طوال زواجه منها لتنهي حياته على يدها غدراً، بعد أن تربصت به مراراً وتكراراً.

والتفاتة أخرى، إن بقاء الزوجة الشقية جعدة واقترانها بغير الإمام زوجاً ثم ولادتها للذرية، تعني أمراً إلهياً مغيباً في أن لا يكون للإمام الحسن عليه السلام ذرية من هذه المرأة الغادرة على الرغم من طول فترة زواجها من الإمام ومعاشرته لها. فهذه من الألطاف الإلهية في أن يبارك الباري عز وجل في نسل الذرية الصالحة ويجعلها حصراً على نقيات السرائر.. طاهرات الذيول.

لقد شاء القدر أن تعجل مؤامرة اللعين معاوية واللعينة جعدة، بوضع نهاية لحياة الإمام عليه السلام، هذه الحياة الغارقة في رحيق النبوة، والمجسدة للصفات الحميدة التي تربى عليها الإمام على يدي أسياد الخلق منذ الخليقة حتى يوم المعاد..، محمد وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين..، حتى أننا نجد الزوجة القاتلة لا تجد مناصاً في إنكارها عندما أخذت تعدد لمعاوية الصفات الحسنة للإمام الحسن عليه السلام، فلم يجد معاوية مهرباً من الاعتراف بأن هذه الصفات هي عكس صفات يزيد، وإن كانت صفات الحسن عليه السلام لم تردع جعدة من قتله، فكيف سيكون حالها مع أسوأ الرجال صفاتاً يزيد بن معاوية؟!

وإذا ما انتهى بحثنا إلى إجماع المصادر على أن قاتلة الإمام هي جعدة بنت الأشعث، فإن هذه المصادر قد اختلفت وتباينت في ذكر تاريخ وفاة الإمام الحسن عليه السلام ومقدار عمره الشريف عند وفاته.

ففي الكامل لابن الأثير، ذكر أن سنة وفاته كانت سنة تسع وأربعين للهجرة[١]. في حين يذهب المفيد إلى أن الحسن عليه السلام مضى لسبيله في شهر صفر سنة خمسين من الهجرة وله يومئذ ثمانٍ وأربعون سنة[٢].

لقد توفي الإمام الحسن عليه السلام بالمدينة المنورة مسموماً في شهر ربيع الأول سنة ٤٩، وله ست وأربعون سنة، ودفن ببقيع الغرقد مع أُمه فاطمة[٣]، وهناك إلى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها: الحمد لله مبير الأمم ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين، والحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، رضوان الله عليهم أجمعين[٤].

ونحن نعلم أن المشهور من القول، هو إخفاء قبر مولاتنا الطاهرة فاطمة عليها السلام من قبل الإمام علي عليه السلام وعدم معرفة أحد بمحله. وأن الإمام الحسن عليه السلام قد دفن عند قبر جدته فاطمة بنت اسد وليست أمه فاطمة حسب الرواية التي ذكرها المجلسي، روى عبدالله بن إبراهيم عن زياد المخارقي قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين عليه السلام وقال: **يا أخي إني مفارقك، ولاحق بربي وقد سقيت السم ورميت بكبدي في الطست وإني لعارف بمن سقاني السم ومن إين دُهيت، وأنا أُخاصمه إلى الله عز وجل: فبحقي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء، وانتظر ما يُحدث الله عز وجل فيّ. فإذا قضيت نحبي فغمضني وغسلني وكفني وأدخلني على سريري إلى قبر جدي رسول**

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣/ ص ٢٢٨.

(٢) المفيد، الإرشاد: ص ١٩٢.

(٣) (وكانت وفاة الحسن – وهو يومئذ ابن خمس وخمسين – بالسم، ودفن بالبقيع مع أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله والله ولي التوفيق) المسعودي، مروج الذهب، ص ٤٢٦. وهكذا رواه ابن عساكر في تاريخه برقم ٣٤٩ عن ابن سعد وأورده ابن كثير في تاريخه: ٨ / ٤٤ عن الواقدي.

(٤) مصطفوي، ص ٢٣٧. نقلًا عن التنبيه والإشراف: ص ٢٦٠.

الله صلى الله عليه وآله لأُجدد به عهداً ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة (بنت أسد) رضي الله عنها فادفني هناك وستعلم يا بن أم إن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلبون في ذلك، ويمنعونكم منه، بالله أُقسم عليك أن تهرق في أمري محجة دم، ثم وصى إليه بأهله وولده وتركاته، وما كان وصى إليه أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه وأهله بمقامه، ودل شيعته على استخلافه، ونصبه لهم علماً من بعده[1].

قال الواقدي: مات سنة تسع وأربعين، وقال المدائني: في خمسين، وقيل: في إحدى وخمسين هكذا جاء في العقد الفريد (ج٣/ ص١٣٨) والبيان والتبيين (ج٣، ص ٣٦٠). وما يقاربها في الإمامة والسياسة (ج١/ ص ١٤٤)...، [فلما كانت سنة إحدى خمسين مرض الحسن بن علي مرضه الذي مات فيه، فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن فكتب إليه معاوية: إن استطعت أن لا يمضي يوم بي يمر إلا يأتيني به خبره فافعل، فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفي، فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد مَن كان معه، فبلغ ذلك عبدالله بن عباس وكان بالشام يومئذ، فدخل على معاوية فلما جلس، قال معاوية: يا بن عباس! هلك الحسن بن علي، فقال ابن عباس: نعم هلك، إنا لله وإنا إليه راجعون ترجيعاً مكرراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله ما سد جسده حفرتك ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه، جده رسول الله صلى الله عليه وآله فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة[2].

وعن أبي بكر بن حفص: توفي سعد بن أبي وقاص والحسن بن علي بعدما مضت من إمرة معاوية عشر سنين، وكانوا يرون أنه سمهما. وتوفي وله سبع وأربعون سنة

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٥٥ ؛ المفيد، الإرشاد: ص ١٩٢ – ١٩٣.
(٢) مصطفوي: ص ٢٣٨.

في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين، وقال بعضهم: مات في سنة خمسين وله ثمان وأربعون سنة. وقال كمال الدين ابن طلحة توفي عليه السلام لخمس خلون من ربيع الأول في سنة تسع وأربعين للهجرة، وقيل: خمسين وكان عمره سبعاً وأربعين سنة. وقال الحافظ الجنابذي: ولد الحسن بن علي عليه السلام في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، ومات سنة تسع وأربعين[١].

وجاء في تاريخ الأئمة، أن الإمام الحسن عليه السلام عاش سبعاً واربعين ويقال: تسع وأربعين سنة وأشهراً، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام ثماني سنين وسبعاً وثلاثين سنة مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت مدة خلافته عشر سنين، ووقعت المهادنة بينه وبين معاوية بعد مضي ستة أشهر وثلاثة أيام من خلافته.. مضى – صلوات الله عليه – لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة مسموماً.. وله يومئذ ثمان وأربعون سنة[٢].

وقال ابن أبي الحديد: اختلف الناس في سن الحسن عليه السلام وقت وفاته، فقيل: ابن ثمان وأربعين، وهو المروي عن جعفر بن محمد عليه السلام في رواية هشام بن سالم. وقيل: ابن ست وأربعين، وهو المروي أيضاً عن جعفر بن محمد عليه السلام في رواية أبي بصير[٣].

وقال المحدث القمي رحمه الله: توفي الحسن بن علي عليه السلام بالسم، يوم الخميس السابع من صفر سنة تسع وأربعين وكان ابن سبع وأربعين وقيل: في الثامنة والعشرين منه، وقيل في آخر صفر.

وإذا كان المؤرخون وأهل السير قد اختلفوا اختلافاً كثيراً في سنة وفاته عليه السلام، فإنهم لم يختلفوا في أن لوفاته وقعاً شديد الأثر.. حتى قيل فيه أنه أول ذل دخل على العرب،

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٥٨. نقلًا عن كشف الغمة ج١/ ص ٥٨٤.
(٢) الهمداني: ص ٦٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٢٦. نقلًا عن:شرح نهج البلاغة ومقاتل الطالبيين.

عن علي بن محمد، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عمرو بن بعجة، قال: أول ذل دخل على العرب موت الحسن بن علي[١].

لقد أبكى مصاب الإمام الحسن عليه السلام الأعداء والأصدقاء على السواء، المحبين والكارهين معاً، وضجت المدينة لموته، وارتج الناس جميعاً..، روى ابن إسحاق عن مساور، قال: رأيت أبا هريرة قائماً على المسجد يوم مات الحسن يبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس، مات اليوم حب رسول الله صلى الله عليه وآله، فابكوا[٢].

عن محمد بن عمر، قال حدثنا داود بن سنان، قال: سمعت ثعلبة بن أبي مالك قال: شهدنا حسن بن علي يوم مات ودفناه بالبقيع، فلقد رأيت البقيع ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على إنسان[٣].

وعن جهم بن أبي الجهم، قال: لما مات الحسن بن علي بعثت بنو هاشم إلى العوالي صائحاً يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموت حسن، فنزل أهل العوالي ولم يتخلف أحد عنه[٤].

وهذا الأمر ليس بمستغرب، فالمدينة المنورة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت قلباً وقالباً مع حب النبي وآل بيته، ولقد فجعت الناس بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله مرة وها هي تفجع بوفاة ولده مرة ثانية.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ٩١. وأورده الحافظ المزي في تهذيب الكمال: ٦ / ٢٥٥ عن ابن سعد، ورواه محمد بن حبيب في أماليه من قول ابن عباس، كما نقل عن ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٠. وجاء في تهذيب الكمال للمزي وتهذيب التهذيب ٢ / ٣٠١، والبداية والنهاية ٨ / ٤٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٩.

هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار أن وفاة الزهراء عليها السلام ودفنها قد حدث ليلاً وسراً تنفيذاً لوصيتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد استشهد الإمام علي عليه السلام في الكوفة بعيداً عن المدينة وأهلها..، لذا كان ما كان من أمر تفجعهم وتجمعهم لوداع السبط الشهيد عليه السلام.

كما أن بني هاشم كانوا يلتفون حول إمامهم خلال فترة مرضه عليه السلام التي قاربت الأربعين يوماً وليلة، فإن جمعهم كان مؤكداً في تلك اللحظات العصيبة.

عن الحسن بن محمد بن الحنفية، قال: «لما مرض الحسن بن علي مرض أربعين ليلة، فلما استُعز به وقد حضرت بنو هاشم فكانوا لا يفارقونه يبيتون عنده بالليل...»[١].

فلما توفي الحسن عليه السلام ارتجت المدينة صياحاً فلا يُلقى أحد إلا باكياً...، وأقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً. ولبسوا الحداد سنة[٢].

عن أبي جعفر: **مكث الناس يبكون على الحسن بن علي وما تقوم الأسواق**[٣].

وقد مضت الروايات الكثيرة على أن نساء بني هاشم أقمن النوح شهراً والحداد سنة، فيما رواه ابن كثير في تاريخه (٨ / ٤٣) عن الواقدي: وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً واستمرت نساء بني هاشم ينحن عليه شهراً وحدت نساء بني هاشم عليه سنة.

وعن ابن أبي نجيع، عن أبيه، قال: بكى على الحسن بن علي بمكة والمدينة سبعاً النساء والرجال والصبيان[٤].

هنا لابد لنا من تبيان، إن كانت المدينة خرجت لوداع الإمام عليه السلام ودفنه، وبيوت

---

(١) المصدر نفسه: ص ٨٥.
(٢) ابن الأثير في أسد الغابة: ١ / ١٦. نقلًا عن ابن سعد في طبقاته.
(٣) مصطفوي: ص ٢٣٩.
(٤) ابن سعد، طبقاته،: ص ٩٠.

الهاشميين فرغت من أهلها..، والبقيع ليس فيه متسع لرجل..، فإن اللواتي خرجْنَ خلف جنازة الإمام الحسن عليه السلام حافيات باكيات لم يكنّ زوجاته الثلاثمائة كما ادعت بعض الروايات وتناقلتها المصادر دون تمحيص أو نظر[١]. بل كن نساء بني هاشم اللواتي فجعن بفقدهن، والتف حولهن نساء المدينة ممن ملأ قلوبهن حب آل الرسول، فشاركن نساء بني هاشم حزنهن وخروجهن حافيات حاسرات خلف الجنازة!! هذا إن صحت هذه الرواية أصلاً[٢].

وحتى في لحظات وداعه الأخيرة لم تسلم جنازة الإمام الحسن عليه السلام من العدوان والنبال، فانبرت امرأة لتمنع دفنه عند جده رسول الله، بعد أن استأذن الإمام الحسن عائشة في ذلك فأذنت له. فلما مات منع ذلك مروان وبنو أمية[٣].

قال ابن عباس: فأقبلت عائشة في أربعين راكباً على بغل مرحّل وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب! فقال ابن عباس بعد كلام: حملت وبغلت ولو عشت لفيلت[٤].

ولقد سلت من جنازته المطهرة سبعون نبلاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولا نقول إلا قول الإمام الحسين عليه السلام عند قبر أخيه الحسن: **رحمك الله أبا محمد إن كنت لتناصر الحق مظانه وتؤثر في الله عند تداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة الأطراف نقية الأسرة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرو وأنت ابن سلالة النبوة ورضيع لبان**

(١) ابن شهرآشوب، مناقب: ج٤/ ص ٢٩، المجلسي، بحار الأنوار: ج١٨/ ص ٣٥٦ – ٣٦٣.
(٢) للمزيد ينظر: الهمداني، ص ٧١٩، البلداوي: ص ١٦٤ وما بعدها.
(٣) مصطفوي، ص ٢٤٢، نقلًا عن الاستيعاب: ج١/ ص ٣٨٩.
(٤) ابن شهرآشوب، مناقب: ج٤/ ص٥.

الحكمة، فإلى روح وريحان وجنة نعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأسى عنه[١].

وجعلنا من المصدقين بقول الإمام الصادق عليه السلام، **بأن لنا الجنة بزيارته بعد موته كما وعد بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وحدث**[٢]

(١) مصطفوي، ص ٢٤٤. نقلًا عن عيون ابن قتيبة: ج٢/ ص ٣١٤.
(٢) ابن شهرآشوب، مناقب: ج٤/ ص ٥٢.

الخاتمة

للإمام الحسن المجتبى عليه السلام في حياة الأمة الإسلامية، نافذة على رحاب النبوة والوصاية والإمامة، أنارت قلوب المؤمنين والمسلمين والمسلمات.

وللنساء في حياة الإمام الحسن عليه السلام بصمات واضحة المعالم، مهرت بها الأم الزكية الطاهرة فاطمة عليها السلام والأخت الصابرة المجاهدة زينب عليها السلام أياماً ومواقف من سيرة السبط الشهيد عليه السلام جعلت تلك المواقف السمحة الطيبة الآلقة ما بين الإمام عليه السلام وأهل بيته دروساً وعبر للنسوة في كل مرحلة وزمان.

وكان للإمام الحسن عليه السلام حظوة عند كل امرأة عاصرته من زوجات أبيه، وأخوات من أمهات شتى، وبنات وجاريات، فهو ابن المصطفى صلى الله عليه وآله في خلقه وخلقه.. وما كان للقلوب المسلمة المسالمة إلا الوقوع في شرك محبة حلمه وكرمه وألفته وموالاته حتى الممات.

ولم يعكر صفو الصورة الإمامية الناصعة إلا فعل الشيطان وأعوانه وإتباع إغوائه والانجذاب لحبائله.. فكادت له امرأة سلبته حق الحياة دون وازع من ضمير أو بعض تأثيم، فكانت الزوجة القاتلة نقطة سوداء في رحلة الإمام الحسن عليه السلام مع النساء.

ويبقى العطر المحمدي المضمخ بالشهادة، الحسن الوجود في ضمائرنا، وإن قطع الطاغية اللعين كبده الشريف قطعاً قطعاً.

ويبقى الإمام الحسن عليه السلام ريحانة محمد، ونبع الزهراء، وكوثر علي، وتوأم روح

الحسين وزينب.. لا يتشظى ذكرهم في الآفاق، فلقد امتدت جدائل سبيكتهم الذهبية عروة وثقى ما بين الأرض والسماء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم حسين بغدادي، زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة طريق المعرفة – دار الكتاب العربي، نجف – بغداد – العراق، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر – بيروت لبنان، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، تهذيب وتحقيق عبد العزيز الطباطبائي،ط١، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث،قم– ايران،١٤١٦هـ.

ابن سعد، الطبقات الكبرى: دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري،ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الصغير، تحقيق محمود إبراهيم زايد، بيروت– لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، ط٢، مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦٠م.

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني (٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، ط١، انتشارات الشريف الرضي،قم - ايران، ط١، ١٤٠٥هـ.

أحمد الرحماني الهمداني، الإمام المجتبى عليه السلام مهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله، ط١، المنير للطباعة والنشر، إيران ١٣٨٤هـ.ش / ١٤٢٦هـ.ق.

أعلام الهدايا، فاطمة الزهراء عليها السلام (سيدة النساء) ، المجمع العالمي لأهل البيت،ط١، مركز الطباعة والنشر مطبعة ليلى، قم المقدسة- ايران، ١٤٢٢هـ.

القندوزي الحنفي، مختصر ينابيع المودة لذوي القربى،ط٢، مكتبة هيئة الأمين،، العراق - كربلاء المقدسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

الطبراني، أخبار الحسن بن علي،حققه وعلق عليه محمد شجاع ضيف الله،دار الاوراد للنشر والتوزيع،الكويت،١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

الكفيل - خلاصة مبسطة عن حياة أبي الفضل العباس عليه السلام، العتبة العباسية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط٢، شعبة الإعلام، كربلاء المقدسة - العراق، ٢٠٠٩م.

العلامة المصطفوي، الإمام المجتبى أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام . حياته. مقامه. خلافته. حلمه. جريان صلحه. كلماته. خطبه. رد الاعتراضات...، ط١،مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، مطبعة اعتماد، طهران- ايران، ٢٠٠٣م.

المفيد، الإرشاد، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها، النجف الأشرف- العراق،

١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

إيهاب يعقوب الكتبي الحسني، المنتقى في أعقاب الحسن المجتبى، ط١، دار المجتبى للنشر والتوزيع، المدينة المنورة- السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن، دار جواد الأئمة عليه السلام، ط١، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

ابن بابويه، معاني الأخبار، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

حسن الشيرازي، كلمة الإمام الحسن، ط٢، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٦هـ.

حسن الصفار، المرأة العظيمة، ط١، دار البيان العربي، بيروت- لبنان.

راضي آل ياسين، صلح الحسن، ط٤، دار النرجس للطباعة، بغداد- العراق ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

سعيد رشيد زميزم، نساء حول الحسين،ط١، دار الجوادين، بيروت - لبنان،١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

سليمان كتاني، فاطمة الزهراء - وتر في غمد، ط١، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، مطبعة مجاب، ١٤٣٢هـ.

عبدالكريم الفيلي، ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام، ط١، دار الغدير، قم- ايران.

عبدالحسين الأميني، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٣٧٩هـ.

علي الأحمدي الميانجي، ظلامة الزهراء في النصوص والآثار، ط١، المركز الإسلامي

للدراسات، إيران.

علي الفتلاوي، المرأة في حياة الحسين عليه السلام، قسم الشؤون الفكرية ،ط١، والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، العراق – كربلاء المقدسة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

علي الكوراني، جواهر التاريخ، السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام، ط١، مطبعة باقيات، ١٤٣٠هـ.

علي شريعتي، فاطمة هي فاطمة، الآثار الكاملة، ط٢، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت – لبنان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

علي محمد علي دخيل، أعلام النساء، دار المرتضى – مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

كاظم النقيب، أئمتنا قادة وهداة،ط٢، الفكر الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان– بيروت، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م.

محمد باقر البهبهاني، محمد علي فاطمة – سيرتهم – حياتهم – مصائبهم، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

محمد باقر الحكيم، الزهراء عليها السلام – أهداف – مواقف – نتائج،ط١، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف– العراق، ٢٠٠٦هـ.

محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق وتعليق محمود دياب،ط١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

محمد بحر العلوم، ثلاث نساء في سماء العقيدة، ط٣، دار زايد للنشر،لندن–

برطانيا، ٢٠٠٦م، .

محمد بكر إسماعيل، فقيه الأمة ومرجع الأمة علي بن أبي طالب، الناشر شهاب الدين، ط١، المطبعة كلها، قم – إيران، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

محمد حسين الأعلمي الحائري، تراجم أعلام النساء.

محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة فاطمة،ط١، مؤسسة بوستان، كتاب قم، قم المقدسة – إيران، ١٤٢٣هـ.

محمد جواد مغنية، موسوعة الإمام علي عليه السلام ، ط١،مؤسسة دار المجتبى، إيران – قم، ٢٠٠٥م.

محمد كاظم القزويني، فاطمة عليها السلام من المهد إلى اللحد،ط١، منشورات الفجر، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان.

محمد مهدي الحائري، معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، صبح الصادق، ط١، ذي القعدة ١٤٢٥هـ، قم – إيران / نجف – عراق.

محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، ط١، انتشارات ذوي القربى دار الأضواء، إيران، ١٤٢١هـ ق– ١٣٧٩هـ ش.

مريم نور الدين فضل الله، المرأة في ظل الإسلام،ط١، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

مهدي تاج الدين، المجالس المرضية في الأيام الفاطمية، ط١، المكتبة الحيدرية، قم– ايران.

مؤمن الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار،ط١، ذوي القربى، نجف- العراق.

وسام برهان البلداوي، القول الحسن في عدد زوجات الامام الحسن، ط١، اصدار قسم الشوؤن الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة كربلاء- العراق، ٢٠٠٨ م، ١٤٢٩هـ.

المحتويات

المحتويات

المقدمة ١٣

الفصل الأول / آلام فاطمة... أول النساء ١٧

زهرة الحسن عليه السلام ١٩

الحسن والزهراء عليهما السلام .. والأسوة الحسنة ٣٧

فراق وجه الحبيبة ٥٣

الفصل الثاني / الأخت زينب... أقرب النساء ٧٣

زينب الحوراء عليها السلام... أم أخيها ٧٥

الحسن وزينب عليهما السلام ... أخت الأحزان ٨٩

الفصل الثالث / الإمام الحسن... ١٠٧

تمهيد ١٠٩

أم سلمة... الأم الربانية ١١١

أم أيمن... الأم الطيبة ١٣٣

أم البنين عليها السلام... فاطمة أخرى ١٤٩

أسماء بنت عميس... أم أخرى ١٦٣

أمامة... وصية الزهراء عليها السلام ١٧٩

فضة... امرأة من ذهب ١٨٣

الفصل الرابع / الزوجة القاتلة.. أشقى النساء ١٨٩

للحسن عليه السلام... زوجات وبنات ١٩١
جعدة بنت الأشعث... أشقى الزوجات ٢١٩
الخاتمة ٢٤١
المصادر والمراجع ٢٤٣
المحتويات ٢٤٩